

اهداءات ٢٠٠٢

اسرة د/ محمد الرحمن بدوي
جمعية د/ محمد الرحمن بدوي للإبداع الثقافي
القاهرة

فهرست کتاب اعجاز القرآن للقاضي أبي بكر الباقلاني

تخفيفه	تخفيفه
خطبة الكتاب ٢	٦٥ عهد لأبي بكر الصديق إلى عمر رضي الله عنهما ٦٦ نسخة كتاب
٤ فصل في أن نبوة النبي صلى الله عليه وسلم معجزتها القرآن	٦٧ عهد من عهد عمر رضي الله عنه
٨ فصل في الدلالة على أن القرآن معجز	٦٧ ومن كلام عثمان بن عفان رضي الله عنه
١٨ فصل في جملة وجوه اعجاز القرآن	٦٧ خطبة له رضي الله عنه
٢٧ فصل في شرح ما بينا من وجوه اعجاز القرآن	٦٨ كلبه إلى علي حين حضر رضي الله عنهما
٢٨ فصل في نفي الشعر من القرآن	٦٩ خطبة أخرى لعلي رضي الله عنه
٣١ فصل في نفي السجع من القرآن	٦٩ وكتب علي رضي الله عنه إلى عبد الله
٣٦ فصل في ذكر البديع من الكلام	ابن عباس رجه الله وهو بالبصرة
٥٤ فصل في كيفية الوقوف على اعجاز القرآن	٦٩ كلام لابن عباس رضي الله عنه
٦٢ خطبة للنبي صلى الله عليه وسلم	٦٩ خطبة لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه
٦٣ خطبة له صلى الله عليه وسلم	٧٠ خطبة لمعاوية بن أبي سفيان
٦٣ خطبة له صلى الله عليه وسلم	٧٠ خطبة لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه
٦٣ خطبة له صلى الله عليه وسلم في أيام التشريق	٧١ خطبة للحجاج بن يوسف
٦٣ خطبته صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة	٧١ خطبة لقيس بن ساعدة الأيادي
٦٣ خطبته صلى الله عليه وسلم بالخيف	٧٢ خطبة لأبي طالب
٦٤ خطبة له صلى الله عليه وسلم	١١٦ فصل في التصدي
٦٤ كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى ملك فارس	١١٧ فصل في قدر المعجز من القرآن
٦٤ كتاب له صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي	١١٩ فصل في أنه هل يعلم اعجاز القرآن ضرورة
٦٤ نسخة عهد الصلح مع قريش عام الحديبية	١١٩ فصل فيما يتعلق به الاعجاز
٦٥ خطبة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه	١٢٠ فصل في وصف وجوه من البلاغة
	١٢٩ فصل في حقيقة المعجز
	١٣١ فصل في كلام النبي صلى الله عليه وسلم وأمره متصل بالاعجاز

كِتَابُ إِعْجَازِ الْقُرْآنِ

تأليف الامام الكبير والقُدوة الشَّهير شمس خاتمة
المحققين وعمدة الأئمة المدققين القاضي أبي بكر
الباقلاني رحمه الله تعالى ونفعنا بعلمه
آمين

﴿ طبع على نفقة الأديبين ﴾

﴿ محمد القليوبي عطا الله * ومحمد فرج الجزار ﴾
(غفر الله لهما ولوالديهما ولجميع المسلمين آمين)

(حقوق الطبع محفوظة لهما)

﴿ الطبعة الأولى ﴾

(بمطبعة الاسلام بحارة السقائين بمصر المحمية)

(سنة ١٣١٥ هجرية)

طبع برخصة نظارة الداخلية



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله المنعم على عباده بما هداهم اليه من الايمان * والمتم احسانه بما أقام لهم
من جلي البرهان * الذي حمد نفسه بما أنزل من القرآن ليكون بشيرا ونذيرا *
وداعيا الى الله بآذنه وسراجا منيرا * وهاديا الى ما ارتضى لهم من دينه * وسلطانا
أوضح وجه تبيينه * ودليلا على وحدانيته * ومرشدا الى معرفة عزته وجبروته *
ومفصحا عن صفات جلاله * وعلو شأنه وعظيم سلطانه * وحجة لرسوله الذي أرسله به وعلما
على صدقه * وبينه على انه أمينه على وحيه وصادع بأمره * فأشرفه من كتاب يتضمن
صدق محمله * ورسالة تشتمل على تصحيح قول مؤثها * بين فيه سبحانه ان حجة كافية هادية
لا يحتاج مع وضوحها الى بيضة تعدوها أو حجة تتلوها وان الذهاب عنها كالذهاب
عن الضروريات والشك في المشاهدات * ولذلك قال عز ذكره ولو نزلنا عليك كتابا في
قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا ان هذا الاصحح مبين وقال عز وجل ولو فطنا
عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون
فله الشكر على جزيل احسانه وعظيم مننه والصلاة على سيدنا محمد المصطفى وآله وسلم
ومن أهم ما يجب على أهل دين الله كشفه * وأولى ما يلزم بحجه * ما كان لاصل دينهم قواما *
ولقاعدة توحيدهم عمادا ونظاما * وعلى صدق نبيهم صلى الله عليه وسلم برهانا
ولمعجزة ثبنا وحجة لاسيما والجهل بمدود الرواق * شديد التفاق * مستول على
الاتفاق * والعلم الى عفاء ودروس * وعلى خفاء وطموس * وأهله في جفوة
الزمن الهم * يقاسون من عبوسه لقاء الاسد الشتم * حتى صار ما يكابدونه قاطعا

عن الواجب من سلوك مناهجه والاخذ في سبيله فاناس بين رجلين ذاهب عن الحق
 ذاهل عن الرشد وآخر مصلود عن نصرته مكدود في صنعته فقد أدى ذلك الى خوض
 المحدثين في أصول الدين وتشكيكهم أهل الضعف في كل يقين وقد قل أنصاره واشتغل
 عنه أعوانه وأسلمه أهله فصار عرضة لمن شاء ان يتعرض فيه حتى عاد مثل الامر الاول
 على ما خاضوا فيه عند ظهور أمره فخن قائل قال انه مصر وقائل يقول انه شعر وآخر
 يقول انه أساطير الاولين وقالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا الى الوجوه التي حكى الله عز
 وجل عنهم انهم قالوا فيه وتكلموا به فصرفوه اليه * وذكر لي عن بعض جهالهم انه جعل
 يعمله ببعض الاشعار ويوازن بينه وبين غيره من الكلام ولا يرضى بذلك حتى يفضل
 عليه وليس هذا ببديع من ملحة هذا العصر وقد سبقهم الى عظم ما يقولونه اخوانهم
 من ملحة قريش وغيرهم الا ان أكثر من كان طعن فيه في أول أمره استبان رشده
 وأبصر قصده فتاب وأتاب وعرف من نفسه الحق بغيره طبعه وقوة انقائه لا لتصرف
 لسانه بل لهداية ربه وحسن توفيقه والجهل في هذا الوقت أغلب والمحدثون فيه عن
 الرشد أبعد وعن الواجب أذهب وقد كان يجوز ان يقع من عمل الكتب النافعة في
 معاني القرآن وتكميل في فوائده من أهل صنعة العربية وغيرهم من أهل صناعة
 الكلام ان يبسطوا القول في الابانة عن وجه مجزئه والدلالة على مكانه فهو أحق بكثير
 مما صنفوا فيه من القول في الخبر ودقيق الكلام في الاعراض وكثير من بديع الاعراب
 وفاضل العرف والحاجة الى هذا أمس والاشتغال به أوجب وقد قصر بعضهم في هذه
 المسئلة حتى أدى ذلك الى تحول قوم منهم الى مذاهب البراهمة فيها رأوا ان يحز
 أصحابهم عن قصرة هذه المجزة بوجب أن لا يستنصر فيها ولا رجه لها حين رأوها قد برعوا
 في لطيف ما أبدعوا وانتهوا الى الغاية فيما أحدثوا ووضعوا ثم رأوا ما صنعوه في هذا
 المعنى غير كامل في بابه ولا مستوفى في وجهه قد أدخل به تزيين طرقه وأهمل ترتيب
 بيانه وقد يغذر بعضهم في تفرط يقع منه فيه وذهاب عنه لان هذا الباب مما يمكن
 احكامه بعد التقدم في أمور شريفة المحل عظيمة المقدار دقيقة المسلك لطيفة المأخذ
 واذا انتبهنا الى تفصيل القول فيها استبان ما قلناه من الحاجة الى هذه المقدمات حتى
 يمكن بعدها احكام القول في هذا الشأن وقد صنف الجاحظ في نظم القرآن كتابا لم يزد
 فيه على ما قاله المتكلمون قبله ولم يكشف عما يلبس في أكثر هذا المعنى * وسألنا سائل
 ان نذكر جملة من القول جامعة تسقط الشبهات وتزيل الشكوك التي تعرض للجهال
 وتنتهي الى ما يخطر لهم ويعرض لافهامهم من الطعن في وجه المجزة فأجبناه الى

ذلك متقربين الى الله عز وجل ومتولين عليه وعلى حسن توفيقه ومعونته ونحن نبين ما سبق فيه البيان من غيرنا ونشير اليه ولا تبسط القول لئلا يكون ما ألفناه مكررا ومقولا بل يكون مستفادا من جهة هذا الكتاب خاصة ونضيف اليه ما يجب وصفه من القول في تنزيل متصرفات الخطاب وترتيب وجوه الكلام وما يختلف فيه طرق البلاغة وتفاوت من جهة سبل البراعة وما يشبهه نأخذ الفصاحة ويختلف فيه المتعلقون من أهل صناعة العربية والمعرفة بلسان العرب في أصل الوضع ثم اختلفت به مذاهب مستعملة في فنون ما ينقسم اليه الكلام من شعر ورسائل وخطب وغير ذلك من مجاري الخطاب وان كانت هذه الوجوه الثلاثة أصول ما بين فيه الفصاحم وتقصد فيه البلاغة لان هذه أمور يعمل لها في الاغلب ولا يتقوز فيها ثم من بعد هذا الكلام الدائر في محاوراتهم والتفاوت فيه أكثر لان العمل فيه أقل الا من غزارة طبع أو فطنة تصنع وتكلف ونشير الى ما يجب في كل واحد من هذه الطرق ليعرف عظم محل القرآن وليعلم ارتفاعه عن مواقع هذه الوجوه وتجاوزه الحد الذي يصح أو يجوز ان يوازن بينه وبينها أو يشبهه ذلك على متأمل ولسنأزعم انه يمكن ان نبين ما رمنا بيانه وأردنا شرحه وتفصيله لمن كل عن معرفة الأدب ذاهبا وعن وجه اللسان غافلا لان ذلك بما لا سبيل اليه الا ان يكون الناظر فيما نعرض عليه مما قصدنا اليه من أهل صناعة العربية قد وقف على جل من محاسن الكلام ومتصرفاته ومذاهبه وعرف جملة من طرق المتكلمين ونظر في شيء من أصول الدين وانما ضمن الله عز وجل فيه البيان لمثل من وصفناه فقال كتاب فصلت آياته قرأنا عريبالقوم يعلمون وقال انا جعلناه قرآنا عريبالعلمكم تعقلون



فصل في أن نبوة النبي صلى الله عليه وسلم معجزتها القرآن

الذي يوجب الاهتمام التام بعرفه اعجاز القرآن ان نبوة نبينا عليه السلام بنيت على هذه المعجزة وان كان قد أيد بعد ذلك بمعجزات كثيرة الا ان تلك المعجزات قامت في أوقات خاصة وأحوال خاصة وعلى أشخاص خاصة ونقل بعضها نقلا متواترا يقع به العلم وجودا وبعضها بما نقل نقلا خاصا الا انه حكى بعهد من الجمع العظيم انهم شاهدوه فلو كان الامر على خلاف ما حكى لانكروه أولا نكروه بعضهم نقل المعنى الاول وان لم يتواتر أصل النقل فيه وبعضها مما نقل من جهة الآحاد وكان وقوعه بين يدي الآحاد فأمدالة القرآن فهي عن معجزة عامة عمت الثقلين وبقيت بقاء العصرين وزوم الحجة بها في أول وقت ورودها الى يوم القيامة على حد واحد وان كان قد

يعلم بجزأهل العصر الاول عن الاتيان بمثله وجه دلالة فيغنى ذلك عن نظر مجتهد في بجز
 اول العصر عن مثله وكذلك قد يغنى بجزأهل هذا العصر عن الاتيان بمثله عن النظر في
 حالأهل العصر الاول وانما ذكرنا هذا الفصل لما حكى عن بعضهم انه زعم انه وان كان
 قد بجز عنهأهل العصر الاول فليسأهل هذا العصر بعاجزين عنه ويكفي بجزأهل العصر
 الاول في الدلالة أنهم خصوا بالتقدي دون غيرهم ونحن نبين خطأ هذا القول في موضعه
 فأما الذى يبين ما ذكرناه من ان الله تعالى حين ابتعثه جعل مجرته القرآن وبني أمر
 نبوته عليه سور كثيرة وآيات تذكر بعضها وتنبه بالمذكور على غيره فليس يغنى بعد
 التنبيه على طريقه فن ذلك قوله تعالى الى كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات
 الى النور ياذن ربهم الى صراط العزيز الحميد فأخبرانه أنزله ليقع الاهتداء به ولا يكون
 كذلك الا وهو جهة ولا تكون جهة ان لم تكن مجرة وقال عز وجل وان أحد من
 المشركين استغاثك فآجره حتى يسمع كلام الله فلو ان سماعه اياه جهة عليه لم يوقف
 أمره على سماعة ولا يكون جهة الا وهو مجرة وقال عز وجل وانه لتنزيل رب العالمين
 نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين وهذا بين جدا فيما قلناه من انه
 جعله سببا لكونه منبرا ثم أوضح ذلك بأن قال بلسان عربي مبين فلو ان كونه بهذا
 اللسان جهة لم يعقب كلامه الاول به وما من سورة اقتضت بذكر الحروف المقطعة الا
 وقد أشبع فيها بيان ما قلناه ونحن نذكر بعضها للتسئل بذلك على ما بعده وكثير من هذه
 السور اذا تأملته فهو من أوله الى آخره مبني على لزوم جهة القرآن والتنبيه على وجه
 مجرته فن ذلك سورة المؤمن قوله عز وجل حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم
 ثم وصف نفسه بما هو أهله من قوله غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب الى ان قال
 ما يجادل في آيات الله الا الذين كفروا فدل على ان الجدال في تنزيهه كفر والحاد ثم أخبر
 بما وقع من تكذيب الأئم برسلمهم بقوله عز وجل كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من
 بعدهم الى آخر الآية فتوعدهم بأنه آخذهم في الدنيا بذنبهم في تكذيب الانبياء ورد
 براهينهم فقال فأخذتهم فكيف كل عقاب ثم توعدهم بالنار فقال وكذلك حقك كذرتك
 على الذين كفروا أنهم أصحاب النار ثم عظم شأن المؤمنين بهذه الجملة بما أخبر من استغفار
 الملائكة لهم وما وعدهم عليه من المغفرة فقال الذين يحمون العرش ومن حوله يسبحون
 بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر
 للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم فلو ان برهان قاهر لم يذم الكفار على
 العدول عنه ولم يحمى المؤمنين على المصير اليه ثم ذكر تمام الآيات في دعاء الملائكة

لؤمنين ثم عطف على وعيد الكافرين فذكر آيات ثم قال هو الذي يريكم آياته فأمره بالنظر في آياته وبراهينه الى ان قال رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق فجعل القرآن والوحى به كالروح لانه يؤدى الى حياة الابد ولانه لا فائدة للجسد بدون الروح فجعل هذا الروح سببا للانذار وعلم عليه وطريقا اليه ولولا ان ذلك برهان بنفسه لم يصح ان يقع به الانذار والاخبار عما يقع عند مخالفته ولم يكن الخبر عن الواقع في الآخرة عند رتبعهم دلالة من الوعيد حجة ولا معلوما صدقه فكان لا يلزمهم قبوله فلما خلس من الآيات في ذكر الوعيد على تركه القبول ضرب لهم المثل بمن خالف الآيات وجهد الدلالات والمجربات فقال أولم يسيرا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم الى آخر الآية ثم بين ان عاقبتهم صارت الى السواى بأن رسلهم كانت تأتيهم بالبينات وكانوا لا يقبلونها منهم فلم ان ما قدم ذكره في السورة بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ذكر قصة موسى ويوسف عليهما السلام ومجيبتهما بالبينات ومخالفتهما حكمهما الى ان قال الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان آتاهم كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار فأخبر ان جدالهم في هذه الآيات لا يقع بحجة وانما يقع عن جهل وان الله يطبع على قلوبهم ويصرفهم عن تفهم وجه البرهان بخودهم وعنادهم واستكبارهم ثم ذكر كثيرا من الاحتجاج على التوحيد ثم قال ألم ترى الذين يجادلون في آيات الله أنى يصرفون ثم بين هذه الجملة وان من آياته الكتاب فقال الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسنا به رسلنا فسوف يعلمون الى ان قال وما كان لرسول ان يأتي بأية الا باذن الله فدل على ان الآيات على ضربين أحدهما كالمجربات التي هي أدلة في دار التكليف والثاني الآيات التي ينقطع عندها العذر ويقع عندها العلم الضروري وانها اذا جاءت ارتفع التكليف ووجب الاهلاك الى ان قال فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا فلمنعناهم قادر على هذه الآيات ولكه اذا أقامها زال التكليف وحقت العقوبة على الجاحدين وكذلك ذكر في حم السجدة على هذا المنهاج الذي شرحنا فقال عز وجل هم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرأنا عرييا القوم يعلمون بشيرا ونذيرا فلو لا انه جعله برهانا لم يكن بشيرا ولا نذيرا ولم يختلف بأن يكون عرييا مفصلا أو بخلاف ذلك ثم أخبر عن جهودهم وقلة قبولهم بقوله فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون ولولا انه حجة لم يضرهم الاعراض عنه وليس لقائل ان يقول قديكون حجة ويحتاج في كونه حجة الى دلالة أخرى كما ان الرسول حجة وليس كونه يحتاج الى دلالة على صدقه

وصحة نبوته وذلك انه انما اخبر عليهم بنفس هذا التنزيل ولم يذ كر حجة غيره وبين ذلك انه قال
 عقيب هذا قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى فاخبرانه مثلهم لولا الوحي ثم عطف عليه
 بحمد المؤمنين به المصدقين له فقال ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون
 ومعناه الذين آمنوا بهذا الوحي والتنزيل وعرفوا هذه الحجة ثم تصرف في هذا الاحتجاج على
 الوحداية والقدرة الى ان قال فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود
 فتوعدهم بما اصاب من قبلهم من المكذبين بايات الله من قوم عاد وثمود في الدنيا ثم
 توعدهم بامر الآخرة فقال ويوم يحشر أعداء الله الى النار فهم يوزعون الى انتهاء ما ذكره
 فيه ثم رجع الى ذكر القرآن فقال وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه
 لعلكم تغلبون ثم اثنى بعد ذلك على من تلقاه بالقبول فقال ان الذين قالوا ربنا الله ثم
 استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا ثم قال واما ينزغك من
 الشيطان نزغ فاستعد بالله انه هو السميع العليم وهذا يفه على ان النبي صلى الله
 عليه وسلم يعرف ايجاز القرآن وانه دلالة له على جهمة الاستدلال لان الضروريات
 لا يقع فيها نزغ الشيطان ونحن نبين ما يتعلق بهذا الفصل في موضعه ثم قال ان الذين
 يلحدون في آياتنا الى ان قال ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وانه لكآب عزيز لا يأتيه
 الباطل من بين يديه ولا من خلفه وهذا وان كان متأولا على انه لا يوجد فيه غير الحق
 مما يتضمنه من اقساميص الاولين وأخبار المرسلين وكذلك لا يوجد خلف فيما يتضمنه
 من الاخبار عن الغيوب وعن الحوادث التي أبنا انها تقع في الثاني فلا يخرج عن
 ان يكون متأولا على ما يقتضيه نظام الخطاب من انه لا يأتيه ما يبطله من شبهة سابقة
 تقطع في مجرته أو تعارضه في طريقه وكذلك لا يأتيه من بعده قط أمر يشكك في وجه
 دلالته وهذا أشبه بسباق الكلام ونظامه ثم قال ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا
 فصلت آياته أعجمي وعربي فاخبرانه لو كان أعجميا لكانوا يحجون في رده اما
 بأن ذلك خارج عن عرف خطابهم وكانوا يعتدرون بذهابهم عن معرفة معناه وبأنهم
 لا يبين لهم وجه الاعجاز فيه لانه ليس من شأنهم ولا من لسانهم أو بغير ذلك من الامور
 وانه اذا تحدثهم الى ما هو من لسانهم وشأنهم فجزوا عنه وجبت الحجة عليهم به على
 ما يفينه في وجه هذا الفصل الى ان قال قل أرأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به من
 أضل ممن هو في شقاق بعيد والذي ذكرنا من نظم هاتين السورتين ينبه على غيرهما من
 السور ففكرنا سرد القول فيها فليتنامل المتأمل ما دللناه عليه بجمده كذلك ثم ما يدل
 على هذا قوله عز وجل وطاولوا لولا أنزل عليه آية من ربه قل انما الايات عند الله وانما

أنا نذيرمين أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم فأخبران الكتاب آية من آياته وعلم من أعلامه وإن ذلك يكفي في الدلالة ويقوم مقام مجزئات غيره وآيات سواء من الانبياء صلوات الله عليهم ويدل عليه قوله عز وجل تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا وقوله أم يقولون افتري على الله كذبا فان يشأ الله يختم على قلبك ونحو الله الباطل ويحق الحق بكلماته فدل على انه جعل قلبه مستودعا لوجيه ومستنزلا لكاتبه وأنه لو شاء صرف ذلك الى غيره وكلنه حكم دلالته على تحقيق الحق وابطال الباطل مع صرفه عنه ولذلك أشباه كثيرة تدل على نحو الدلالة التي وصفناها فبان بهذا وبظايره ما قلناه من ان بناء نبوته صلى الله عليه وسلم على دلالة القرآن ومجزئته وصار له من الحكم في دلالته على نفسه وصدقه انه يمكن ان يعلم انه كلام الله تعالى وفارق حكمه حكم غيره من الكتب المنزلة على الانبياء لانها لا تدل على انفسها الا بأمر زائد ووصف مضاف اليها لان ظمها ليس مجزئا وان كان ما يفهمه من الاخبار عن الغيوب مجزئا وليس كذلك القرآن لانه يشاركها في هذه الدلالة ويزيد عليها في ان ظمها مجزئ فيمكن ان يستدل به عليه وحل في هذا من وجه محل سماع الكلام من القديم سبحانه وتعالى لان موسى عليه السلام لما سمع كلامه علم انه في الحقيقة كلامه وكذلك من يسمع القرآن يعلم انه كلام الله وان اختلف الحال في ذلك من بعض الوجوه لان موسى عليه السلام سمعه من الله عز وجل وأسمعه نفسه متكلماً وليس كذلك الواحد منا وكذلك قد يختلفان في غير هذا الوجه وليس ذلك قصداً بالكلام في هذا الفصل والذي نرومه الآن ما بينا من اتفاقهما في المعنى الذي وصفنا وهو انه عليه السلام يعلم ان ما يسمعه كلام الله من جهة الاستدلال وكذلك نحن نعلم ما نقرؤه من هذا على جهة الاستدلال

فصل في الدلالة على ان القرآن مجزئة

قد ثبت بما بينا في الفصل الاول ان نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم مبنية على دلالة مجزئة القرآن فيبين ان نبين وجه الدلالة من ذلك قد ذكر العلماء ان الاصل في هذا هو ان تعلم ان القرآن الذي هو متلو محفوظ من سوء في المصاحف هو الذي جاءه النبي صلى الله عليه وسلم وأنه هو الذي تلاه على من في عصره ثلاثا وعشرين سنة والطريق الى معرفة ذلك هو النقل المتواتر الذي يقع عنده العلم الضروري به وذلك انه قام به في المواقف وكسب به الى البلاد وتحمله عنه اليها من تابعه وأورد على غيره من لم يتابعه

حتى ظهر فهم الظهور الذي لا يشبهه على أحد ولا يحتمل أنه قد خرج من أقي بقرآن بتأوله
 وبأخذه على غيره وبأخذ غيره على الناس حتى انتشر ذلك في أرض العرب كلها وتعدى
 إلى الملوك المعاقبة لهم بملك الروم والحبش والقيط والحيش وغيرهم من ملوك الاطراف
 ولما ورد ذلك مضادا لاديان أهل ذلك العصر كلهم ومخالفا لوجوه اعتقاداتهم المختلفة في
 الكفر وقف جميع أهل الخلاف على جلته ووقف جميع أهل دينه الذين أكرمهم الله
 بالايمان على جلته وتفصيله وتظاهر بينهم حتى حفظه الرجال وتنقلت به الرجال وتعلمه
 الكبير والصغير إذ كان عمدة دينهم وعلماء عليه والمفروض تلاوته في صلواتهم والواجب
 استماعه في أحكامهم ثم تناقله خلف عن سلف ثم مثلهم في كثرتهم وتوفر دواعيهم على
 نقله حتى انتهى اليها ما وصفناه من حاله فلن يشك أحد ولا يجوز أن يتشكك مع وجود
 هذه الاسباب في أنه أقي بهذا القرآن من عند الله فهذا أصل وإذا ثبت هذا الاصل وجودا
 فانا نقول أنه تحتاهم إلى ان يأتيوا بمثله وقرعهم على ترك الايمان به طول السنين التي
 وصفناها فلم يأتيوا بذلك والذي يدل على هذا الاصل اننا قد علمنا ان ذلك مذكور في القرآن
 في المواضع الكثيرة كقوله وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله
 وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي
 وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين وكقوله أم يقولون افترأوا قل فأتوا بعشر سور
 مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لكم
 فاعلموا انما أنزل بعلم الله وان لا اله الا هو فهل أنتم مسلمون فجعل عجزهم عن الايمان بمثله
 دليلا على أنه منه ودليلا على وحدانيته وذلك يدل عندنا على بطلان قول من زعم أنه لا يمكن
 ان يعلم بالقرآن الوحدانية وزعم ان ذلك مما لا سبيل اليه الا من جهة العقل لان القرآن
 كلام الله عز وجل ولا يصح ان يعلم الكلام حتى يعلم المتكلم أولا فقلنا اذا ثبت بما بينه
 اعجازه وان الخلق لا يقدرون عليه ثبت ان الذي أقي به غيرهم وأنه انما يختص بالقدرة
 عليه من يختص بالقدرة عليهم وأنه صدق واذا كان كذلك كان ما يتضمنه صدقا وليس
 اذا أمكن معرفته من جهة العقل امتنع ان يعرف من الوجهين وليس الغرض تحقيق
 القول في هذا الفصل لانه خارج عن مقصود كلامنا ولكنا ذكرناه من جهة دلالة الآية
 عليه ومن ذلك قوله عز وجل قل لن اجمعن الانس والجن على ان يأتيوا بمثل هذا القرآن
 لا يأتيون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا وقوله أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون فليأتوا
 بحديث مثله ان كانوا صادقين فقد ثبت بما بيناه أنه تحتاهم اليه ولا يأتيوا بمثله وفي هذا
 أمر ان أحدهما التحدى اليه والاخر انه لم يأتيوا بمثل والذي يدل على ذلك النقل المتواتر

الذي يقع به العلم الضروري فلا يمكن جود واحد من هذين الأمرين وان قال قائل له لم يقرأ عليهم الآيات التي فيها ذكر التحدى وانما قرأ عليهم ما سوى ذلك من القرآن كان كذلك قولاً باطلاً يعلم بطلانه مثل ما يعلم بطلان قول من زعم ان القرآن أضعاف هذا وهو يبلغ حل جل وانه كتم وسيظهر المهدى أو يدعى ان هذا القرآن ليس هو الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وانما هو شئ وضعه عمر أو عثمان رضى الله عنهما حيث وضع المصحف أو يدعى فيه زيادة أو نقصاناً وقد ضمن الله حفظ كتابه ان يأتسه الباطل من بين يديه أو من خلفه ووعده الحق وحكاية قول من قال ذلك يغني عن الرد عليه لان العدد الذين أخذوا القرآن في الامصار وفي البوادي وفي الاسفار والحضر وضبطوه حفظاً من بين صغير وكبير وعرفوه حتى صار لا يشتبه على أحد منهم حرف لا يجوز عليهم السهو والنسيان ولا التخليط فيه والكتمان ولو زادوا ونقصوا أو غيروا لظهر وقد علمت ان شعراى القيس وغيره لا يجوز ان يظهر ظهور القرآن ولا ان يحفظ كحفظه ولا ان يضبط كضبطه ولا ان تمس الحاجة اليه مساسها الى القرآن لو زيد فيه بيت أو نقص منه بيت لابل لو غير فيه لفظ لترا منه أصحابه وأنكره أربابه فاذا كان ذلك مما لا يمكن في شعراى القيس وتطرانه مع ان الحاجة اليه تقع لحفظ العربية فكيف يجوز أو يمكن ما ذكره في القرآن مع شدة الحاجة اليه في أصل الدين ثم في الاحكام والشرائع واشمال الهمم المختلفة على ضبطه ففهم من يضبطه لاحكام فرائده ومعرفة وجوهها وحمة ادائها ومنهم من يحفظه للشرائع والفقه ومنهم من يضبطه ليعرف تفسيره ومعانيه ومنهم من يقصد بحفظه الفصاحة والبلاغة ومن المحدثين من يحصله لينظر في عجيب شأنه وكيف يجوز على أهل هذه الهمم المختلفة والآراء المتباينة على كثرة اعدادهم واختلاف بلادهم وتقافت أغراضهم ان يجتمعوا على التغير والتبديل والكتمان وبين ذلك انك اذا تأملت ما ذكر في أكثر السور مما بينا ومن نظائره في رد قومه عليه ورد غيرهم وقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا وقول بعضهم ان هذا الاختلاف الى الوجوه التي يصرف اليها قولهم في الطعن عليه ففهم من يستهين بها ويجعل ذلك سبباً لتركه الايمان بمثله ومنهم من يزعم انه مفترى فالدلالة على بطلان ما يزعم انه مدارس وانه أساطير الاولين وكرهنا ان نذكر كل آية تدل على تحديه لتلايق التطويل ولو جاز ان يكون بعضه مكتوماً جاز على كله ولو جاز ان يكون بعضه موضوعاً جاز ذلك في كله فثبت بما بينا انه تحدى اليه وانهم لم يأتوا به بل وهذا الفصل قد بينا ان الجميع قد ذكره وبنوا عليه فاذا ثبت هذا وجب ان يعلم بعده ان تركهم للآيات بمثله كان لجزهم

عنه والذي يدل على انهم كانوا عاجزين عن الاتيان بمثل القرآن انه اتخذهم اليه حتى طال التحدي وجعله دالة على صدقه ونبوته ونفعهم احكامه استباحة دمانهم وأموالهم وسبي ذريتهم فلو كانوا يقدرون على تكذيبه لفعلوا وتوصلوا الى تخلص أنفسهم وأهليهم وأموالهم من حكمه بأمر قريب هو عادتهم في لسانهم ومألوف من خطابهم وكان ذلك يغنيهم عن تكلف القتال واكتار المراء والجدال وعن الجلاء عن الاوطان وعن تسليم الالهل والذرية للسبي فلما لم يحصل هناك معارضة منهم علم انهم عاجزون عنها بين ذلك ان العدو يقصد لدفع قول عدوه بكل ما قدر عليه من المكاييد لاسيما مع استعظامه ما لا يدعه بالمجىء من خلع آلهته ونسفيه رأيه في ديانته وتضليل آياته والتغريب عليه بما جاء به واظهار أمر يوجب الانقياد لطاعته والتصرف على حكم ارادته والعدول عن الفهم وعادته والانخراط في سلك الاتباع بعد ان كان متبوعا والتشيع بعد ان كان مشيعا وتحكيم الغير في ماله وتسليطه اياه على جهة أحواله والدخول تحت تكاليف شاقة وعبادات متعبة بقوله وقد علم ان بعض هذه الاحوال مما يذعوا الى سلب النفوس دونها هذا والحبية جينهم والهمم الكبيرة همهمهم وقد بنوا له السيف وأخطروا بنفوسهم وأموالهم فكيف يجوز أن لا يتوصلوا الى الرد عليه والى تكذيبه بأهون سعيهم ومألوف أمرهم وما يمكن تناوله من غير ان يعرق فيه جبين أو يشتغل به خاطر وهو لسانهم الذي يتقاطبون به مع بلوغهم في الفصاحة النهاية التي ليس وراءها مطلع والرتبة التي ليس وراءها منزع ومعلوم انهم لو عارضوه بما اتخذهم اليه لكان فيه توهين أمره وتكذيب قوله وتفرق جمعه وتشتيت أسبابه وكان من صدقه يرجع على أعقابهم ويعود في مذهب أصحابه فلما لم يفعلوا شيئا من ذلك مع طول المدة ووقوع الضممة وكان أمره يتزايد حاله بخالا ويعلوشا فشيئا وهم على الجزع القنح في آيته والطعن في دلالته علم مما بينا انهم كانوا لا يقدرون على معارضته ولا على توهين هجته وقد أخبر الله تعالى عنهم انهم قوم خصمون وقال لتذبره قوما لذا وقال خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين وعلم أيضا ان ما كانوا يقولونه من وجوه اعتراضهم على القرآن مما حكى الله عز وجل عنهم من قولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا ان هذا الاأساطير الاولين وقولهم ما هذا الا مصر مقترى وما معناها هذا في آباننا الاولين وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون وقالوا أفتأتون السحر وأنتم تبصرون وقالوا أننا لنتاركوا آلهتنا لشاره مجنون وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه وأعاناه عليه قوم آخرون فقد جاءوا ظلما وزورا وطالوا أساطير الاولين اكتبها

فهي على عليه بكرة وأصيلا وقال الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا وقوله الذين جعلوا القرآن عضين الى آيات كثيرة في نحو هذا تدل على انهم كانوا متحيزين في أمرهم متحيزين من عجزهم يقرعون الى نحو هذه الامور من تعليل وتعذير ومداخلة بما وقع التحدى اليه وعرف الحث عليه وقد علم منهم انهم ناصبوه الحرب وجاهروه وابذروه وقطعوا الارحام وأخطروا بأنفسهم وطالبوه بالآيات والاثيان بغير ذلك من المجررات يريدون تعجيزه لينظروا عليه بوجه من الوجوه فكيف يجوز ان يقدر واعلى معارضته القرية السهلة عليهم وذلك يدحض حجته وبفسد دلالة ويبطل أمره فيعدلون عن ذلك الى سائر ماصاروا اليه من الامور التي ليس عليها مزيد في المناظرة والمعاداة وبتكون الامر الخفيف هذا مما يتنوع وقوعه في العادات ولا يجوز اتقانه من العقلاء والى هذا قد استقصى اهل العلم الكلام واكثر وافى هذا المعنى وأحكموه ويمكن ان يقال انهم لو كانوا قادرين على معارضته والاثيان بمثل ما أتى به لم يجوز ان يتفق منهم ترك المعارضة وهم على ما هم عليه من الذرابة والسلافة والمعرفة بوجوه الفصاحة وهو يستطيل عليهم بانهم عاجزون عن مباراته وانهم يضعفون عن مجاراته ويكرر فيما جاء به ذكر عجزهم عن مثل ما أتى به ويقرعوهم ويؤنهم عليه ويدرك آماله فهم وينبغي ما يسعى له بتركهم المعارضة وهو يذكر فيما يتلو تعظيم شأنه وتبجيل أمره حتى يتلو قوله تعالى قل لن اجدكم الا ناس واجتمع الا ناس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا وقوله ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده ان أنذروا انه لا اله الا أنا فاتقون وقوله ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم وقوله ان نحن نزلنا الذكر واناله لحافظون وقوله وان له ذكر كلقومك وسوف نسميهم ونقول هدى اتقين وقوله الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشع منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله الى غير ذلك من الآيات التي تبين تعظيم شأن القرآن فيها ما يتكرر في السورة في مواضع منها ومنها ما يتفرد فيها وذلك عما يدعوه الى المباراة ويحضهم على المعارضة وان لم يكن متحديا اليه الا ترى انهم قد كان يتأفروا شعراؤهم بعضهم بعضا ولهم في ذلك مواقف معروفة وأخبار مشهورة وأيام منقولة وكانوا يتناقسون على الفصاحة والخطابة والدلالة ويتبجحون بذلك ويتفاخرون بينهم فلن يجوز والحالة هذه ان يتعافوا عن معارضته لو كانوا قادرين عليها لتحداهم اليها أو لم يتعدهم ولو كان هذا القبيل مما يقدر عليه البشر لوجب في ذلك أمر آخر وهو انه لو كان مقدورا للعباد لكان قد اتفق الى وقت مبعضه من هذا القبيل ما كان يمكنهم ان يعارضوه به وكانوا لا يفتقرون الى تكاف

وضعه وتعمل نظم في الحال فلما لم نرهم احتجوا عليه بكلام سابق وخطبة متقدمة ورسالة سالفة وتظم بديع ولا عارضوه به فقالوا هذا افصح مما جئت به وأعرب منه وأهو منه علم انهم يكن الى ذلك سبيل وانه لم يوجد له نظير ولو كان وجد له مثل لكان ينقل الينا ولعرفناه كما نقل الينا أشعار أهل الجاهلية وكلام الفصحاء والحكماء من العرب وأدى الينا كلام الكهان وأهل الرجز والسجع والقصيد وغير ذلك من أنواع بلاغاتهم وصنوف فصاحتهم فان قيل الذي بنى عليه الامر في تثبيت معجزة القرآن انه وقع التعدي الى الاتيان بمثله وانهم عجزوا عنه بعد التعدي اليه فاذا نظر الناظر وعرف وجه النقل المتواتر في هذا الباب وجب له العلم بأنهم كانوا عاجزين عنه وما ذكرتم بوجوب سقوط تأثير التعدي وان ما أتى به قد عرف البعز عنه بكل حال قيل انما احتجنا الى التعدي لا قامة الحجة واظهار وجه البرهان لان المعجزة اذا ظهرت فاعلمنا ان يكون حجة بان يدعيها من ظهرت عليه ولا تظهر على مدعى لها الا وهي معلومة انها من عند الله فاذا كان يظهر وجه العجاز فيها للكافة بالتعدي وجب فيها التعدي لانه تزول بذلك الشبهة عن الكل وينكشف للجميع ان المعجز واقع عن المعارضة والا فان مقتضى ما قدمناه من الفصل أن من كان يعرف وجوه الخطاب ويتقن مصارف الكلام وكان كاملا في فصاحته جامعاً للعرفة بوجوه الصناعة لو انه احتج عليه بالقرآن وقيل له ان الدلالة على النبوة والآية على الرسالة ما أتوه عليك منه لكان ذلك بلاغا في ايجاب الحجة وتما في الزامه فرض المصير اليه وبما يؤكد هذا أن النبي صلى الله عليه وسلم قد دعا الاتحاد الى الاسلام فاحتجوا عليهم بالقرآن لا ناعلم انه لم يلزمهم تصديقه تقليداً ونعلم ان السابقين الاولين الى الاسلام لم يقلدوا وما ناعلم دخولوا على بصيرة ولم نعلمه قال لهم ارجعوا الى جميع القمحاء فان عجزوا عن الاتيان بمثله فقد ثبتت حجتى بل لما رأيهم يعلون اعجازه ألزمهم حكمه فقبلاه وتابعوا الحق وبادروا اليه مستسلمين ولم يشكوا في صدقه ولم يرتابوا في وجه دلالته فمن كانت بصيرته أقوى ومعرفته أبلغ كان الى القبول منه أسبق ومن اشتبه عليه وجه الاعجاز واشتباه عليه بعض شروط المعجزات وأدلة النبوات كان أبطلأ الى القبول حتى تكاملت أسبابه واجتمعت له بصيرته وترادفت عليه مواده وهذا فصل يجب ان يتم القول فيه بعد فليس هذا موضع له وبين ما قلناه ان هذه الآية علم يلزم الكل قبوله والالتقائه وقد علمنا تفاوت الناس في ادراكه ومعرفته وجه دلالته لان الاجمعي لا يعلم انه معجز الا بأن يعلم بعجز العرب عنه وهو يحتاج في معرفة ذلك الى أمور لا يحتاج اليها من كل من أهل صنعة الفصاحة فاذا عرف عجز أهل الصنعة حل محالهم وجرى مجراهم في توجه الحجة عليه وكذلك لا يعرف

المتوسط من أهل اللسان من هذا الشأن ما يعرفه العالي في هذه الصنعة فربما حل في ذلك محل الاجمعي في أن لا يتوجه عليه الحجة حتى يعرف عجز المتناهي في الصنعة عنه وكذلك لا يعرف المتناهي في معرفة الشعر وحده أو الغاية في معرفة الخطيب أو الرسائل وحدهما غور هذا الشأن ما يعرف من استكمال معرفة جميع تصاريق الخطاب ووجوه الكلام وطرق البراعة فلا تكون الحجة قائمة على المختص ببعض هذه العلوم بانفرادها دون تحقيقه بعجز البارع في هذه العلوم كلها عنه فأما من كان متناهيًا في معرفة وجوه الخطاب وطرق البلاغة والفنون التي يمكن فيها اظهار الفصاحة فهو متى سمع القرآن عرف اعجازه وان لم تقل ذلك أدى هذا القول الى ان يقال ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يعرف اعجاز القرآن حين أوحى اليه حتى سبر الحلال بعجز أهل اللسان عنه وهذا خطأ من القول فصيح من هذا الوجه ان النبي صلى الله عليه وسلم حين أوحى اليه القرآن عرف كونه معجزًا وبأن قيل له انه دلائل على نبوته انه كذلك من قبل ان يقرأه على غيره أو يقتدى اليه سواء ولذلك قلنا ان المتناهي في الفصاحة والعلم بالاساليب التي يقع فيها التفاسير متى سمع القرآن عرف انه معجز لانه يعرف من حال نفسه انه لا يقدر عليه ويعرف من حال غيره مثل ما يعرف من حال نفسه فيعلم ان عجز غيره كعجزه هو وان كان يحتاج بعده الى استدلال آخر على انه علم على نبوة ودلالة على رسالة بأن يقال له ان هذه آية نبيه واتماظرت عليه وادعاها معجزته وبرهان على صدقه فان قيل فان من الفصحاء من يعلم عجز نفسه عن قول الشعر ولا يعلم مع ذلك عجز غيره عنه فكذلك البليغ وان علم عجز نفسه عن مثل القرآن فهو قد يخفى عليه عجز غيره قيل هو مع مستقر العادة وان عجز عن قول الشعر وعلم انه معجز فانه يعلم ان الناس لا يتفكرون من وجود الشعراء فيهم ومتى علم البليغ المتناهي في صنوف البلاغات عجزه عن القرآن علم عجز غيره لانه كهم لانه يعلم ان طله وحال غيره في هذا الباب سواء اذ ليس في العادة مثل القرآن يحوز أو يعلم قدرًا أحد من البلغاء عليه فاذا لم يكن كذلك مثل في العادة وعرف هذا الناظر جميع أساليب الكلام وأنواع الخطاب ووجد القرآن مباينًا لها علم خروجه عن العادة وجرى مجرى ما يعلم ان اخراج اليد البيضاء من الجيب خارج عن العادات فهو لا يحوز من نفسه وكذلك لا يحوز وقوعه من غيره الا على وجه نقض العادة بل يرى وقوعه موقع المعجزة وهذا وان كان يفارق فلق البحر واخراج اليد البيضاء ونحو ذلك من وجه وهو انه يستوى الناس في معرفة عجزهم عنه فكونه ناقضًا للعادة من غير تأمل شديد ولا نظر بعيد فان النظر في معرفة اعجاز القرآن يحتاج الى تأمل ويفتقر الى مراعاة مقدمات والكشف عن أمور نحن ذاكروها بعد هذا الموضوع فكل

واحد منها يؤل الى مثل حكم صاحبه في الجمع الذي قدمنا ومما بين ما قلناه من ان البليغ المتناهي في وجوه الفصاحة يعرف بعجاز القرآن وتكون معرفته حجة عليه اذا تعدى اليه ويجز عن مثله وان لم ينظر وقوع التعدى في غيره وما الذي يصنع ذلك الغير وهو ماروى في الحديث ان جبير بن مطعم ورد على النبي صلى الله عليه وسلم في معنى حليف له اراد ان يفاديه فدخل والنبي صلى الله عليه وسلم يقرأ سورة والطور وكتاب مسطور في صلاة الفجر قال فلما انتهى الى قوله ان عذاب ربك لواقع ماله من دافع قال خشيت ان يدركني العذاب فاسلم وفي حديث آخر ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه سمع سورة طه فاسلم وقد روى ان قوله عز وجل في أول حم السجدة الى قوله فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون نزلت في شبة وعتبة ابني ربيعة وأبي سفيان بن حرب وأبي جهل وذكر انهم بعثواهم وغيرهم من وجوه قريش بعثة بن ربيعة الى النبي صلى الله عليه وسلم ليكلمه وكان حسن الحديث عجيب الشأن بليغ الكلام وأرادوا ان يأتهم بعائده فقرأ النبي صلى الله عليه وسلم سورة حم السجدة من أولها حتى انتهى الى قوله فان أعرضوا قفل أنذرناكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فوثب مخافة العذاب فاستصكوه ما سمع فذكر انه لم يسمع منه كلمة واحدة ولا اهتدى لجوابه ولو كان ذلك من جنس كلامهم لم يخف عليه وجه الاحتجاج والرد فقال له عثمان بن مظعون لتعلموا انه من عند الله اذ لم يهتد لجوابه وأين من ذلك قول الله عز وجل "وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه فجعل سماعه حجة عليه بنفسه فدل على ان فهم من يكون سماعه اياه حجة عليه فان قيل لو كان على ما قلتم لوجب ان يكون حال الفصحاء الذين كانوا في عصر النبي صلى الله عليه وسلم على طريقة واحدة في اسلامهم عند سماعه قيل لا يجب ذلك لان صوارفهم كانت كثيرة منها انهم كانوا يسكون منهم من يشك في اثبات الصانع وفهم من يشك في التوحيد وفهم من يشك في النبوة ألا ترى ان أباسفيان بن حرب لما جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسلم عام الفتح قال له النبي عليه السلام أما أن لك ان تشهد ان لا اله الا الله قال بلى فشهد قال أما أن لك ان تشهد اني رسول الله قال أما هذه ففي النفس منها شيء فكانت وجوه شكوكهم مختلفة وطرق شبههم متباينة فهم من قلت شبهه وتأمل الحجة حق تأملها ولم يستكبر فاسلم ومنهم من كثرت شبهه وأعرض عن تأمل الحجة حق تأملها أولم يكن في البلاغة على حدود النهاية فقطاول عليه الزمان الى ان نظر واستبصر وراعى واعتبر واحتاج الى ان يتأمل مجز غيره عن الايمان بمثله فلذلك وقب أمره ولو كانوا في الفصاحة على مرتبة واحدة وكانت صوارفهم وأسبابهم متفقة

لنوافقوا الى القول جملة واحدة فان قيل فكيف يعرف البليغ الذي وصفتموه اعجاز القرآن وما الوجه الذي يتطرق به اليه والمنهاج الذي يسلكه حتى يقف به على جليلة الامر فيه قيل هذا سبيله ان يفرد له فصل فان قيل فلم زعمتم ان البلاغة عاجزون عن الاتيان بمثله مع قدرتهم على صنوف البلاغات وتصرفهم في أجناس الفصاحات وهلا قلتم ان من قدر على جميع هذه الوجوه البديعة وتوجه من هذه الطرق الغريبة كان على مثل نظم القرآن قادرا وانما يصرفه الله عنه ضربا من الصرف أو يمنعه من الاتيان بمثله ضربا من المنع أو تقتصر دواعيه وورنه مع قدرته عليه ليستكمل ما أراد الله من الدلالة ويحصل ما قصده من ايجاب الجملة لان من قدر على نظم كثرين بديعين لم يعجز عن نظم مثلهما وإذا قدر على ذلك قدر على ضم الثانية الى الاولى وكذلك الثالثة حتى يشكامل قدر الآية والسورة فالجواب انه لو صح ذلك صح لكل من أمكنه نظم ربع بيت أو مصراع من بيت ان ينظم القصائد ويقول الاشعار وصح لكل ناطق قد يتفق في كلامه الكلمة البديعة نظم الخطب البليغة والرسائل العجيبة ومعلوم ان ذلك غير سائغ ولا يمكن على ان ذلك لو لم يكن مجزا على ما وصفناه من جهة نظمه الممتنع لكان حط من رتبة البلاغة فيه ووضع من مقدار الفصاحة في نظمه أبلغ في الاعجوبة اذا صرفوا عن الاتيان بمثله ومنعوا عن معارضته وعدلت دواعيهم عنه فكان يستغنى عن انزاله على النظم البديع واخرجه في المعرض الفصيح العجيب على انه لو كانوا صرفوا على ما ادعاه لم يكن من قبلهم من أهل الجاهلية مصر وبن عمار كان يعدل به في الفصاحة والبلاغة وحسن النظم والعجيب الرصف لانهم لم يتعدوا اليه ولم تازمهم جهته فلما لم يوجد في كلام من قبله مثله علم ان ما ادعاه القائل بالصفرة ظاهر البطلان وفيه معنى آخر وهو ان أهل الصنعة في هذا الشأن اذا سمعوا كلاما مطمعا لم يخف عليهم ولم يشبهه لديهم ومن كان متناهما في فصاحته لم يحزن ان يطعم في مثل هذا القرآن بحال فان قال صاحب السؤال انه قد يطمع في ذلك قيل له أنت تريد على هذا فتزعم ان كلام الادعي قد يضارع القرآن وقد يزيد عليه في الفصاحة ولا يتعاشاه وبحسب أن ما ألفه في الجزء والظفرة هو أبداع وأعرب من القرآن لفظا ومعنى ولكن ليس الكلام على ما يقدره مقدر في نفسه وبحسبه ظان من أمره والمرجوع في هذا الى جملة الفصحاء دون الآحاد ونحن نبين بعد هذا وجه امتناعه عن الفصيح البليغ وغيره في ذلك عن سائر أجناس الخطاب ليعلم ان ما يقدره من مساواة كلام الناس به تقدير ظاهر الخطأ بين الغلط وان هذا التقدير من جنس من حكى الله تعالى قوله في محكم كتابه انه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر ثم قتل ثم عبس وبسر ثم أدبر

واستكبر فقال ان هذا الامع يؤثر ان هذا الا قول البشر فهم يعبرون عن دعواهم
 انهم يمكنهم ان يقولوا مثله بأن ذلك من قول البشر لان ما كان من قولهم فليس يقع فيه
 التفاضل الى الحد الذي يتجاوز امكان معارضته وما يبطل ما ذكره من القول بالصرقة
 انه لو كانت المعارضة ممكنة وانما منع منها الصرقة لم يكن الكلام مجزأ وانما يكون المنع
 مجزأ فلا يتضمن الكلام فضيلة على غيره في نفسه وليس هذا بأعجب مما ذهب اليه فريق
 منهم ان الكل قادرون على الاتيان بمثله وانما يتأخرون عنه لعدم العلم بوجه ترتيبه لو تعلموه
 لو صلا اليه به ولا بأعجب من قول فريق منهم انه لا فرق بين كلام البشر وكلام الله تعالى في
 هذا الباب وانه يصح من كل واحد منهما الاعجاز على حد واحد فان قيل فهل تقولون بان
 غير القرآن من كلام الله عز وجل مجزأ كالنوراة والانجيل والعصف قبل ليس شئ من
 ذلك مجزأ في النظم والتأليف وان كان مجزأ كالقرآن فيما يتضمن من الاخبار بالتيوب
 وانما لم يكن مجزأ لان الله تعالى لم يصفه بما وصف به القرآن ولانا قد علمنا انه لم يقع التصدي
 اليه كما وقع التصدي الى القرآن ولعنى آخر وهو ان ذلك اللسان لا يتأتى فيه من وجوه
 الفصاحة ما يقع به التفاضل الذي ينتهي الى حد الاعجاز ولكنه يتقارب وقد رأيت
 أصحابنا يذكرون هذا في سائر اللسنة ويقولون ليس يقع فيها من التفاوت ما يتضمن
 التقديم الجيب ويمكن بيان ذلك بأننا لا نجد في القدر الذي نعرفه من اللسنة للشئ الواحد
 من الاسماء ما نعرف من اللغة وكذلك لانعرف فيها الكلمة الواحدة تناول المعاني الكثيرة
 على ما تناوله العربية وكذلك التصرف في الاستعارات والاشارات ووجوه الاستحالات
 البديعة التي يجيء تفصيلها بعد هذا ونشهد لذلك من القرآن ان الله تعالى وصفه بأنه بلسان
 عربي مبين وكرر ذلك في مواضع كثيرة وبين انه رفعه عن ان يجعله أعجميا فلو كان يمكن
 في لسان العجم ايراد مثل فصاحته لم يكن ليرفعه عن هذه المنزلة وانه وان كان يمكن ان يكون
 من فائدة قوله انه عربي مبين انه مما يفهمونه ولا يفتقرون فيه الى الرجوع الى غيرهم
 ولا يحتاجون في تفسيره الى من سواهم فلا يمتنع ان يفيد ما قلنا أيضا كما أفاد بظاهره
 ما قدمناه وبين ذلك ان كثيرا من المسلمين قد عرفوا تلك اللسنة وهم من أهل البراعة
 فيها وفي العربية فقد وقفوا على انه ليس يقع فيها من التفاضل والفصاحة ما يقع في
 العربية ومعنى آخر وهو اننا لم نجد أهل التوراة والانجيل ادعوا الاعجاز لكنهم
 ولا ادعى لهم المسلمون فعلم ان الاعجاز مما يختص به القرآن وبين هذا ان الشعر لا يتأتى
 في تلك اللسنة على ما قد اتفق في العربية وان كان قد يتفق منها صنف أو أصناف ضيقة
 لم يتفق فيها من البديع ما يمكن ويتأتى في العربية وكذلك لا يتأتى في الفارسية جميع

الوجوه التي يتبين فيها الفصاحة على ما يتأتى في العربية فان قيل فان المجوس تزعم ان كتاب زرادشت وكتاب ماني مجزان قيل الذي يتضمنه كتاب ماني من طريق النيرانجات وضروب من الشعوذة ليس يقع فيها اعجاز ويزعمون ان في الكتاب الحكم وهي حكم منقولة متداولة على اللسان لا يختص بها أمة دون أمة وان كان بعضهم أكثر اهتماما بها وتحصيلا لها وجعلها أبوابا وقد أتى قوم ان ابن المقفع عارض القرآن وانما فزعوا الى الدرّة اليتيمة وهما كتابان أحدهما يتضمن حكما منقولة توجد عند حكام كل أمة مذكورة بالفضل فليس فيها شيء يبيع من لفظ ولا معنى والآخر في شيء من البيانات وقد تهوس فيه بما لا يخفى على متأمل وكتابه الذي ينه في الحكم منسوخ من كتاب بزرجمهر في الحكمة فأى صنع له في ذلك وأى فضيلة حازها فيما جاء به وبعد فليس يوجد له كتاب يدعي مدع انه عارض فيه القرآن بل يزعمون انه اشتغل بذلك مدة ثم مرق ما جمع واستصفا لنفسه من اظهاره فان كان كذلك فعلة أصاب وأبصر القصد ولا يمتنع ان يشتهبه عليه الحال في الابتداء ثم يلوح له رشده ويتبين له أمره وينكشف له عجزه ولو كان بقي على اشتباه الحال عليه لم يخف علينا موضع غفلته ولم يشتهبه لدينا وجه شبهته ومتى أمكن ان تدعى الفرس في شيء من كتبهم انه مجبر في حسن تأليفه وعجيب نظمه

فصل في جملة وجوه اعجاز القرآن

ذكر اصحابنا وغيرهم في ذلك ثلاثة اوجه من الاعجاز • أحدها يتضمن الاخبار عن الغيوب وذلك مما لا يقدر عليه البشر ولا سيبل لهم اليه فن ذلك ما وعد الله تعالى نبيه عليه السلام انه سيظهر دينه على الاديان بقوله عز وجل هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ففعل ذلك وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه اذا أغزى جيوشه عرضهم ما وعدهم الله من اظهار دينه ليشقوا بالنصر ويستيقنوا بالفتح وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يفعل كذلك في أيامه حتى وقف أصحاب جيوشه عليه فكان سعد بن أبي وقاص رحمه الله وغيره من أمراء الجيوش من جهته يذكر ذلك لاصحابه ويحرضهم به ويوثق لهم وكانوا يلقون الظفر في موجهاهم حتى فتح الى آخر أيام عمر رضي الله عنه الى بلخ وبلاد الهند وفتح في أيامه مرو والشاهيان ومرو الروذ ومنعهم من العبور يجمعون وكذلك فتح في أيامه فارس الى اصفخر وكرمان ومكران ومجستان وجميع ما كان من مملكة كسرى وكل ما كان يملكه ماوك الفرس بين البحرين من الفرات الى جيحون وأزال ملك

ملوك الفرس فلم يعد الى اليوم ولا يعود ابدا ان شاء الله تعالى تم الى حدود ارمينية والى باب الابواب وفتح ايضا ناحية الشام والاردن وفلسطين وفسطاط مصر وأزال ملك قيصر عنها وذلك من الفرات الى بحر مصر وهو ملك قيصر وغزت الخيول في أيامه الى عورية فأخذ الضواحي كلها ولم يبق دونها الا ما حوزونه بحر أو حال عنه جبل منيع أو أرض خشنة أو بادية غير مسلوكة وقال الله عز وجل قل للذين كفروا مستغلبون وتخشرون الى جهنم وبئس المهاد فصدق فيه وقال في أهل بدر واذ بعدكم الله احدى الطائفتين أنها لكم ووفى لهم بما وعد وجيع الآيات التي يتضمنها القرآن من الاخبار عن الغيوب يكثر جدا وانما أردنا أن نبينه بالبعض على السكل والوجه الثاني انه كان معلوما من حال النبي صلى الله عليه وسلم انه كان أميا لا يكتب ولا يحسن ان يقرأ وكذلك كان معروفا من حاله انه لم يكن يعرف شيئا من كتب المتقدمين وأفاضليهم وأنبأهم وسيرهم ثم أتى بجملة ما وقع وحدث من عظمت الامور ومهمات السير من حين خلق الله آدم عليه السلام الى حين مبعثه فذكر في الكتاب الذي جاء به مجهزة قصة آدم عليه السلام وابتداء خلقه وما صار اليه امر من الخروج من الجنة ثم جلا من امر ولده وأحواله وتوبته ثم ذكر قصة نوح عليه السلام وما كان بينه وبين قومه وما انتهى اليه امره وكذلك أمر ابراهيم عليه السلام الى ذكر سائر الانبياء المذكورين في القرآن والملوك والفراعنة الذين كانوا في أيام الانبياء صلوات الله عليهم ونحن نعلم ضرورة أن هذا مما لا سبيل اليه الا عن تعلم واذا كان معروفا انه لم يكن ملابسا لاهل الآثار وجملة الاخبار ولا مترددا الى التعلم منهم ولا كان ممن يقرأ فيصير أن يقع اليه كتاب فباخذ منه علم انه لا يصل الى علم ذلك الا بتأييد من جهة الوحي ولذلك قال عز وجل وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون وقال وكذلك نفصل الآيات وليقولوا درست وقد بينا ان من كان يختلف الى تعلم علم ويشغل بلباسة أهل صنعة لم يخف على الناس أمره ولم يختلف عندهم مذهبه وقد كان يعرف فهم من يحسن هذا العلم وان كان نادرا وكذلك كان يعرف من يختلف اليه للتعليم وليس يخفى في العرف عالم كل صنعة ومتعلمها فلو كان منهم لم يخف أمره والوجه الثالث انه يبيع النظم بحسب التأليف متناه في البلاغة الى الحد الذي يعلم عجز الخلق عنه والذي أطلقه العلماء هو على هذه الجملة ونحن نفصل ذلك بعض التفصيل ونكشف الجملة التي أطلقوها فالذي يشتمل عليه يبيع نظمها المتضمن للعجاز وجوه منها ما يرجع الى الجملة وذلك ان نظم القرآن على تصرف وجوه واختلاف مذاهبه خارج عن العهد من نظام جميع كلامهم

ومبان لألوف من ترتيب خطابهم وله أسلوب يختص به ويقيز في تصرفه عن أساليب الكلام المعتاد وذلك أن الطرق التي يتقيد بها الكلام البديع المنظوم تنقسم إلى أعاريض الشعر على اختلاف أنواعه ثم إلى أنواع الكلام الموزون غير المقفى ثم إلى أصناف الكلام المعدل المسجع ثم إلى معبدل موزون غير مسجع ثم إلى ما يرسل أو سالا فتطلب فيه الإصابة والأفادة وأفهام المعاني المعترضة على وجه بديع وترتيب لطيف وان لم يكن معتدلا في وزنه وذلك شبيهة بجملة الكلام الذي لا يتجمل ولا يصنع له وقد علمنا أن القرآن خارج عن هذه الوجوه ومبان لهذه الطرق ويبقى علينا أن نبين أنه ليس من باب المسجع ولا فيه شيء منه وكذلك ليس من قبيل الشعر لأن من الناس من زعم أنه كلام مسجع ومنهم من يدعى أن فيه شعرا كثيرا والكلام عليهم يذكر بعد هذا الموضع فهذا إذا تأمله المتأمل تبين بجزوه عن أصناف كلامهم وأساليب خطابهم أنه خارج عن العادة وأنه معجز وهذه خصوصية ترجع إلى جملة القرآن وتميز حاصل في جميعه ومنها أنه ليس للعرب كلام مشتمل على هذه الفصاحة والغرابة والتصرف البديع والمعاني اللطيفة والقوائد الغريبة والحكم الكثيرة والتناسب في البلاغة والتشابه في البراعة على هذا الطول وعلى هذا القدر وانما تنسب إلى حكمهم كلمات معدودة وألفاظ قليلة وإلى شاعرهم قصائد محصورة يقع فيها ما يبينه بعد هذا من الاختلال ويعترضها ما تكشفه من الاختلاف ويقع فيها ما يبديه من التجميل والتكلف والتعجز والتعسف وقد حصل القرآن على كثرة وطوله متناسبا في الفصاحة على ما وصفه الله تعالى به فقال عز من قائل الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تشعرت منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا فأخبر أن كلامه لا يدعى أن امتد وقع فيه التفاوت وبأن عليه الاختلال وهذا المعنى هو غير المعنى الأول الذي بدأنا به ذكره فتأمل أنه تعرف الفضل وفي ذلك معنى ثالث وهو أن عجيب نظمه وبديع تأليفه لا يتفاوت ولا يتباين على ما يتصرف إليه من الوجوه التي يتصرف فيها من ذكر قصص ومواظب واحتجاج وحكم وأحكام واعداد وانذار ووعود وعيد وتبشير وتخويف وأوصاف وتعليم أخلاق كريمة وشيم رفيعة وسير مأثورة وغير ذلك من الوجوه التي يشتمل عليها وتجد كلامه البليغ التكاملا والشاعر المقلق والخطيب المصقع يختلف على حسب اختلاف هذه الأموزة فمن الشعراء من يجود في المدح دون الهجو ومنهم من يبرز في الهجو دون المدح ومنهم من يسبق في التقرير دون التأنيين ومنهم من يجود في التأنيين دون التقرير ومنهم من يغرب في وصف الأبل أو الخيل أو سير الليل أو وصف الحرب أو وصف الروض أو وصف

الجرأ والغزل أو غير ذلك مما يشتمل عليه الشعر ويتداوله الكلام ولذلك ضرب المثل
بامرئ القيس اذا ركب والتابغة اذا رهب وبرزهر اذا رغب ومثل ذلك يختلف في
الخطب والرسائل وسائر أجناس الكلام ومتى تأملت شعر الشاعر البليغ رأيت
التفاوت في شعره على حسب الاحوال التي يتصرف فيها فبأني بالغاية في البراعة في معنى
فاذا جاء الى غيره قصر عنه ووقف دونه وبان الاختلاف على شعره ولذلك ضرب المثل بالذين
مهمتهم لانه لا خلاف في تقدمهم في صنعة الشعر ولا شك في تبرؤهم في مذهب النظم فاذا
كان الاختلال بينا في شعرهم لا اختلاف ما يتصرفون فيه واستغنينا عن ذكر من هودونهم
وكذلك يستغنى به عن تفصيل نحو هذا في الخطب والرسائل ونحوها ثم نجد في الشعراء من
يجود في الرجز ولا يمكنه نظم القصيدة أصلاً ومنهم من ينظم القصيدة ولكن يقصر فيه مهما
تكلفه أو علمه ومن الناس من يجود في الكلام المرسل فاذا أتى بالموزون قصر ونقص
نقصاً ناجحياً ومنهم من يوجد بضد ذلك وقد تأملنا نظم القرآن فوجدنا جميع ما يتصرف
فيه من الوجوه التي قد مر ذكرها على حد واحد في حسن النظم وبديع التأليف والرصف
لا تفاوت فيه ولا انحطاط عن المنزلة العليا ولا اسفال فيه الى الرتبة الدنيا وكذلك قد
تأملنا ما يتصرف اليه وجوه الخطاب من الآيات الطويلة والقصيرة فرأينا الإيجاز في
جميعها على حد واحد لا يختلف وكذلك قد يتفاوت كلام الناس عند إعادة ذكر القصة
الواحدة فرأينا غير مختلف ولا متفاوت بل هو على نهاية البلاغة ونفاية البراعة
فعلينا بذلك انه مما لا يقدر عليه البشر لان الذي يقدرون عليه قد بينا فيه التفاوت
الكثير عند التكرار وعند تبين الوجوه واختلاف الاسباب التي يتفهم ●
ومعنى رابع وهو ان كلام الفصحاء يتفاوت تفاوتاً بينا في الفصل والوصل والعلو
والتزول والتقريب والتباعد وغير ذلك مما ينقسم اليه الخطاب عند النظم ويتصرف فيه
القول عند الضم والجمع ألا ترى ان كثيراً من الشعراء قد وصف بالنقص عند التنقل
من معنى الى غيره والخروج من باب الى سواه حتى ان أهل الصنعة قد اتفقوا على تقصير
البصري مع جودة نظمه وحسن وصفه في الخروج من النسيب الى المديح وأطبقوا على أنه
لا يحسنه ولا يأتي فيه بشئ وانما اتفقوا في مواضع معدودة خرج يرقض وتنقل يستحسن
وكذلك يختلف سبيل غيره عند الخروج من ثئ الى ثئ والتحول من باب الى باب ونحن
نفصل بعد هذا ونفسر هذه الجملة ونبين على أن القرآن على اختلاف ما يتصرف فيه من
الوجوه الكثيرة والطرق المختلفة يجعل المختلف كل مؤلف والمتباين كل متناسب والمتماثل
في الافراد الى حد الاتحاد وهذا أمر عجيب يتبين فيه الفصاحة وتظهر به البلاغة ويخرج

به الكلام عن حد العادة وتجاوز العرف * ومعنى خامس وهو أن نظم القرآن وقع موقعا في البلاغة يخرج عن عادة كلام الانس والجن فهم يعجزون عن الاتيان بمثله كعجزنا ويقصرون دونه كقصورنا وقد قال الله عز وجل قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا فان قيل هذه دعوى منك وذلك أنه لا سبيل لنا الى أن نعلم عجز الجن عن مثله وقد يجوز أن يكونوا قادرين على الاتيان بمثله وان كنا عجزين كما أنهم قديقرون على أمور لطيفة وأسباب غامضة دقيقة لا تقدر نحن عليها ولا سبيل لنا للطفها اليها واذا كان كذلك لم يكن الى علم ما دعيت سبيل قيل قديمكن أن نعرف ذلك بخبر الله عز وجل وقد يمكن أن يقال ان هذا الكلام خرج على ما كانت العرب تعتقده من مخاطبة الجن وما يروون لهم من الشعر ويحكون عنهم من الكلام وقد علمنا أن ذلك محفوظ عندهم منقول عنهم والقدر الذي نقلوه قدنا ملناه فهو في الفصاحة لا يتجاوز حد فصاحة الانس ولعله يقصر عنها ولا يمتنع ان يسمع الناس كلامهم ويقع بينهم وبينهم محاورات في عهد الانبياء صلوات الله عليهم وذلك الزمان مما لا يمتنع فيه وجود ما ينقض العادات على أن القوم الى الآن يعتقدون مخاطبة الغيلان ولهم أشعار محفوظة مروية في دواوينهم قال نابض شرا

وأدهم قد حبت جليابه * كما احتابت الكاعب الخيلا
الى ان حد الصبح اتناه * وقرق جليابه الاليسلا
على شيم نارب تنورتها * قبت لها مدبرا مقبلا
فأصبحت والغول لي جارة * فياجارتا أنت ما أهسولا
وطالبتها بضعا فالتوت * بوجه تهول واسستغولا
فني سال أين فوت جارق * فان لها بالوى مستزلا
وكنت اذا ما هممت اعترمت وأخر اذا قت أن أفعلا
(وقال آخر) عشوانارى فقلت منون أنتم * فقالوا الجن قلت عوا ظلاما
فقتت الى الطعام فقال منهم * زعيم يحسد الانس الطعاما
ويذكرون لامرئ القيس قصيدة مع عمر والجنى وأشعارا لهما كرهنا ذكرها طولها
وقال عبيد بن أيوب

قله در الغول أى رقيقة * لصاحب قصر خائف متقفر
أرنت لجن بعد لجن وأوقدت * حوالى نيرانا تبوخ وترهر
وقال ذو الرمة بعد قوله

قد أعسف النازح المجهول معسفه * في ظل أخضر يدعو هامة اليوم
للجن بالليل في حافات زجل * كما تناوح يوم الريح عيشوم
دوية ودجا ليل كانهما * يتران في حافته الروم
(وقال أيضا)

وكم عرس بعد التوى من معرس * لهما من كلام الجن أصوات سامر
(وقال) ورمل عريف الجن في عقباته * هزير كتصراب المغنين بالطبل
وإذا كان القوم يعتقدون كلام الجن ومخاطباتهم ويحكون عنهم وذلك القدر المحكي
لا يزيد أمره على فصاحة العرب صم ما وصف عندهم من عجزهم عنه كعجز الانس وبين
ذلك من القرآن ان الله تعالى حكى عن الجن ما تناوضوا فيه من القرآن فقال وانصرنا
اليك نفرنا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروا قالوا أنصتوا فلما قضى ولوا الى قومهم
منذرين الى آخر ما حكى عنهم فيما يتلوه فاذا ثبت انه وصف كلامهم ووافق ما يعتقدونه
من قتل خطابهم صم ان يوصف الشيء المألوف بأنه يخط عن درجة القرآن في الفصاحة
وهذان الجوابان أسد عندى من جواب بعض المتكلمين عنه بأن عجز الانس عن القرآن
يثبت له حكم الاجاز فلا يعتبر غيره الا ترى انه لو عرفنا من طريق المشاهدة عجز الجن
عنه فقال لنا قل فدلوا على ان الملائكة تعجز عن الاتيان بمثله لم يكن لنا في الجواب غير هذه
الطريقة التي قد بيناها وانما ضعفتها هذا الجواب لان الذى حكى وذكر عجز الجن والانس
عن الاتيان بمثله فيجب ان نعلم عجز الجن عنه كما علمنا عجز الانس عنه ولو كان وصف عجز
الملائكة عنه لوجب ان نعرف ذلك أيضا بطريقه فان قيل أتمم قد انتهيت الى ذكر الاجاز
في التفاصيل وهذا الفصل انما يدل على الاجاز في الجملة قيل هذا كما انه يدل على الجملة فانه
يدل على التفصيل أيضا فصم ان يلحق هذا القليل كما كان يصح ان يلحق بياب الجبل *
ومعنى سادس وهو ان الذى ينقسم عليه الخطاب من البسط والاقتصاد والجمع والتفريق
والاستعارة والتصريح والتجوز والتصديق ونحو ذلك من الوجوه التي توجد في كلامهم
موجود في القرآن وكل ذلك مما يتجاوز حدود كلامهم المعتادينهم في الفصاحة والابداع
والبلاغة وقد ضمننا بيان ذلك بعد لان الوجه هنا ذكر المقدمات دون البسط
والتفصيل • ومعنى سابع وهو ان المعاني التي تتضمن في اصل وضع الشريعة والاحكام
والاحتياجات في أصل الدين والرد على الملحدين على تلك الالفاظ البديعة وموافقة بعضها
بعضا في اللطف والبراعة مما يتعذر على البشر وينتج ذلك انه قد علم ان تخير الالفاظ للعاني
المستدالة المألوفة والاسباب الدائرة بين الناس أسهل وأقرب من تخير الالفاظ لمعان

مبتكرة وأسباب مؤسمة مسعدة فلو أبرع اللفظ في المعنى البارع كان اللفظ وأجيب
 من أن يوجد اللفظ البارع في المعنى المتداول المتكرر والامر المتقرر المنصور ثم
 ان انضاف الى ذلك التصرف البديع في الوجوه التي تضمن تأييد ما يبتدأ تأسيسه ويراد
 تحقيقه بان التفاضل في البراعة والفصاحة ثم اذا وجدت الالفاظ وفق المعنى والمعاني
 وفقها لا يفضل أحدهما على الآخر فالبراعة أظهر والفصاحة أتم * ومعنى ثامن وهو
 ان الكلام لا يفضل بين فضله ورجحان فصاحته بأن تذكر منه الكلمة في نضعيف كلام أو
 تذف ما بين شعر فتأخذ الامع وتشوف اليه النفوس ويرى وجهه ونقه بأدبا غامرا
 سائر ما يقرن به كالذرة التي ترى في سلك من خرز وكالياقوتة في واسطة العقد وأنت
 ترى الكلمة من القرآن يمثلها في نضعيف كلام كثير وهي غرة جميعه وواسطة
 عقده والمنادى على نفسه بتمييزه وتخصصه برنقه وجماله واعتراضه في جنسه ومائه وهذا
 الفصل أيضا مما يحتاج فيه الى تفصيل وشرح ونص ليحقق ما ادعينا منه ولولا هذه
 الوجوه التي يبناهم بغير فيه أهل الفصاحة وكانوا يفرغون الى التعليل القابلة والتصنع
 للمعارضة وكانوا ينظرون في أمرهم ويراجعون أنفسهم أو كان يراجع بعضهم بعضا في
 معارضته ويتوقفون لها فلما لم يفرغوا بذلك علم ان أهل المعرفة منهم بالصنعة انما
 عدلوا عن هذه الامور لعلمهم بجزمهم عنه وقصور فصاحتهم دونه ولا يتجس ان يلتبس على
 من لم يكن بارعا فيهم ولا متقدما في الفصاحة منهم هذه الحال حتى لا يعلم الا بعد نظر وتأمل
 وحتى يعرف حال بجزم غيره الا اننا رأينا صناديدهم وأعيانهم ووجوههم سلما ولم يشتغلوا
 بذلك تحقيقا بظهور الجزم وتبيناله وأما قوله تعالى حكاية عنهم قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا
 فقد يمكن ان يكونوا كاذبين فيما أخبروا به عن أنفسهم وقد يمكن ان يكون هذا الكلام
 انما خرج منهم وهو يدل على بجزمهم ولذلك أو رده الله مورد تقريرهم لانه لو كانوا على
 ما وصفوا به انفسهم لكانوا يتجاوزون الوعد الى الانجاز والضمان الى الوفاء فلما لم يستعملوا
 ذلك مع استمرار التحدى وتجاوز زمان الفسحة في اقامة المجلة عليهم بجزمهم عنه علم بجزمهم
 انذلو كانوا قادرين على ذلك لم يقتصروا على الدعوى فقط ومعلوم من حالهم وحيتهم ان
 الواحد منهم يقول في الحشرات والهوام والحيات وفي وصف الازمة والاتساع والامور
 التي لا يؤيدها ولا يحتاج اليها ويتنافسون في ذلك أشد التنافس ويتبعجون به أشد التبعج
 فكيف يجوز ان يحكمهم معارضته في هذه المعاني الفسحة والعبارات الفصيحة مع تضمن
 المعارضة تكذيبه والذب عن أديانهم القديمة واخراجهم أنفسهم من نسفقه رأيهم وتفضيله
 اياهم والتخلص من منازعته ثم من محاربتة ومقارعتة ثم لا يفعلون شيئا من ذلك وانما

يحيون أنفسهم على التعاليل ويعلمونها بالباطيل * ومعنى تاسع وهو ان الحروف التي بنى عليها كلام العرب تسعة وعشرون حرفا وعدد السور التي اقتضت فيها بذكر الحروف ثمان وعشرون سورة وجملة ما ذكر من هذه الحروف في أوائل السور من حروف المعجم نصف الجملة وهو أربعة عشر حرفا ليدل بالذكور على غيره وليعرفوا أن هذا الكلام منتظم من الحروف التي ينظمون بها كلامهم والذي ينقسم اليه هذه الحروف على ما قسمه أهل العربية وبنوا عليها وجوهها أقسام نحن ذاكرها * فن ذلك أنهم قسموها الى حروف مهموسة وأخرى مجهورة فالمهموسة منها عشرة وهي الحاء والهاء والخاء والكاف والشين والتاء والغاء والتاء والصاد والسين وما سوى ذلك من الحروف فهي مجهورة وقد عرفنا أن نصف الحروف المهموسة مذكورة في جملة الحروف المذكورة في أوائل السور وكذلك نصف الحروف المجهورة على السواء لزيادة ولا نقصان والمجهور معناه أنه حرف الاعتماد في موضعه ومنع أن يجري معه حتى ينقضى الاعتماد ويجري الصوت والمهموس كل حرف ضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى معه النفس وذلك مما يحتاج الى معرفته لتبتي عليه أصول العربية وكذلك مما يقسمون اليه الحروف يقولون انها على ضربين أحدهما حروف الخلق وهي ستة أحرف العين والحاء والهمزة والهاء والخاء والعين والتصف من هذه الحروف مذكور في جملة الحروف التي تشتمل عليها الحروف المبينة في أوائل السور وكذلك التصف من الحروف التي ليست بحروف الخلق وكذلك تنقسم هذه الحروف الى قسمين آخرين أحدهما حروف غير شديدة والى الحروف الشديدة وهي التي تمنع الصوت أن يجري فيه وهي الهمزة والقاف والكاف والجيم والطاء والذال والظاء والباء وقد علمنا أن نصف هذه الحروف أيضا هي مذكورة في جملة تلك الحروف التي بنى عليها تلك السور ومن ذلك الحروف المطبقة وهي أربعة أحرف وما سواها منقصة فالمطبقة الطاء والظاء والصاد والصاد وقد علمنا أن نصف هذه في جملة الحروف المبدوء بها في أوائل السور وإذا كان القوم الذين قسموا في الحروف هذه الاقسام لا غرض لهم في ترتيب العربية وتنزيلها بعد الزمان الطويل من عهد النبي صلى الله عليه وسلم ورأوا مباني اللسان على هذه الجهة وقد نبه بما ذكر في أوائل السور على ما لم يذكر على حد التنصيف الذي وصفنا دل على أن وقوعها الموضع الذي يقع التواضع عليه بعد العهد الطويل لا يجوز أن يقع الا من الله عز وجل لان ذلك يجري مجرى علم الغيوب وان كان أعانهموا على ما بنى عليه اللسان في أصله ولم يكن لهم في التقسيم شيء وانما التأخير لمن وضع أصل اللسان فذلك أيضا من البديع

الذي يدل على ان أصل وضعه وقع موقع الحكمة التي يقصر عنها اللسان فان كان أصل اللغة توقيفا فالامر في ذلك آئين وان كان على سبيل التواضع فهو عجيب أيضا لانه لا يصح أن تجتمع همهم المختلفة على نحو هذا الأبا من عند الله تعالى وكل ذلك يوجب اثبات الحكمة في ذكر هذه الحروف على حد يتعلق به الإعجاز من وجه وقد يمكن ان تعاد فائحة كل سورة لفائدة تخصها في النظم اذا كانت حروفا كصو الم لان الالف المبدوء بها هي أقصاها مطالعا واللام متوسطة والميم متطرفة لانها تأخذ في الشقة فيه بذكرها على غيرهما من الحروف وبين انه انما آتاهم بكلام منظوم عايتهم فون من الحروف التي ترد بين هذين الطرفين ويشبه أن يكون التخصيص وقع في هذه الحروف دون الالف لان الالف قد اتى وقد تقع الهمزة وهي موقعا واحدا ومعنى عايتهم وهو انه سهل سبيله فهو خارج عن الوحشي المستكره والغريب المستنكر وعن الصنعة المتكفة وجعله قريبا الى الفهم يبادر معناه لفظه الى القلب ويسابق الغرض منه عبارة الى النفس وهو مع ذلك يتمتع المطلب عسير المتناول غير مطمع مع قرينه في نفسه ولا موهوم مع ذنوه في موقفه أن يقدر عليه أو يظفر به فأما الاخطاط عن هذه الرتبة الى رتبة الكلام المبثمل والقول المسفسف فليس يصح ان تقع فيه فصاحة أو بلاغة فيطلب فيه التمتع أو بوضع فيه الإعجاز ولكن لو وضع في وحشي مستكره أو غير بوجوه الصنعة وأطبق بأبواب التعسف والتكلف لكان لقائل ان يقول فيه ويعتذر ويعيب ويقرع ولكنه أوضح مناره وقرب منهاجه وسهل سبيله وجعله في ذلك متشابها متماثلا وبين مع ذلك إعجازهم فيه وقد علمت ان كلام فحاشاهم وشعر بلغاتهم لا ينفلت من تصرف في غريب مستنكر أو وحشي مستكره ومعان مستبعدة ثم عدولهم الى كلام مبتذل وضيع لا يوجدونه في الرتبة ثم تحوّلهم الى كلام معتدل بين الامر من متصرف بين المنزلتين فمن شاء ان يتحقق هذا انظر في قصيدة امرئ القيس • فثابتك من ذكرى حبيب ومنزل * ونحن نذكر بعد هذا على التفصيل ما يتصرف اليه هذه القصيدة ونظائرهما من البلاغة ونذكر وجه فوت نظم القرآن محلها على وجه يؤخذ باليد ويتناول من كتب ويتصور في النفس كصور الاشكال ليبين ما ادعيناه من الفصاحة العجيبة للقرآن واعلم ان من قال من أصحابنا ان الاحكام معللة بعلم موافقة مقتضى العقل جعل هذا وجههم وجوه الإعجاز وجعل هذه الطريقة دلالة فيه كصواعبها على الصلاة ومعظم الفروض وأصولها ولهم في كثير من تلك العمل طرق قريبة وجوه تستحسن وأصحابنا من أهل خراسان يولعون بذلك ولكن الأصل الذي يبنون عليه عندنا غير مستقيم وفي ذلك كلام يأتي في كتابنا في الأصول وقد يمكن في

تفاصيل ما وردنا من المعاني الزائدة والافراد فاجمعنا بين أمور ذكرنا المزية المتعلقة بها وكل واحد من تلك الأمور مما قد يمكن اعتماد في اظهار الاعجاز فيه فان قيل فهل ترعون انه مجزئ لانه حكاية للكلام القديم سبحانه أولا تعباره عنه أولا انه قديم في نفسه قيل لستنا نقول بأن الحروف قديمة فكيف يصح التركيب على الفاسد ولا نقول ايضا ان وجه الاعجاز في نظم القرآن انه حكاية عن الكلام القديم لانه لو كان كذلك لكانت التوراة والانجيل وغيرهما من كتب الله عز وجل معجزات في النظم والتأليف وقد بينا ان اعجازها في غير ذلك وكذلك كان يجب ان تكون كل كلمة مفردة معجزة بنفسها ومفردة وقد ثبت خلاف ذلك

فصل في شرح ما بينا من وجوه اعجاز القرآن

فاما الفصل الذي بدأنا بذكره من الاخبار عن القيوب والصدق والاصابة في ذلك كله فهو كقوله تعالى قل للمخلفين من الاعراب ستدعون الى قوم أولى بأمن شديد فتقاتلونهم أو يسلمون فأعزاهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما الى قتال العرب والفرس والروم وكقوله الم غلبت الروم في أدنى الارض وهم من بعد عليهم سيغلبون في بضع سنين وراهن أبو بكر الصديق رضي الله عنه في ذلك وصدق الله وعده وكقوله في قصة أهل بئر سحرهم الجح ويولون الدبر وكقوله لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤسكم ومقصرين لا تخافون وكقوله واذ بعدكم الله احدى الطائفتين انهما لكم في قصة أهل بدر وكقوله وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستقلنهم في الارض كما استقل الذين من قبلهم وليكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلهم من بعد خوفهم أمنا وصدق الله تعالى وعده في كل ذلك وقال في قصة المخلفين عنه في غزوته لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا حتى ذلك كله وصدق ولم يخرج من المخلفين الذين خطبوا بذلك معه أحد وكقوله ليطهره على الدين كله وكقوله قل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتل فنجعل لعنة الله على الكاذبين فامنعوا من المباهة ولو أجابوا الله اضطرت عليهم الاودية نار على ما ذكر في الخبر وكقوله قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ولن يقتنوه أبدا بما قدمت أيديهم ولو عثروا لوقع بهم فهذا وما أشبهه فصل • وأما الوجه الثاني الذي ذكرناه من اخباره عن قصص الاولين وسير المتقدمين فمن العجيب الممتنع على من لم يقف على الاخبار ولم يشتغل بدرس الآثار وقد حكى في القرآن تلك الامور حكاية

من شهدا وحضرها ولذلك قال الله تعالى وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تحطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون وقال وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر وما كنت من الشاهدين وقالوا ما كنت بجانب الطور اذ نادينا ولكن رجعة من ربك تنذر فوما ما اتاهم من نذير من قبلك فين وجه دلالته من اخباره بهذه الامور الغائبة السالفة وقال تلك من انباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا الآية فأما الكلام في الوجه الثالث وهو الذي يبناه من الاعجاز الواقع في النظم والتأليف والرصف فقد ذكرنا من هذا الوجه وجوها منها اننا قلنا انه نظم خارج عن جميع وجوه النظم المعتاد في كلامهم ومباين لاساليب خطابهم ومن ادعى ذلك لم يكن له بد من ان يصحح انه ليس من قبيل الشعر ولا السجع ولا الكلام الموزون غير المقفى لان قوما من كفار قريش ادعوا انه شعر ومن المحدثين من يزعم ان فيه شعرا ومن اهل الملّة من يقول انه كلام مسجع الا انه اوضح بما قد اعتادوه من أمجاعهم ومنهم من يدعى انه كلام موزون فلا يخرج بذلك عن اصناف ما يتعارفونه من الخطاب

✽ فصل في نقي الشعر من القرآن ✽

قد علمنا ان الله تعالى نقي الشعر من القرآن ومن النبي صلى الله عليه وسلم فقال وما علمناه الشعر وما ينبغي له ان هو الا ذكر وقرآن مبين وقال في ذم الشعراء والشعراء يتبعهم الغاؤون لم تر انهم في كل راد يرجعون الى آخر ما وصفهم به في هذه الايات فقال وما هو بقول شاعر وهذا يدل على ان ما حكاها عن الكفار من قولهم انه شاعر وان هذا شعر لا بد من ان يكون مجحولا على انهم نسبوه في القرآن الى ان الذي اتاهم به هو من قبيل الشعر الذي يتعارفونه على الاعاريض المحصورة المألوفة أو يكون مجحولا على ما كان يطلق الفلاسفة على حكايتهم وأهل الفطنة منهم في وصفهم اياهم بالشعر لدقة نظرهم في وجوه الكلام وطرق لهم في المنطق وان كان ذلك الباب خارجا عما هو عند العرب شعر على الحقيقة أو يكون مجحولا على انه اطلق من بعض الضعفاء منهم في معرفة أوزان الشعر وهذا بعد الاحتمالات فان جل على الوجهين الاولين كان ما أطلقوه صحيحا وذلك ان الشاعر يقطن لما لا يقطن له غيره واذا قدر على صنعة الشعر كان على مادونه في رأيهم وعندهم أقدر فنسبوه الى ذلك لهذا السبب فان زعم زاعم انه قد وجد في القرآن شعرا كثيرا فمن ذلك ما يزعمون انه بيت تام أو آيات تامة ومنه ما يزعمون انه مصراع كقول القائل قد قلت لما حلولوا سألوني * هم اتهمنا لما توعدون

وَمَا يَزْعُمُونَ أَنَّهُ بَيْتٌ قَوْلُهُ

وَجَعَلْنَا كَالْجَوَابِ * وَقُدُورِ رَاسِيَاتٍ

قَالُوا هُوَ مِنَ الرَّمْلِ مِنَ الْبَعْرِ الَّذِي قِيلَ فِيهِ

سَاكِنُ الرِّيحِ نَطُوءُ * فِي الْمِزْنِ مَغْلُ الْعِزَالِي

وَقَوْلُهُ مَنْ تَرَكْنِي قَاتِمًا * يَتَرَكْنِي لِنَفْسِهِ

كَقَوْلِ الشَّاعِرِ مِنْ بَحْرِ الْخُفَيْفِ

كُلُّ يَوْمٍ بَشْعُهُ * وَغَدَمُلُ أَمْسُهُ

وَقَوْلُهُ عِزُّ وَجِلٍّ

وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ

قَالُوا هُوَ مِنَ الْمُتَقَارِبِ وَقَوْلُهُ

وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا * وَذَلَّتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا

وَيَشْعُبُونَ حَرَمَ الْإِلَهِمِ فَيَزْعُمُونَ أَنَّهُ مِنَ الرِّحْزِ وَذَكَرَ عَنْ أَبِي نَوَاسٍ أَنَّهُ ضَمَّنَ ذَلِكَ شَعْرًا وَهُوَ قَوْلُهُ

وَقُبَّةٌ فِي مَجْلِسٍ وَجُوهُهُمْ * رِيحَانُهُمْ قَدْ عَدِمُوا التَّنْقِيلَا

دَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا * وَذَلَّتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلَا

وَقَوْلُهُ عِزُّ وَجِلٍّ

وَيُخْزِئُهُمْ وَيُنْصِرُكُمْ عَلَيْهِمْ * وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ

زَعَمُوا أَنَّهُ مِنَ الْوَافِرِ كَقَوْلِ الشَّاعِرِ

لَسَاغُمْ نَسُوقُهَا غِزَارُ * كَأَنَّ قُرُونًا جَلْبَتَهَا عَصَى

وَقَوْلُهُ عِزُّ وَجِلٍّ

أَرَأَيْتَ الَّذِي يَكْذِبُ بِالَّذِي — فَنَدَّكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ

ضَمَّنَهُ أَبُو نَوَاسٍ فِي شَعْرِهِ فَفَصَّلَ وَقَالَ فَنَدَّكَ الَّذِي وَشَعْرُهُ

وَقَرَأَ مَعْلَنًا لِيَصْطَدَّ قَلْبِي * وَالْهَوَى يَصْطَدُّ الْقَوَادِ السَّقِيمَا

أَرَأَيْتَ الَّذِي يَكْذِبُ بِالَّذِي — فَنَدَّكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَا

وَهَذَا مِنَ الْخُفَيْفِ كَقَوْلِ الشَّاعِرِ

وَقَوَادِي كَعَهْدِهِ بَسْلَمِي * بِهِوَى لَمْ يَحُلْ وَلَمْ يَنْتَغِيرِ

وَكَمَا ضَمَّنَهُ فِي شَعْرِهِ مِنْ قَوْلِهِ

سَبَّحَانَ مَنْ مَضَى هَذَا لَنَا * حَقًّا وَمَا كُنَّا لَهُ مَقْرِنِينَ

فَزَادَ فِيهِ حَتَّى انْتَهَمَ لَهُ الشَّعْرُ وَكَأَيُّ قَوْلُونِهِ فِي قَوْلِهِ عِزُّ وَجِلٍّ وَالْعَادِيَاتِ ضُبًّا فَالْمُورِيَّاتِ قَدَمًا

ونحو ذلك في القرآن كثير كقوله والذاريات ذروا فالجاريات يسرا وهو عندهم شعر من بحر البسيط والجواب عن هذه الدعوى التي ادعواها من وجوه •
 أولها ان الفصحاء منهم حين أورد عليهم القرآن لو كانوا يتعقدونه شعرا ولم يروه خارجا
 عن أساليب كلامهم لبادروا الى معارضته لان الشعر مضطرب لهم سهل عليهم لهم فيه ما قد
 علمت من التصرف الخفيف والاعتدال اللطيف فلما نزههم اشتغلوا بذلك ولا عولوا عليه علم
 انهم لم يتعقدوا فيه شيئا مما يقدره الضعفاء في الصنعة والمردون في هذا الشأن وان
 استدرأ منه يجيى الآن على فصحاء قريش وشعراء العرب فاطبة في ذلك الزمان وبلغناهم
 وخطبائهم وزعمناه قد ظفر بشعر في القرآن ذهب أولئك النفر عنه وخفي عليهم مع شدة
 حاجتهم الى الطعن في القرآن والغرض منه والتوصل الى تكذيبه بكل ما قدروا عليه فلان
 يجوز ان يتحقق على أولئك وان يحملوه ويعرفه من جاء الآن وهو بالجهل حقيق واذا كان
 كذلك علم ان الذي أجاب به العلماء عن هذا السؤال شديد وهو انهم قالوا ان البيت الواحد
 وما كان على وزنه لا يكون شعرا وأقل الشعر بيتان فصاعدا والى ذلك ذهب أكثر أهل
 صناعة العربية من أهل الاسلام وقالوا أيضا ان ما كان على وزن بيتين الا انه يختلف
 رويها ووافيهما فليس بشعر ثم منهم من قال ان الرجز ليس بشعر أصلا لاسيما اذا كان
 مشطورا أو منهوكا وكذلك ما كان يقارنه في قلة الاجزاء وعلى هذا يسقط السؤال ثم يقولون
 ان الشعر انما يطلق متى قصد القاصد اليه على الطريق الذي يتجدد ويسلك ولا يصح ان
 يتفق مثله الا من الشعراء دون ما يستوى فيه العاى والجاهل والعالم بالشعر واللسان
 ونصرفه وما يتفق من كل واحد فليس بكتسب اسم الشعر ولا صاحبه اسم شاعر لانه لو صح
 ان يسمى كل من اعترض في كلامه ألفاظ تترن بوزن الشعر أو تنتظم انتظام بعض
 الاعاريض كان التام كلهم شعراء لان كل متكلم لا يفتك من ان يعرض في جملة كلام
 كثير يقوله ما قد يترن بوزن الشعر وينتظم انتظامه ألا ترى ان العاى قد يقول لصاحبه
 أغلق الباب واتنى بالطعام ويقول الرجل لصاحبه اكرموا من لقيتم من عجم ومتى تتبع
 الانسان هذا عرفانه يكثر في تضاعيف الكلام مثله أو أكثر منه وهذا القدر الذي يصح
 فيه التوارد ليس بعده أهل الصناعة سرقة اذ لم تعلم فيه حقيقة الاخذ كقول امرئ القيس

وقوفاها يحيى على مطيهم * يقولون لا تهلك أمى وتحمل

وكقول طرفه وقوفاها يحيى على مطيهم * يقولون لا تهلك أمى وتجلد

ومثل هذا كثير فاذا صح مثل ذلك في بعض البيت ولم يتبع التوارد فيه فكذلك لا يمنع
 وقوعه في الكلام المنشور انما فاعير مقصود اليه فاذا اتفق لم يكن ذلك شعرا وكذلك يتبع

التوارد على يثنين وكذلك يتنوع في الكلام المتشور وقوع البيتين ونحوهما فثبت بهذا ان ما وقع هذا الموضع لم يعد شعرا وانما يعد شعرا ما اذا قصده صاحبه تأتي له ولم يتنوع عليه فاذا كان هو مقصده لا يتأتى له وانما يعرض في كلامه عن غير قصد اليه لم يصح ان يقال انه شعر ولا ان صاحبه شاعر ولا يصح ان يقال ان هذا يوجب ان مثل هذا لو اتفق من شاعر فيجب ان يكون شعرا لانه لو قصده لكان يتأتى منه وانما لم يصح ذلك لان ما ليس بشعر فلا يجوز ان يكون شعرا من أحد وما كان شعرا من أحد من الناس كان شعرا من كل أحد ألا ترى ان السوق قد يقول اسقى الماء يا غلام سريرا وقد يتفق ذلك من الساهي ومن لا يقصد النظم فأما الشعر اذا باخ الحمد الذي بينا فلا يصح ان يقع الا من قاصده اليه فأما الرجز فانه يعرض في كلام العوام كثيرا فاذا كان يتناول احدا فليس ذلك بشعر وقد قيل ان اقل ما يكون منه شعرا أربعة أبيات بعد ان يتفق قوافيمهم ولم يتفق ذلك في القرآن بحال فاما دون أربعة أبيات منه أو ما يجري مجراه في فقه الكلمات فليس بشعر وما اتفق في ذلك من القرآن مختلف الروى ويرون انه متى اختلف الروى خرج من ان يكون شعرا وهذه الطرق التي سلكوها في الجواب معقدة أو أكثرها ولو كان ذلك شعرا لكانت النفوس تشوق الى معارضته لان طريق الشعر غير مستصعب على أهل الزمان الواحد وأمله يتقاربون فيه أو يضربون فيه بسهم فان قيل في القرآن كلام موزون كوزن الشعر وان كان غير مقفى بل هو مزاج متساوى الضروب وذلك آخر أقسام كلام العرب قيل من سبيل الموزون من كلام ان يتساوى اجزأؤه في الطول والقصر والسواكن والحركات فان خرج عن ذلك لم يكن موزونا كقوله رب أنخ كنت به مغتبطا أشد كفى بعرا حبيته تمسكمني بالود ولا أحسبه يزهدي في أمل تمسكمني بالود ولا أحسبه بغير العهد ولا يحول عنه أبدا تغاب فيه أملى وقد علمنا ان هذا القرآن ليس من هذا القبيل بل هذا قبيل غير ممدوح ولا مقصود من جملة الفصح وربما كان عندهم مستنكرا بل أكثره على ذلك وكذلك ليس في القرآن من الموزون الذي وصفناه أولا وهو الذي شرطنا فيه التعادل والتساوى في الاجزاء غير الاختلاف الواقع في التقضية وبين ذلك ان القرآن خارج عن الوزن الذي بينا وتم فائدته بالخروج منه وأما الكلام الموزون فان فائدته تتم بوزنه

فصل في نفي السجع من القرآن

ذهب أصحابنا كلهم الى نفي السجع من القرآن وذكره أبو الحسن الاشعري في غير موضع

من كتبه ونهب كثير من يخالفهم الى اثبات السجع في القرآن وزعموا ان ذلك مما يبين به فضل الكلام وأنه من الاجناس التي يقع بها التفاضل في البيان والفصاحة كالجنيس والاتفات وما أشبه ذلك من الوجوه التي تعرف بها الفصاحة وأقوى ما يستدلون به عليه اتفاق الكل على ان موسى أفضل من هرون عليهما السلام ولم كان السجع قبل في موضع هرون وموسى ولما كانت القواصل في موضع آخر بالواو والنون قيل موسى وهرون قالوا هذا بشارق امر الشعر لانه لا يجوز ان يقع في الخطاب المقصود اليه واذا وقع غير مقصود اليه كان دون القدر الذي يسمى شعرا وذلك القدر ما يتفق وجوده من المفهم كما يتفق وجوده من الشاعر وأما ما في القرآن من السجع فهو كثير لايصح ان يشق كله غير مقصود اليه ويبنون الامر في ذلك على تحديد معنى السجع قال اهل اللغة هو موالة الكلام على وزن واحد قال ابن دريد مجعت الحاممة معناها ردت صوتها وأنشد

طربت فأبكىك الحام السواجع • تميل بها ضحوا غصون نوائح
التوائح الموائل من قولهم طائع نائع أي متماثل ضعفا وهذا الذي يزعمونه غير صحيح ولو كان القرآن مجعاً لكان غير خارج عن أساليب كلامهم ولو كان دخلاً فيه لم يقع بذلك اعجاز ولو جاز ان يقال هو سجع مجز لجاز لهم ان يقولوا شعر مجز وكيف والسجع مما كان يألفه الكهان من العرب ونقيه من القرآن أجدر بأن يكون جهة من نفي الشعر لان الكهانة تنافي النبوات وليس كذلك الشعر وقد روى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال للذين جاؤوه وكلموه في شأن الجنين كيف ندى من لأكل ولا شرب ولا صاح فاستهل أليس دمه قد بطل فقال أمجاعة كسجاعة الجاهلية وفي بعضها أمجعا كسجع الكهان ف رأى ذلك مذموماً لم يصح ان يكون في دلالة والذي يقدرونه انه سجع فهو وهم لانه قد يكون الكلام على مثال السجع وان لم يكن مجعاً لان ما يكون به الكلام مجعاً يختص ببعض الوجوه دون بعض لان السجع من الكلام يتبع المعنى فيه اللفظ الذي يؤدي السجع وليس كذلك ما اتفق معاهو في تقدير السجع من القرآن لان اللفظ يقع فيه تابعاً للمعنى وفصل بين ان ينظم الكلام في نفسه بالفاظه التي تؤدي المعنى المقصود فيه وبين أن يكون المعنى منتظماً دون اللفظ ومتى ارتبط المعنى بالسجع كانت افادة السجع كافادة غيره ومتى ارتبط المعنى بنفسه دون السجع كان مستجاباً للجنيس الكلام دون تصحيح المعنى فان قيل فقد يتفق في القرآن ما يكون من القبيلين جميعاً فيجب ان نسموا أحدهما مجعاً قبل الكلام في تفصيل هذا خارج عن غرض كتماننا الا كما نأتى على فصل فصل من أول القرآن الى آخره ونبين في الموضوع الذي يدعون الاستثناء عن السجع من الفوائد ما لا يخفى ولكنه خارج عن غرض

كأننا وهذا القدر يحقق الفرق بين الموضعين ثم ان سلم لهم مسلما موضعا أو فواضع
معدودة وزعم ان وقوع ذلك موقع الاستراحة في الخطاب الى القواصل لتسعين الكلام
بها وهي الطريقة التي يبين القرآن بها سائر الكلام وزعم ان الوجه في ذلك انه من باب
القواصل أو زعم ان ذلك وقع غير مقصود اليه وان ذلك اذا اعترض في الخطاب لم يعد مجعلا
على ما قد ينشأ من القليل من الشعر كالبيت الواحد والمصرع والبيتين من الرجز ونحو ذلك
يعرض فيه فلا يقال انه شعر لانه لا يقع مقصودا اليه وانما يقع مغورا في الخطاب فكذلك
حال السجع الذي يزعمونه ويقدرونه ويقال لهم لو كان الذي في القرآن على ما تقدرونه
سجعا لكان مذهوما مرذولا لان السجع اذا تفاوتت أوزانه واختلفت طرقه كان قبيحا من
الكلام والسجع منهمج مرتب محفوظ وطريق مضبوط متى أدخل به المتكلم أوقع الخلل
في كلامه ونسب الى الخروج عن القضاة كما ان الشاعر اذا خرج عن الوزن المعهود كان
خطئا وكان شعره مرذولا وربما أخرجه عن كونه شعرا وقد علمنا ان بعض ما يدعونه سجعا
متقارب القواصل متداني المقاطع وبعضها مما يعتد حتى يتضاعف طول عليه وترد الفاصلة
على ذلك الوزن الاول بعد كلام كثير وهذا في السجع غير مرضي ولا محمود فان قيل متى
خرج السجع المعتدل الى نحو ما ذكرتموه خرج من ان يكون مجعلا وليس على المتكلم ان
يلتزم ان يكون كلامه كله سجعا بل يأتي به طورا ثم يعدل عنه الى غيره ثم قد يرجع اليه
قيل متى وقع أحد مصراعي البيت مخالفا لآخر كان تخليطا وخطا وكذلك متى اضطرب
أحد مصراعي الكلام المسجع وتفاوت كان خطا وعلم ان فصاحة القرآن غير مذمومة في
الاصل فلا يجوز ان يقع فيها نحو هذا الوجه من الاضطراب ولو كان الكلام الذي هو في
صورة السجع منه لما تغيروا فيه وكانت الطبائع تدعو الى المعارضة لان السجع غير ممتنع
عليهم بل هو عاديهم فكيف تنقض العادة بما هو نفس العادة وهو غير خارج عنها ولا يميزها
وقد يتفق في الشعر كلام على منهاج السجع وليس بسجع عندهم وذلك نحو قول البصري
نشكى الوجي والليل ملتبس الدجا * عزيزة الانساب مرت تقيعها

وقوله قريب المدى حتى يكون الى الندى * علو البناء حتى يكون معالي
ورأيت بعضهم يرتكب هذا فيزعم انه سجع مدخل وتطيره من القرآن قوله تعالى ثم يوم
القيامة يتخزن بهم ويقول أين شركائي الذين كنتم تشاقون فيهم وقوله أمرنا متريقها ففسقوا
فيها وقوله أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله وقوله التوراة والانجيل ورسولا
الى بني اسرائيل وقوله اني وهن العظم متى ولو كان ذلك عندهم مجعلا لم يتصوروا فيه ذلك
التصريح حتى يباه بعضهم مجعرا وتصرفوا فيما كانوا يسمونه بصير فونه اليه ويتوهمونه فيه

وهم في الجملة عارفون بعجزهم عن طريقه وليس القوم بعاجزين عن تلك الاساليب المعتادة
 عندهم المألوفة لديهم والذي تكلمنا به في هذا الفصل كلام على جملة دون التفصيل ونحن
 نذكر بعد هذا في التفصيل ما يكشف عن مباينة ذلك وجوه السبع ومن جنس السبع
 المعتاد عندهم قول أبي طالب لسيف بن ذي يزن أنت بك منبسطا بآر ومته وعزت جروتمته
 وثبت أصله وبسق فرعه ونبت زرعته في أكرم موطن وأطيب معدن وما يجري هذا
 الجري من الكلام والقرآن مخالف لهذه الطريقة مخالفة للشعر وسائر أصناف كلامهم
 المأثور بينهم ولا معنى لقولهم ان ذلك مشتق من ترديد الحماة صوتهما على نسق واحد وروى
 غير مختلف لان ما جرى هذا الجري لا يبنى على الاشتقاق وحده ولو بقي عليه لكان الشعر
 مصبلا لا رويه يتفق ولا يختلف وتتردد القوافي على طريقة واحدة وأما الامور التي
 يستخرج اليها الكلام فأنها تختلف فربما كان ذلك يسمى قافية وذلك انما يكون في الشعر
 وربما كان ما ينقل عنده الكلامان يسمى مقاطع السبع وربما مهي ذلك فواصل
 وفواصل القرآن مما هو مختص بها لا شركة بينه وبين سائر الكلام فيها ولا تناسب وأما
 ما ذكره من تقديم موسى على هرون عليهما السلام في موضع وتأخير عنه في موضع
 لكان السبع ولتساوي مقاطع الكلام فليس بصحيح لان الفائدة عندنا غير ما ذكره وهي ان
 اعادة ذكر القصة الواحدة بالفاظ مختلفة تؤدي معنى واحدا من الامور الصعبة الذي تظهر
 فيه الفصاحة وتبين فيه البلاغة وأعيد كثير من القصص في مواضع مختلفة على ترتيبات
 متفاوتة ونفوا بذلك على عجزهم عن الاتيان بمثله مبتدأ به ومكررا ولو كان فيهم تمكن من
 المعارضة لقصدوا تلك القصة فعبروا عنها بالفاظ لهم تؤدي تلك المعاني وتحوها وجعلوها بازاء
 ما جاء به وتوصلوا بذلك الى تكذيبه والى مساواته فيما جاء به كيف وقد قال لهم فليأتوا بحديث
 مثله ان كانوا صادقين فعلى هذا يكون المقصد بتقديم بعض الكلمات وتأخيرها اظهار الامجاز
 على الطريقين جميعا دون التسميع الذي توهموه فان قال قائل القرآن مختلف من اوزان كلام
 العرب فقيه من جنس خطبهم ورسائلهم ومجسمهم وموزون كلامهم الذي هو غير مقفى
 ولكنه ابداع فيه ضربا من الابداع لبراعته وفصاحته قبل قد علمنا ان كلامهم ينقسم الى
 نظم ونثر وكلام مقفى غير موزون ونظم موزون ليس بمقفى كالخطب والسبع ونظم مقفى
 موزون له روى ومن هذه الاقسام ما هو مضمية الاغلب من الناس قسماؤه اقرب وساوكة
 لا يتعذر ومنه ما هو أصعب تناولا كاللوزون عندهم بعضهم أو الشعر عند الآخرين وكل هذه
 الوجوه لا تخرج عن ان يقع لهم بأحد أمرين اما يتعلم أو يتكاف وتعلم وتصنع أو بانفاق
 من الطبع وقذف من النفس على اللسان الحاجة اليه ولو كان ذلك مما يجوز اتقافه من

الطباع لم يثقل العالم من قوم يتفق ذلك منهم ويتعرض على ألسنتهم وتحيش بهخواطرم ولا يتصرف عند الكل مع شدة الدواعي اليه ولو كان طريقه التعلم لتصنعوه وتعلموه فالحيلة لهم فيسيرة والامد واسع وقد اختلفوا في الشعر كيف اتفق لهم فقد قيل انها فتن في الاصل غير مقصود اليه على ما يعرض من أصناف النظام في تضاعيف الكلام ثم لما استحسنوه واستطابوه ورأوا انه تألفه الاسماع وتقبله النفوس تتبعوه من بعد وتعلموه وحكى لي بعضهم عن أبي عمرو و غلام ثعلب عن ثعلب ان العرب تعلم أولادها قول الشعر بوضع غير معقول بوضع على بعض أوزان الشعر كأنه على وزن قهنا بك من ذكرى حبيب ومزمل ويسمون ذلك الوضع المبتدأ واستنطاقه من المتر وهو الجذب أو القطع يقال مترت الجبل بمعنى قطعت أو جذبت ولم يذكر هذه الحكاية عنهم غيره فيجتمعا ما ظاهراً ما موقوع السبق اليه في شبه أن يكون على ما قد مر ذكره أولاً وقد يحتل على قول من قال بأن اللغة اصطلاح انهم تواضعوا على هذا الوجه من النظم وقد يمكن ان يقال مثله على المنهج الآخر وانهم وقفوا على ما يتصرف اليه القول من وجوه التفاضل أو توافقوا هم بينهم على ذلك ويمكن ان يقال ان التواضع وقع على أصل الباب وكذلك التوقيف ولم يقع على فنون تصرف الخطاب وان الله تعالى أجرى على لسان بعضهم من النظم ما جرى و فطنوا لحسنه فتبعوه من بعد وبنوا عليه وطلبوه وربوا فيه الحسن التي يقع الاضطراب بوزنها ونش النفوس اليها وجمع دواعيهم وخواطيرهم على استحسن وجوه من ترتيبها واختيار طرق من تنزيلها وعرفهم بحسن الكلام ولهم على كل طريقة بحسب ما علمهم يحزم عن الايتان بالقرآن والقدر الذي يتناهى اليه قدرهم هو الم يخرج عن لغتهم ولم يشذ من جميع كلامهم بل قد عرض في خطابهم وجدوا ان هذا انما تعذر عليهم مع التحدي والتقريب الشديد والحاجة الماسة اليه مع علمهم بطريق وضع النظم والنثر وتكامل أحوالهم فيه دل على انه اختص به ليكون دلالة على النبوة ومعجزة على الرسالة ولولا ذلك لكان القوم اذا اختلفوا في الابتداء الى وضع هذه الوجوه التي يتصرف اليها الخطاب على براعته وحسن انتظامه فلان يقدروا بعد التبيين على وجهه والتحدي اليه أولى ان يبادروا اليه ولو كان لهم اليه سبيل فلو كان الامر على ما ذكره السائل لوجب أن لا يتصوروا في أمرهم ولا تدخل عليهم شبهة فيما بينهم ولكانوا يسرعون الى الجواب ويبادرون الى المعارضة ومعلوم من حالهم ان الواحد منهم يقصد الى الامور البعيدة عن الوهم والاسباب التي لا يحتاج اليها فيكثر فيها من شعر ورجز ونجد من يعينه على نقله عنه على ما قد مر ذكره من وصف الابل وتاجها وكثير من أمرها لا فائدة في الاشتغال به في دين ولادنيا ثم كانوا يتفاخرون باللسن والذلاقة والفصاحة والدراية

ويتفكرون فيه وتجري بينهم فيه الاسباب المتقوية في الآثار على ما لا يتخفى على أهلها
فاستدلنا بتبصيرهم في أمر القرآن على خروجه عن عادة كلامهم ووقوعه موقعا يخرق
العادات وهذه سبيل المجزآت فبان بما قلنا ان الحروف التي وقعت في الفواصل متناسبة
موقع التظاثر التي تقع في الامجاع لا يخرجها عن حدها ولا يدخلها في باب السجع وقد بينا
أنهم يذمون كل مجع خرج عن اعتدال الاجزاء فكان بعض مصاريحه ككثير وبعضها تبلغ
كلمات ولا يرون في ذلك فصاحة بل يرون عجزا فلورأوا ان ما تلى عليهم من القرآن جميعا
لقالوا نحن نعارضه بسجع معتدل فتزيد في الفصاحة على طريقة القرآن وتجاوز حده في
البراعة والحسن ولا معنى لقول من قدر أنه ترك السجع تارة الى غيره ثم رجع اليه لان
ما تقتل بين الامر بن يؤذن بأن وضع الكلام غير ما قدره من التسجيع لانه لو كان من باب
السجع لكان أرفع نهايتها وأبعد غايتها ولا يبلن جواز السجع فيه وسلك ما سلكوه من ان
يسلم ما ذهب اليه النظام وعباد بن سلمان وهشام القرظي ويذهب مذهبه في انه ليس في
نظم القرآن وتأليفه اعجاز وانه يمكن معارضته وانما صرفوا عنه ضربا من الصرف
ويشتمن كلامه تسليما الخبط في طريقة النظم وانه منتظم من فرق شتى ومن أنواع مختلفة
يتقسم اليها خطابهم ولا يخرج عنها ويستبين بديع نظمهم ويغيب تأليفه الذي وقع التمدى
اليه وكيف يجرهم الخروج عن السجع والرجوع اليه وقد علمنا عاداتهم في خطبهم
وكلامهم انهم كانوا لا يلزمون أبدا طريقة السجع والوزن بل كانوا يتصرفون في أنواع
مختلفة فاذا ادعوا على القرآن مثل ذلك لم يجدوا فاصلة بين تطعي الكلامين

فصل في ذكر البديع من الكلام

ان سأل سائل فقال هل يمكن ان يعرف اعجاز القرآن من جهة ما يتضمنه من البديع قيل ذكر
أهل الصنعة ومن صنف في هذا المعنى من صفة البديع ألفاظا نحن نذكرها ثم نبين ما سألوها
عنه ليكون الكلام واردا على أمر مبين مقرر وباب مصور ذكر وان من البديع في
القرآن قوله عز ذكره واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقوله وانه في أم الكتاب لدينا
لعلى حكيم وقوله واشتعل الرأس شيبا وقوله وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون
وقوله أو آياتهم عذاب يوم عقيم وقوله نور على نور وقد يكون البديع من الكلمات الجامعة
الحكيمة كقوله ولكم في القصاص حياة وفي الالفاظ القصيدة كقوله فلما استبأسوا منهن
خلصوا نجيا وفي الالفاظ الالهية كقوله له كلنبي وقوله وما بكم من نعمة فمن الله وقوله
لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ويذكرون من البديع من قول النبي صلى الله عليه وسلم

خير الناس رجل ممسك عنان فرسه في سبيل الله كلما مع هبة طار إليها وقوله ياتقبل
توبتي واغسل حوبتي وقوله غلب عليكم داء الاعم قبلكم الحسد والبغضاء وهي الخالقة
خالقة الدين لخالقة الشعر وكقوله الناس كابل مائة لا تجد فيها راحلة وكقوله وهل يكب
الناس على مناخرهم في نار جهنم الا حصائد السنتهم وكقوله ان مما يفتن الربيع ما يقتل
حبطاً او يلم وكقول أبي بكر الصديق رضي الله عنه في كلامه قد نقلناه بعد هذا على وجهه
وقوله لخالد بن الوليد احرص على الموت تهرب لك الحياة وقوله قر من الشرف يتبعك الشرف
وكقول علي بن ابي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه في كتابه الى ابن عباس وهو عامله على
البصرة ارفع رايهم واحلل عقدة احوافهم وقوله حين سئل عن قول النبي صلى الله
عليه وسلم انما قال ذلك والدين في قل فاما وقد اذعن نطق الاسلام فكل امرئ وما اختار
وسأل علي رضي الله عنه بعض كبار فارس عن احمد ما لو كهم عندهم فقال لا زدي شرف فضيلة
السبي غير ان احدثهم انوشير وان قال فاي اخلاقه كان اغلب عليه قال الحلم والامانة فقال
علي رضي الله عنه هما توأمان ينتجهما علو الهمة وقال قيمة كل امرئ ما يحسن وقال العلم
قتل ومفتاحه المسئلة وكتب خالد بن الوليد الى مرارة فارس ابا مبعده فالحمد لله الذي فض
خدمتكم وفرق كلتكم والخدمة الحلقة المستديرة ولذلك قيل للخلايل خدام وقال
الجاح بلوني على رجل ممين الامانة ولما صعدت الرئاسة لعبد الله بن وهب الراسبي على
الخوارج اراوده على الكلام فقال لا خير في الراي الفطير وقال دعوا الراي يغب وقال
اعرابي في شكر نعمة ذاك عنوان نعمة الله عز وجل ووصف اعرابي قوما فقال اذا اصطفوا
سفرت بينهم السهام واذا تصاخوا بالسيف قعد الحام وسئل اعرابي عن رجل فقال
صفرت عباب الود بيني وبينه بعد امتلائها واكفهرت وجهه كانت عيائها
وقال آخر من ركب ظهر الباطل نزل دار الندامة وقيل لرؤية كيف خلقت ما وراءك
فقال التراب يابس والمال عابس ومن البديع في الشعر طرق كثيرة قد نقلنا منها جملة
لتستدل بها على ما بعده فاق ذلك قول امرئ القيس

وقد اعتدى والطير في وكاتها * بمنجد قيد الاوابد هيكل

قوله قيد الاوابد عندهم من البديع ومن الاستعارة ويؤنه من الالفاظ الشريفة وعن
ذلك انه اذا ارسل هذا الفرس على الصيد صار قيداً لها وكانت بحالة القيد من جهة سرعة
احضاره واقتدى به الناس واتبه الشعراء فقيل قيد النواظر وقيد الالحاظ وقيد
الكلام وقيد الحديث وقيد الرهان وقال الاسود بن يعفر

بخلص عز جهر شلت * قيد الاوابد الرهان جواد

وقال أبو تمام لها منظر قيد الاوابد لم يزل * يروح ويغدو في خفائره الحب
وقال آخر ألاحظه قيد عيون الوري فليس طرف يتعداه
وقال آخر قيد الحسن عليه الحدقا •

وذكر الاصمعي وأبو عبيدة وحادوقيلهم أبو عمر وأنه أحسن في هذه اللفظة وأنه اتبع فيها فلم
يلحق وذكره في باب الاستعارة البليغة وسماها بعض أهل الصناعة باسم آخر وجعلوها من
باب الادراف وهو أن يربد الشاعر دلالة على معنى فلا يأتي باللفظ الدال على ذلك المعنى بل
بلفظ هو تابع له وردف قالوا ومثله قوله • نؤم الغنى لم تنطق عن تفضل •
وانما أراد ترقبها بقوله نؤم الغنى ومن هذا الباب قول الشاعر

بعيدة مهوى القرط اما لنوفل • أبوها واما عبد شمس وهاشم
وانما أراد أن يصف طول جيدها فأتى بردفه ومن ذلك قول امرئ القيس • وليل كوج البصر
أرخص سدوله • وذلك من الاستعارة المبيحة ويجعلون من هذا القبيل ما قدمنا ذكره من
القرآن واشتعل الرأس شيبا واخفض لها جناح الذل من الرحمة وما يعتونه من البديع
التشبيه الحسن كقول امرئ القيس

كأن عيون الوحش حول خبائنا • وأرجلنا الجزع الذي لم يثقب
وقوله • كأن قلوب الطير رطبا وإيسا • لدى دكرها العناب والحشف البالي
واستبدعوا تشبيه شيئين بشيئين على حسن تقسيم ويزعمون أن أحسن ما وجد في هذا
للخنثين قول بشار

كأن مثار النقع فوق رؤسنا • وأسياف الليل لهاوى كواكبها
وقد سبق امرؤ القيس إلى حمة التقسيم في التشبيه ولم يتمكن بشار إلا من تشبيه إحدى
الجلتين بالأخرى دون حمة التقسيم والتفصيل وكذلك عدوا من البديع قول امرئ
القيس في أذن الفرس

وسامعتان يعرف العنق فيهما • كسامعتي مذعورة وسط درب
واتبعه طريقة فقال فيه

وسامعتان يعرف العنق فيهما • كسامعتي شاه بجو مل مفرد
ومثله قول امرئ القيس في وصف الفرس

وعينان كالماويتين ومحجر • إلى سند مثل الصفيح المنصب
وقال طريقة في وصف عيني ناقته

وعينان كالماويتين استكنا • بكهفي جاجي صخرة قلت مورد

ومن البديع في التشبيه قول امرئ القيس

له إيلا ظي وساطا نعامه • وارضاء سرحان وتقريب تنقل

وذلك في تشبيه أربعة أشياء بأربعة أشياء أحسن فيها ومن التشبيه الحسن في القرآن قوله تعالى وله الجوارى المنشآت في البحر كالأعلام وقوله تعالى كأنهن يبيض مكنون ومواضع نذكرها بعد هذا ومن البديع في الاستعارة قول امرئ القيس

وليل ككوج البحر أرخى سدوله • على بأنواع الهموم لينتلي

فقلت له لما غطى بصلبه • وأردف إعجازا وناء بكل شكل

وهذه كلها استعارات أتى بها في ذكر طول الليل ومن ذلك قول النابغة

وصدر أراح الليل طاذب همه • تضاعف فيه الحزن من كل جانب

فاستعاره من أراحة الراعي إبله إلى مواضعها التي تأوى إليها بالليل وأخذ منه ابن

الدمينة فقال

أقضى نهاري بالحديث وبالمنى • ويجمعني والهسم والليل جامع

ومن ذلك قول زهير

صحا القلب عن ليلي وأقصر باطله • وعرى أفراس الصباور وراحله

ومن ذلك قول امرئ القيس

موتوا لها بعد ما نام أهلها • سمو حجاب الماء حلا على حال

وأخذه أبو تمام فقال • سمو حجاب الماء جاشت غواربه •

وانما أراد امرئ القيس إخفاء شخصه ومن ذلك قوله • كائن وأصحابي على قرن أعفرا •

يريد أنهم غير مطمئنين ومن ذلك ما كتب إلى الحسن بن عبد الله بن سعيد قال أخبرني أبي

قال أخبرنا عسل بن ذكوان أخبرنا أبو عثمان المازني قال سمعت الأصمعي يقول أجمع

أصحابنا أنه لم يقل أحسن ولا أجمع من قول النابغة

فأنك كالليل الذي هو مدركي • وإن خلت إن المتأى عنك واسع

قال الحسن بن عبد الله وأخبرنا محمد بن يحيى أخبرنا عون بن محمد الكندي أخبرنا قنبر بن

عمرز قال سمعت الأصمعي يقول سمعت أبا عمرو يقول كل زهير يمدح السوق ولو ضرب

على أسفل قدميه مائتا دقل على أن يقول كقول النابغة

فأنك كالليل الذي هو مدركي • وإن خلت إن المتأى عنك واسع

لما قال يريد أن سلطانه كالليل يصل إلى كل مكان واتبه الفرزدق فقال

ولو جلستني الريح ثم طلبتني • لكنك كشي أدركتني بمقادير

فلم يأت بالمعنى ولا اللفظ على ما سبق اليه النابغة ثم أخذه الاخطل فقال
 وان أمير المؤمنين وقعه * لكالدهر لا عار بما فعل الدهر
 وقد روى نحوه هذا عن النبي صلى الله عليه وسلم نصرت بالرعب وجعل رزقي تحت ظل
 رحمي وليدخلن هذا الدين على ما دخل عليه الليل وأخذه على بن ٣ فقال
 وما امرئ حولته عنك مهرب • ولو كان في جوف السماء المطالع
 بلى هارب لا يهتدى لمكانه • ظلام ولا ضوء من الصبح طالع
 ومثله قول سلم الخاسر
 فأنت كالدهر مبثوثا جباله * والدهر لا ملجأ منه ولا هرب
 ولو ملكت عنان الرياح أصرفه * في كل ناحية مافاتك الطلب
 فأخذه البعري فقال
 ولو أنهم ركبوا الكواكب لم يكن * يفيهم عن خوف بأسك مهرب
 ومن يبيع الاستعارة قول زهير
 فلما وردن الماء زرقا جامه * وضعن عصي الحاضر التميم
 وقول الاعشى
 وان عناق العيس سوف يزورك * ثناء على أعجازهن معلق
 ومنه أخذ نصيب فقال
 فباجوا فأثنا بالذي أنت أهله * ولو سكتوا أثنت عليك الحقايب
 ومن ذلك قول نابت شرا
 نفلت سهل الأرض لم يكدر الصفا * به كدحة والموت خزيان ينظر
 ومن الاستعارة في القرآن كثير كقوله وأنه لذكر لك ولقومك يريد ما يكون الذكر عنه
 شرفا وقوله صبعة اللوم أحسن من الله صبعة قيل دين الله أراد وقوله اشتروا الضلالة
 بالهدى فارجحت تجارتهم ومن البديع عندهم الغلو كقول الفرزدق
 أبقى الحوادث والأيام من نحر * امتداد سيف قديم اثره بادي
 قتل تحفر عنه ان ضربت به * بعد الزارعين والقيدين والهادي
 وكقول النابغة
 قد الساق المضايف نسجه * ويوقدن بالصفاح نار الجبابر
 وكقول عنتره فارو ومن وقع القنابل بانه * وشكالي بعبرة وتهميم
 وكقول أبي تمام

لو يعلم الركن من قد جاء بلمه * تخربلثم منه موطن القدم
وكقول البصري

ولو أن مشنأفا تكلف فوق ما * في وسعه لشيء اليك المنبر
ومن هذا الجنس في القرآن يوم نقول لجهنم هل امتلأت ونقول هل من مزيد وقوله إذا
رأيتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا وقوله تكاد تميز من الغيظ ومما بعده من
البديع المعانيه وهو ضرب من الاستعارة وذلك ان يقصد الاشارة الى معنى فيضع ألفاظا
تدل عليه وذلك المعنى بألفاظه مثال المعنى الذي قصد الاشارة اليه فظيره من المنشور ان
يزيد بن الوليد بلغه ان مروان بن محمد يتلصع ان بيعته فكتب اليه أما بعد فاني أراك
تقدم رجلا وتؤخر أخرى فاعتمد على أيتها شئت وكهوما كتب به الحاج الى المهلب فان
أنت فعلت ذلك والأشربت اليك الرح فأجاب به المهلب فان أسرع الامير الرح فلبت اليه
ظهير المجن وكقول زهير

ومن بعض أطراف الزجاج فانه • بطيع العوالي ركبت كل لهزم
وكقول امرئ القيس

وما ذرفت عيناك الا لتضري • بسهميك في أعشار قلب مقتل
وكقول عمرو بن معدى كرب

فلوان قومي أنطقتي رماحهم • نطقك ولكن الرماح أجرت
وكقول القائل

بني عمنالاندكروا الشعر بعدما • دفنتم بعصراء النهر القوافيا
وكقول الآخر

أقول وقتلوا الساني بسعة • أمعشرتهم أطلقوا عن لسانيا
ومن هذا الباب في القرآن كقوله فما أصبرهم على النار وكقوله وثيا بك فظهر قال الاصمعي
أراد البدين قال وتقول العرب فدا لك ثوباى يريد نفسه وأنشد
ألا أبلغ أبا حفص رسولا • فدا لك من أخى ثقة أزارى

ويرون من البديع أيضا ما يسهونه المطابقة وأكثرهم على ان معناها ان يذكر الشيء وضده
كالليل والنهار والسواد والبياض واليه مذهب الخليل بن أحمد والاصمعي ومن المتأخرين
عبدالله بن المعتز وذكر ابن المعتز من نظائره من المنشور ما قاله بعضهم أينك لتسلك بنا
سبيل التوسع فأدخلتنا في ضيق الضمان وظهر من القرآن ولكم في القصص حياة
وقوله يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي وقوله يولج الليل في النهار ويولج

النهار في الليل ومثله كثير جدا وكقول النبي صلى الله عليه وسلم للانصار انكم تكثرون عند الفزع ويقاؤون عند الطمع وقال آخرون بل المطابقة ان يشترك معنيان بلفظة واحدة فوالله ذهب قدامة بن جعفر الكاتب عن ذلك قول الاقوه الاودي

واقطع الهوجل مستأنسا • بهوجل مستأنس عنتريس

عنى بالهوجل الاقول الارض والثاني الناقة ومثله قول زباد الاجم

وبئانهم يستنظرون بكاهل * ولوم فبهم كاهل وسنام

ومثله قول أبي دوداد

عهدت لها منزلا دائرا • والاعلى الماء يحملن الا

فالاول اعمدة الخيام تنصب على البئر للسقي والال الثاني السراب وليس عنده قول من

قال المطابقة انما تكون باجتماع الشئ وضده بشئ ومن المعنى الاول قول الشاعر

أهين لهم نفسي لاكرهما بهم • ولن تكرم النفس التي لا تهينها

ومثله قول امرئ القيس

وتردى على صم صلاب ملاطس • شديبات عقد لينات متان

وكقول النابغة

ولا يحسبون الخير لا شربعه • ولا يحسبون الشر ضرورة لا زب

وكقول زهير وقد جع فيه طباقين

بعزمة ما مور مطيح وأمر • مطاع فلا يلقى لحزمهم مثل

وكقول الفرزدق

والشيب ينهض في الشباب كأنه • ليل يصبح بجانيبه نهار

ومما قيل فيه ثلاث تطبيقات قول جرير

وباسط خير فيكم يمينه • وقابض شر عنكم بشمالها

وكقول رجل من بلعبر

يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة • ومن اساءة أهل السوء احسانا

وروى عن الحسن بن علي رضي الله عنهما أنه عمل بقول القائل

فلا الجود يفتي المال والجدم قبل • ولا البخل يبق المال والجدم مبر

وكقول الآخر

فسرى كعلاف وتلك محيتي • وظلمة ليلي مثل ضوء نهاريا

وكقول قيس بن الخطيم!

إذا أنت لم تنفع فضر فاعلم • يرجى الفتي كما يضر ويتفعا
وكقول السموأل وما ضرنا أنا قليل وجارنا • عزيز وبارا لا كثيرين دليل
فهذا باب يرويه من البديع • وباب آخر وهو التجنيس ومعنى ذلك أن تأتي بكلمتين
متجانستين فنه ما تكون الكلمة تتجانس الأخرى في تأليف حروفها واليه ذهب الخليل
ومنه من زعم أن المجانسة أن تشترك اللفظتان على جهة الاشتقاق كقوله عز وجل فأقم
وجهك للدين القيم وكقوله وأسلمت مع سليمان وكقوله يا أسفعا على يوسف وكقوله الذين
آمَنُوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وكقوله وهم ينهون عنه وينأون عنه وكقول
التي صلى الله عليه وسلم أسلم سألها الله وغفار الله لها وعصية عصت الله ورسوله
وكقوله الظلم ظلمات يوم القيامة وقوله لا يكون ذو الوجهين وجهها عند الله وكتب بعض
الكتاب العذر مع التعذر واجب فأرى لك فيه وقال معاوية لابن عباس ما لكم يا بني هاشم
تصابون في أبصاركم فقال كاتصابون في بصائركم وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه هاجروا
ولا تهجروا ومن ذلك قول قيس بن عاصم

ونحن حضرنا الحوفزان بطعنة * كسته نجيعا من دم الجوف أشكلا
وقال آخر أمل عليها بالبل الملوأ

وقال الآخر وذا كم أن ذل الجار حالفكم • وإن أنفكم لا تعرف الانفا
وكتب إلى بعض مشايخنا قال أشدنا لا نخفش عن المردع التوزي

وقالوا حمامات خسم لقاؤها • وطمح فزيت والمطي طلوح
عقاب باعقاب من النأي بعدما • جرف نية نفسى المحب طروح
وقال صحابي هدهد فوق بانه • هدى وبيان بالبحاح يلوح
وقالوا دم دامت موافق عهده • ودام لنا حسن الصفاء صريح

وقال آخر أقبلن من مصر يبارين البري
وقال القطامي ولارد هاق السؤل شالت • بذبال يسكون لها لقاعا
وقد يكون التجنيس بزيادة حرف أو ما يقارب ذلك كقول البصري
هل للمطاف من تلاف تلاف • أم لشاك من الصباية شاف

وقال ابن مقبل

يمشين هيل النقامات جوانبه • ينال حيناً وينهاه الترى حيناً

وقال زهير

هم يهضرون جبيل البيض إذ لحقوا • لا ينكلون إذا ما استلحموا وجوا

ومن ذلك قول أبي تمام

يعدون من أيدعواص عواصم • تصول بأسيان قواض قواضب
وأبو نواس يقصد في مصراعيه تقدمات شعره هذا الباب كقوله
ألا دارها بالماء حتى تلتها • فلن تكرم الصهباء حتى تهينها
وكذلك قوله ديار نوار ملايار نوار • كسوتك شجواهن منه عوار
وكقول ابن المعتز

سأنتي على عهد المطيرة والقصر • وأدعولها بالساكين وبالقطر
وكقوله هي الدار إلا أنها منهم قفر • وإن بها نادر وانهم سقر
وكقوله للاماني حديث يقر • ويسوء الدهر من قد يسر
وكقول المتنبي

وقد أراي الشباب الروح في بدن • وقد أراي المشيب الروح في بدن
وقد قيل إن من هذا القبيل قوله عز وجل خلق الإنسان من عجل ساريكم آياتي فلا
تستجلون وقوله قل الله أعبد مخلصا له ديني فاعبدوا ما شئتم من دونه ويعدون من
البديع المقابلة وهي أن يوفق بين معان وتطائرهما والمضاد بضده وذلك مثل قول النابغة
الجعدي فتي ثم فيه ما يسر صديقه • على إن فيه ما يسوء الأعداء
وقال نابت سراً

أهزبه في نلوة الحى عطفه • كلفه عطفى بالهجان الأوارك
وكقول الآخر

وإذا حديث ساعني لم أكتب • وإذا حديث سرتني لم أسرر
وكقول الآخر

وذي أخوة قطعت أقران بينهم • كثر كوني واحدا لا أخالها
ونظيره من القرآن ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فريق
منكم يرميهم يشركون ويعدون من البديع الموازنة وذلك كقول بعضهم أصبر على حر القفا
ومضض التزلزل شدّة المضارع وكقول امرئ القيس يسلم الشظاعيل الشوى شيخ النساء
ونظيره من القرآن والسماعات البروج واليوم الموعود وشاهدوه مشهود ويعدون من
البديع المساواة وهي أن يكون اللفظ مساوياً للمعنى لا يزيد عليه ولا ينقص عنه وذلك يعد
من البلاغة وذلك كقول زهير
ومهما تكن عند امرئ من خليفة • وإن خالها تخفى على الناس تعلم

وكقول جرير فلو شاء قوي كان حلي فيهم • وكان على جهال أعدائهم جهلي
وكقول الآخر

إذا أنت لم تقصر عن الجهل والحنأ • أصبت حلما أو أصابك لجلل
وكقول الهذلي

فلا تجزعن من سنة أنت سرتها • وأقل راض سيرة من يسرها
وكقول الآخر

فإنهم طامعوك فطامعيتهم • وإن عاصوك فاعصى من عصاك
وتطير ذلك في القرآن كثير ومما يعقونه من البديع الإشارة وهو اشتمال اللفظ القليل على
المعاني الكبيرة وقال بعضهم في وصف البلاغة لحنألة ومن ذلك قول طرفة
فظل لنا يوم لذيذ بنجمة • فقل في مقيل فحسه متغيب
وكقول زيد الخيل

نقيسة من يخبى على فني • وباهلة بن أعصر والرباب
ونظيره من القرآن ولو أن قرأتا سبرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلف به الموق
ومواضع كثيرة ويعتقون من البديع المبالغة والغلو والمبالغة تأكيد معنى القول وذلك
كقول الشاعر ونكرم جارنا ما كان فينا • وتبعه الكرامة حيث مالا
ومن ذلك قول الآخر

وهم تركوك أسلم من حباري • رأيت صقرا وأشرد من نعام
فقوله رأيت صقرا مبالغة ومن الغلو قول أبي نواس

توهمتها في كأسها فكأنما • توهمت شيأ ليس يدركه العقل
فايرتقى التكيف فيها إلى مدى • بحمد به إلا ومن قبله قبل

وقول زهير

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم • قوم بأولهم أو مجدهم قعدوا
وكقول النابغة بلغنا السماء مجدها وسناؤنا • وإننا نرجو فوق ذلك مظهرا

وكقول الخنساء

وما بلغت كفى امرئ متناول • بها المجد إلا حيثما نلت أطول
وما بلغ المهدون في القول ملوحة • وإن أطنبوا إلا الذي فينا أفضل

وقول الآخر

له هم لا منتهى لكبارها • وهمته الصغرى أجل من الدهر

له راحة لوان معشار جودها * على البر صار البرأندى من البحر
ويرون من البديع الايقال في الشعر خاصة فلا يطلب مثله في القرآن الا في العواصل
كقول امرئ القيس

كأن عيون الوحش حول خباننا * وأرجلنا الجزع الذي لم يقب
وقد أوغل بالقافية في الوصف وأكد التشبيه لها والمعنى قد يستقل دونها ومن البديع
عندهم التوشيح وهو ان يشيد أول البيت بقافيته وأول الكلام بآخره كقول الجعفي

فليس الذي حلته يجعل * وليس الذي خرمته يحرام
ومثله في القرآن فن تاب من بعد ظلموا وأصلح فان الله يتوب عليه ومن ذلك الرد بجزء الكلام
على صدره كقول الله عز وجل انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض والآخرة أكبر
درجات وأكبر تفضيلا وكقوله لا تغفروا على الله كذبا فيصحبكم بعذاب وقد تاب من
افتري ومن هذا الباب قول القائل

وان لم يكن الانعزال ساعة * قليلا فاني نافع على قليلها
وكقول جرير سقى الرمل جون مستمل غمامه * وما ذاك الا حب من حل بالرمل
وكقول الآخر

يود القتي طول السلامة والغنى * فكيف يرى طول السلامة يفعل
وكقول أبي صخر الهذلي

عجبت لسبي الدهر بيني وبينها * فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر
وكقول الآخر

أصدا بأيدي العيس عن قصد أرضها * وقلبي اليها بالموثة قاصد
وكقول عمرو بن معدى كرب

اذا لم نستطع شيا فعد * وهو جاوزه الى ما نستطيع
ومن البديع صحة التقسيم ومن ذلك قول نصيب

فقال فريق القوم لا وفريقهم * نعم وفريق قال ويحك ما يدري
وليس في أقسام الجواب أكثر من هذا وكقول الآخر

فكأنما فيه نهار ساطع * وكأنه ليل عليها مظلم
وقول المقفع الكندي

وان ياكلوا لحى وفرت لجومهم * وان يهدموا مجدى بنيت لهم مجدا
وان ضيعوا غيبي حفظت غيوبهم * وان هم هو واغبي هويت لهم رشدا

وان زبروا طيرا بنفس تمرى * زجرت لهم طيرا تمر بهم سعدا
وكقول عروة بن حزام

عن لو رأه غائبا لعديته * ومن لورآ في غائبا لعداني
ونحوه قول الله عز وجل "الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين
كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات ونحوه صحة التفسير كقول
القاتل ولي فرس للعلم بالحلم ملجم * ولي فرس للجهل بالجهل مسرج
ومن البديع التكميل والتثيم كقول نافع بن خليفة
رجال اذا لم يقبوا الحق منهم * ويعطوه عادوا بالسيوف القواطع
وانعام جودة المعنى بقوله ويعطوه وذلك كقول الله عز وجل "ان الله عنده علم الساعة الى
آخر الآية ثم قال ان الله عليم خبير ومن البديع الترصيع وذلك من ألوان منها قول امرئ
القيس محش محش مقبل مدبر معا * كنس طباء الحلب في العدوان
ومن ذلك كثير من مقدمات أبي نواس

يامنة امتها السكر * ما ينقضى مني لها السكر
وكقوله وقد ذكرناه قبل هنا

ديار نوار مادبار نوار * كسولك نجواهن منه عوار
ومن ذلك الترصيع مع التجنيس كقول ابن المعتز

ألم تجزع على الربع الحبل * واطلال وآثار محمول
ونظيره من القرآن كقوله ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا فاذا هم
مبصرون واخوانهم عدوهم في التي ثم لا يقصرون وقوله ما أنت بنعمة ربك بمجنون
وان لك لأجرا غير ممنون وكقوله وانه على ذلك لشهيد وانه لحب الخير لشديد وكقوله
والطور وكأب مسطور وقوله والساجات سجا فالسباقت سبقا وقد ألع الشعراء بنحو
هذا فأكثروا فيه ومنهم من اقتنع بالترصيع في بعض أطراف الكلام ومنهم من بنى كلامه
عليه كقول ابن الرومي أبدأهن وما لبس * ن من الحريم معا حير

أردانهن وما مسد * ن من العير معا عير
وكقوله فلأهاب أن لا يريب أمانه * ولراغب أن لا يريث نجاحه

وبما يقارب الترصيع ضرب يسمى المضارعة وذلك كقول الخنساء
حامي الحقيقة محمود الخليفة مه * دى الطريقة نفاع وضار
جواب قاصية جزاز ناصية * عقاد ألوية للخيال جرار

ومن البديع باب التكافؤ وذلك قريب من المطابقة كقول المنصور لا تخرجوا من عز
الطاعة الى ذل المعصية وقول عمر بن ذر انا لم نجد لك اذ عصيت الله فينا خيرا من ان نطيع
الله فيك ومنه قول بشار

اذا أيقظتك حروب العدا * فبها لها عمرا ثم ثم

ومن البديع باب التعطف كقول امرئ القيس * عود على غود على عود خلق *

وقد تقدم مثاله ومن البديع السلب والایجاب كقول القائل

ونسکر ان شئت اعلی الناس قولهم * ولا ينسكرون القول حين نقول

ومن البديع الكناية والتعريض كقول القائل

وأجر كالديباج أما مآؤه * فربا وأما أرضه فميجول

ومن هذا الباب لمن القول ومن ذلك العكس والتبديل كقول الحسن ان من خوقك

لتأمن خير من أمك لتأف وكقوله اللهم اغني بالفقر اليك ولا تهقرني بالاستغناء عنك

وكقوله بع دنياك بأخرك تريحهما جميعا ولا تبع آخرتك بدنياك فتفسرهما جميعا

وكقول القائل

واذا البرزان حسن وجوه * كان للدر حسن وجهك زينا

وقد يدخل في هذا الباب قوله تعالى يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل ومن

البديع الالتفات فمن ذلك ما كتب الى الحسن بن عبد الله العسكري أخيرا محمد بن عبد

الله الصولي حدثني يحيى بن علي النخعي عن أبيه عن اسحاق بن ابراهيم قال قال لي الاصحى

أتعرف التفاتات جرير قلت لا فما هي قال

أفسي اذ توغنا سليمي * بفرع بشامة سقى البشام

ومثل ذلك لجرير

حتى كان الخيام يذى طلوح * سقيت الغيث اينها الخيام

ومعنى الالتفات انهُ اعترض في الكلام قوله سقيت الغيث ولو لم يعترض لم يكن ذلك

التفاتا وكان الكلام منتظما وكان يقول حتى كان الخيام يذى طلوح أيها الخيام فتي خرج

عن الكلام الاول ثم رجع اليه على وجه يلطف كان ذلك التفاتا ومثله قول النابغة

المجعدى ألا زعت بنو سعد بأني * ألا كذبوا كبير السن فاني

ومثله قول كثير

لوان الباذلين وأنت منهم * وأولك تعلموا منك المطالا

ومثله قول أبي تمام

وانجدم من بعد انهام داركم * فيادمع انجدم على ساكني نجد
وكقول جرير

طرب الحمام بذي الاراك فشاقتي * لازلت في غلال وأبك ناصر
التفت الى الحمام فدعا لها رمله قول حسان

ان التي نارلتني فرددتها * قبلت قبلت فهانها لم تقتل
ومنه قول عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر

وأجل اذا ما كنت لا يدماعا * وقد ينزع الشئ القتي وهو مجل
وكقول ابن ميادة

فلا صر مهيدو وفي اليأس راحة * ولا وصله بصفو لنا فذكارمة
وتطير ذلك من القرآن ما حكى الله تعالى عن ابراهيم الخليل من قوله اعبد الله واتقوه
ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون انما تعبدون من دون الله وأنا وخلقون افكا الى قوله
فما كان جواب قومه وقوله عز وجل ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وماذا لك على الله
بعزير وبرزوا لله جميعا ومثله قوله حتى اذا كنتم في القلأ وجرين بهم برح طيبة الى آخر
الآية ومثله قوله وائل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها الى قوله فخله كثر
الكلب ان تحمل عليه يلهث وتتركه يلهث ومثله قوله والسارق والسارقة فاقطعوا
أيديهما جزاء ما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم فناب من بعد ظله ومنهم من
لا يعد الاعتراض والرجوع من هذا الباب ومنهم من يفرده عنه كقول زهير
قف بالديار التي لم يعفها القدم * نعم وغيرها الأرواح والديم
وكقول الاعرابي

أليس قليلا نظرة ان نظرتها * اليك وكل ليس منك قليل

وكقول ابن هرمة

ليت خطي كخطاة العين منها * وكثير منها القليل منها

ومن الرجوع قول القائل

بكل تدأوي فما لم يشف ما بنا * على ان قرب الدار خير من البعد

وقال الاعشى

صرمت ولم أصرمكم وكصارم * أخ قد طوى كشها وآب ليذهبا

وكقول بشار لي حيلة فيهن ينم * وليس في الكذاب حيلة

من كان بخلق مايقو * ل تخيلني فيه قليله

وقال آخر

وما بي انتصار ان غدا الدهر ظالمى • على بلى ان كان من عندك النصر
وباب آخر من البديع سمي التذليل وهو ضرب من التأكيد وهو ضد ما قد مناذ كره من
الاشارة كقول أبي رواد

اذا ما عقدناه ذممة • شددنا العناج وعقد الكرب
وأخذه الخطيئة فقال

فدعوا نزال فكنت أول نازل • وعلام أركبه اذا لم أنزل
وكقول جرير لقد كنت فيها يا فرزدق تابعاً • وریش الدنابي تابع للقوادم
ومثله قوله عز وجل ان فرعون علا في الارض وجعل أهلها شيعا الى قوله انه كان
من المفسدين وزريذ ان غن على الذين استضعفوا في الارض وتبعهم أئمتهم فجعلهم الوارثين
الى قوله كانوا خاطئين

• وباب من البديع سمي الاستطراف فن ذلك ما كتب الى الحسن بن عبد الله قال أنشدني
أبو بكر بن دريد قال أنشدنا أبو حاتم عن أبي عبيدة لحسان بن ثابت رضى الله تعالى عنه
ان كنت كاذبة التي حدثتني • فقبوت منبأ الحرث بن هشام
ترك الاحبة لم يقاتل دونهم • ورى برأى طمرة ولبحام
وصكقول السهول

وانالقوم لا ترفى القتل سبة • اذا مارأته عامر وسلول
وصكقول الآخر

خليلى من كعب أعيننا أنا كما • على دهره ان الكريم معين
ولا تبطل بخل ابن قرعة انه • مخافة ان يربحى نراه جزين
وكقول الآخر

فاذ قرن الشمس حتى كائننا • من الى نحكى احمد بن هشام
وصكقول زهير

ان البغيل ملوم حيث كان وا • مكن الجواد على علاته هرم
وفما كتب الى الحسن بن عبد الله قال أخبرني محمد بن يحيى حدثني محمد بن علي الانباري
قال سمعت البختري يقول أنشدني أبو تمام لنفسه

وسابع هطل التعداء هتان • على الجراء أمين غير خوان
أظمى الفصوص ولم تظما قوائمه • نفل عينك في ريان ظمان

ولو تراء مشبها والخصى فلق * بين السنايك من مثني ووجدان
 أيقنت ان لم تثبت ان حاقره * من يحزنهم أو من وجه عثمان
 وقال ما هذا من الشعر قلت لأدري قال هذا المستطرد أو قال الاستطرد قلت وما
 معنى ذلك قال يرى انه يصف الفرس ويريد هجاء عثمان فقال وقال البصري
 ما ان يعاف قذى ولو أوردته * يوما خلقت جدويه الاحول
 قال فقيل للبصري انك أخذت هذا من أبي تمام فقال ما يعاب على ان أخذته وأتبعه فيها
 يقول ومن هذا الباب قول أبي تمام
 صب الفراق علينا صب من كتبنا * عليه امحق يوم الروح منتفها
 ومنه قول السري الرقاء

نزع الوشاة لنا بسهم قطيعة * يرى بسهم الحين من يرى به
 ليت الزمان أصاب حب قلوبهم * بقنا ابن عبد الله أو بجراه
 ونظيره من القرآن أولم يروا الى ما خلق الله من ثني يتغيرو ظلاله عن اليمين والشمال مجددا
 لله وهم داخرون والله سبحانه ما في السموات وما في الارض من دابة والملائكة وهم
 لا يستكبرون كأنه كان المراد ان يجري بالقول الاول الى الاخبار عن ان كل ثني
 يسجد لله عز وجل وان كان ابتداء الكلام في أمر خاص ومن المبدع عندهم التكرار
 كقول الشاعر هلا سألت جوع كذ * لمة يوم ولوا أين أين
 وكقول الآخر وكانت فزارة تصلي بنا * فأولى فزارة أولى لها
 ونظيره من القرآن كثير كقوله ان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا والتكرار في
 قوله قل يا أيها الكافرون وهذا فيه معنى زائد على التكرار لانه يعيد الاخبار عن الغيب
 ومن المبدع عندهم ضرب من الاستثناء كقول النابغة

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب
 وكقول النابغة الجعدي

ففي كلت أخلاقه غير انه * جواد فلا يبق من المال باقيا
 ففي تم فيسه ما يسر صديقه * على ان فيسه ما يسوء الاعدا
 وكقول الآخر حلیم اذا ما الحلم زين أهله * مع الحلم في عين العدو مهيب
 وكقول أبي تمام تنصل ربهما من غير جرم * اليك سوى النصيحة والوداد
 ووجوه المبدع كثيرة جدا فاقصرنا على ذكر بعضها ونهنا بذلك على ما لم نذكر
 كراهة التطويل فليس الغرض ذكر جميع أبواب المبدع وقد قدمتم قدرون انه يمكن

استفادة اعجاز القرآن من هذه الابواب التي تعلناها وان ذلك مما يمكن الاستدلال به عليه وليس كذلك عندنا لان هذه الوجوه اذا وقع التنبيه عليها أمكن التوصل اليها بالتدرب والتعود والتصنع لها وذلك كالشعر الذي اذا عرف الانسان طريقه صح منه العمل له وأمكنه نظمه والوجوه التي نقول ان اعجاز القرآن يمكن ان يعلم منها فليس مما يقدر البشر على التصنع له والتوصل اليه بحال ويبين ما قلنا ان كثير من المحدثين قد تصنع لآبواب الصنعة حتى حشى جميع شعره منها واجتهد ان لا يفوته بيت الا وهو علوه من الصنعة كما صنع أبو تمام في لاميته

مضى أنت عن ذهلية الحى نادل • وصدرك منها مئة الدهر آمل
 قتل طول الدمع في كل موقف • وتسل بالصبر الديار الموائل
 دوارس لم يحف الربيع ربوعها • ولا مر في اغفالها وهو غافل
 فقد مصبت فيها السحاب ذبولها • وقد أخلت بالنور تلك الخائل
 تعفن من زاد العفاة اذا انتفى • على الحى صرف الازمة المتماحل
 لهم سلف سمر العوالى وسامر • وفهم جال لا يغض وجامل
 ليالى أضلت العزاء وخذلت • بعقلك آرام الخلدور العقائل
 من الهيف لو أن الخلاخيل صبرت • لها ونشأ حالت عليه الخلاخل
 مهى الوحش الا ان هاتا أوانس • فنا الخط الا ان تلك ذوابل
 هوى كان خلسا ان من أطيب الهوى * هوى حلت في آفاته وهو غامل
 ومن الادباء من عاب عليه هذه الابيات ونحوها على ما قد تكلف فيها من البديع وتعمل من الصنعة فقال قد اذهب ماء هذا الشعر ورونقه وفائدته اشتغلا يطلب التطبيق وسائر ما جمع فيه وقد تعصب عليه أحمد بن عبد الله بن عمار وأسرف حتى تجاوز الى الغرض من محاسنه ولما قد أولع به من الصنعة ربما غطى على بصره حتى يبدع في القبيح وهو يريد ان يبدع في الحسن كقوله في قصيدة له أولها

مرت تسجير الدمع خوف نوى غد * وعاد قتادا عندها كل مرقد
 فقال فيها لعمري لقد حررت يوم لقيته * لو ان القضاء وحده لم يبرد
 وكقوله لو لم تدارك مسن المجد من زمن • بالجوود والباس كل المجد قد خرفا
 فهذا من الاستعارات القبيحة والبديع المقيت كقوله
 تسعون ألفا كآساد الشرى نجت • أعمارهم قبل نضج التين والعنب
 وكقوله لو ايمت بين أطراف الرماح اذا * لمت اذ لمعت من شدة الحزن

وكقوله خُشنت عليه أخت بنى خُشين

وكقوله ألا ليمتد الدهر كفا بسني • الى مجتدى نصر فنقطع من الزند
وقال في وصف المطايا

لو كان كلها عيسد حجة • يوما لزنى شدقا وجديلا

وكقوله ف ضربت الشتاء في أخدعيه • ضربة تادر تعودار ككوبا

فهذا وما أشبه انما يحدث من غلوه في محبة الصنعة حتى يعيه عن وجه الصواب وربما
أسرف في المطابق والمجانس ووجوه البديع من الاستعارة وغيرها حتى استثقل نظمها
واستوخمر صرعه وكان التكلف باردا والتصرف جامدا وربما اتفق مع ذلك في كلامه
النادر المليح كما يتفق البارد القبيح فأما البصري فانه لا يرى في التجنيس ما يراه أبو تمام
ويقل التصنع له فاذا وقع في كلامه كان في الاكثر حسنا رشيقا ونظريا جليلا وتصنعه
للمطابق كثير حسن وقبعة في وجوه الصنعة على وجه طلب السلامة والرغبة في السلاسة
فلذلك يخرج سليها من العيب في الاكثر وأما وقوف الالفاظ به عن تمام الحسنى وقعود
العبارات عن الغاية القصوى فشي لا بد منه وأمر لا يحصى عنه كيف وقد وقف على
من هو أجل منه وأعظم قدرا في هذه الصنعة وأكبر في الطبقة كمرئ القيس وزهير
والناطقة والى يومه ونحن نبين تميز كلامه وانحطاط درجة قولهم وتزل طبقة نظمهم عن
بديع نظم القرآن في باب مفرد يتصور به ذو الصنعة ما يجب تصوره ويتحقق وجه الانحاز
فيه بمشقة الله وعونه ثم يرجع الكلام بنا الى ما قدمناه من انه لا سبيل الى معرفة اعجاز
القرآن من البديع الذي ادعوه في الشعر وصفوه فيه وذلك ان هذا الفن ليس فيه
ما يحرق العادة ويخرج عن العرف بل يمكن استدراكه بالتعلم والتدرب به والتصنع له
كقول الشعر ووصف الخطب وصناعة الرسالة والخلق في البلاغة وله طريق يسلك ووجه
يقصد وسلم يرتقى فيما اليه ومثال قد يقع طال به عليه قرب انسان يتعود ان ينظم جميع كلامه
شعرا أو يتعود ان يكون جميع خطابه مجمعا أو صنعة متصلة لا يسقط من كلامه حرف وقد
يباده ما قد تعودده وأنت ترى أدياء زماننا يضيفون المحاسن في جزء وكذلك يؤلفون أنواع
البارع ثم ينظرون فيه اذا أرادوا انشاء قصيدة أو رسالة أو خطبة فيحشون به كلامهم
ومن كان قد تدرب وتعمق في حفظ ذلك اشتغل عن هذا التصنيف ولم يتجأ الى تكلف هذا
التأليف وكان ما أشرف عليه من هذا الشأن باسطا من باع كلامه وموشعا بأنواع
البديع ما يحاوله من قوله وهذا طريق لا يتعدو باب لا يتبع وكل يأخذ فيه مأخذا ويقف
فيه موقفا على قدر ما معه من المعرفة وبحسب ما يعتده من الطبع فأما شأ ونظم القرآن

فليس له مثال يحتذى اليه ولا امام يقتدى به ولا يصح وقوع مثله اتفاقا كما يتفق للشاعر البيت النادر والكلمة الشاردة والمعنى الغد الغريب والشئ القليل العجيب وكما يلحق بكلامه بالوحشيات ويضاف من قوله الى الاوابد لان ما جرى هذا المجرى ووقع هذا الموضع فاعلم يتفق للشاعر في اعم من شعره وللكاتب في قليل من رسائله ولخطيب في يسير من خطبه ولو كان كل شعره نادرا ومثلا سائرا ومعنى بديعا ولفظا رشيقا وكل كلامه مملواً من رونقه ومائه ومملا بعبقريته وحسن رواه ولم يقع فيه المتوسط بين الكلامين والمترددين الطرفين ولا البارد المستقل والغث المستنكر لمن الاجاز في الكلام ولم يكن التفاوت العجيب بين النظام والنظام وهذه جملة تحتاج الى تفصيل ومبهم قد يحتاج في بعضه الى تفسير وسند كذلك بحسبنة الله وعونه ولكن قد يمكن ان يقال في البديع الذي حكيناها واذصفناه اليهم ان ذلك باب من ابواب البراعة وجنس من اجناس البلاغة وانه لا ينفك القرآن عن فن من فنون بلاغاتهم ولا وجه من وجوه فصاحتهم واذا اورد هذا المورد ووضع هذا الموضع كان جديرا واعمال نطق القول اطلاقا لانا لا نجعل الاجاز متعلقا بهذه الوجوه الخاصة ووقفنا عليها ومضانا عليها وان صح ان تكون هذه الوجوه مؤثرة في الجملة آخذة بظنها من الحسن والبهجة متى وقعت في الكلام على غير وجه التكلف المستبشع والتجمل المستشنع

فصل في كيفية الوقوف على اجاز القرآن

قد بينا انه لا يتبها لمن كان لسانه غير العربية من العجم والترك وغيرهم ان يعرفوا اجاز القرآن الا ان يعلموا ان العرب قد جهزوا عن ذلك فاذا عرفوا هذا بان علموا انهم قد تحدثوا على ان يأتوا بمثله وقرعوا على ترك الاتيان بمثله ولم يأتوا به تبينوا انهم عاجزون عنه واذا جهز اهل ذلك اللسان فهم عنه اعجز وكذلك نقول ان من كان من اهل اللسان العربي الا انه ليس يبلغ في الفصاحة الحد الذي يتناهى الى معرفة اساليب الكلام ووجوه تصرف اللغة وما يعتد به فصيحا بليغا بارعا من غيره فهو كالا يجهل في انه لا يمكنه ان يعرف اجاز القرآن الا بمثل ما بينا ان يعرف به الفارسي الذي بدأنا به ذكره وهو من ليس من اهل اللسان سواء فاما من كان قد تنهى في معرفة اللسان العربي ووقف على طرقها ومذايقها فهو يعرف القدر الذي ينتهي اليه وسع المتكلم من الفصاحة ويعرف ما يخرج عن الوسع ويتجاوز حدود القدرة فليس يخفى عليه اجاز القرآن كما يميز بين جنس الخطب والرسائل والشعر وكما يميز بين الشعر الجيد والردى والقصص والبديع والنادر والبارع والغريب وهذا كما

يميز أهل كل صناعة صنعتهم فيعرف الصيرفي من التقدم ما يخفى على غيره ويعرف البزاز من قيمة الثوب وجودته وورداً ما يخفى على غيره وإن كان يبقى مع معرفة هذا الشأن أمر آخر ورعاة اختلافه وافية لأن من أهل الصناعة من يختار الكلام المتين والقول الرصين ومنهم من يختار الكلام الذي يروق ماؤه وترويع بهجته ورواؤه ويسلس ما أخذه ويسلم وجهه ومنعذه ويكون قريب المتناول غير عويص اللفظ ولا غامض المعنى كما يختار قوم ما بغض معناه ويقرب لفظه ولا يختار ما سهل على اللسان وسبق إلى البيان وروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وصف زهيراً فقال كان لا يدع الرجل إلا بما فيه وقال لعبد بنى الحساس حين أنشدته * كفى الشيب والأسلام لمرء ناهيا *

أما أنه لو قلت مثل هذا لا يجزئك عليه وروى أن جزيراً سئل عن أحسن الشعر فقال قوله أن الشق الذي في النار منزله • والفوز فوز الذي ينجو من النار كأنه فضله لصديق معناه ومنهم من يختار الغلو في قول الشعر والافتراط فيه حتى ربما قالوا أحسن الشعر أ كذبه كقول التائيغة

يقده السلوقي المضاعف نسجه * ويوقدن بالصفاح ناراً الجياهب

وأكثرهم على مدح المتوسط بين المذهبين في الغلو والاقتصاد في المائدة والسلاسة ومنهم من رأى أن أحسن الشعر ما كان أكثر صنعة والطف تعلاً وإن يغير الألفاظ الرشيق للعاني البديع والقوافي الواقعة كذهب البصري وعلى ما وصفه عن بعض الكتاب

في نظام من البلاغة ما شئت أن امرؤ أنه نظام فريد

وبديع كأنه الزهر الضا • حاك في رونق الربيع الجديدة

جزن مستعمل الكلام اختياراً * وتجنبن ظلمة التعقيد

وركن اللفظ القريب فادرك * ن به غاية المراد البعيد

ويرون أن من تعدى هذا كل سال كاسل كاعاها ولم يروم شاعراً ولا مصيباً وفيها كتب الحسن بن عبد الله أبو أحمد العسكري قال أخبرني محمد بن يحيى قال أخبرني عبد الله بن الحسن قال قال لي البصري دعاني على من الجهم فضيت إليه فافضنا في أشعار المحدثين إلى أن ذكرنا شعراً أشجع فقال لي أنه يخفى وأعاد همارات ولم أقمها وأنت أن أسأله عن معناها فلما انصرفت أفكرت في الكلمة ونظرت في شعره فاذا هو رباعيت له الأبيات مغسولة ليس فيها بيت رائع وإذا هو يريد هذا بعينه أن يعمل الأبيات فلا يصيب فيها بيت فادر كأن الرامي إذا رمى برشق فلم يصب بشيء قيل قد أخلى قال وكان على بن الجهم أحسن الناس علماً بالشعر وقوم من أهل اللغة عيلون إلى الرصين من الكلام الذي يجمع الغريب والمعاني

مثل أبي عمرو بن العلاء وخلف الأجر والاصمعي ومنهم من يختار الوحشي من الشعر كما
اختار المفضل المنصور من المضطليات وقيل انه اختار ذلك ليله الى ذلك الفن وذكر الحسن
ابن عبد الله انه أخبره بعض الكُتّاب عن علي بن العباس قال حضرت مع البصري مجلس عبيد
الله بن عبد الله بن طاهر وقد سألت البصري عن أبي نواس ومسلم بن الوليد أيهما أشعر فقال
البصري أبو نواس أشعر فقال عبيد الله ان أبا العباس ثعلبي لا يطالبك على قولك وبفضل
مسلم فقال البصري ليس هذا من عمل ثعلب وذويه من المتعاطين لعمري الشعر دون عمله انما يعلم
ذلك من وقع في سلك الشعر الى مضايقه وانتهى الى ضروره انه فقال له عبيد الله وريت بك
زنادي يا أبا عبيدة وقد وافق حكمك حكم أخيك بشار بن برد في جرير والفرزدق أيهما
أشعر فقال جرير أشعرهما ف قيل له عاذا فقال لان جرير اشتد اذا شاء وليس كذلك الفرزدق
لانه يشتد اذا قيل له فان نواس وأبا عبيدة يفضلان الفرزدق على جرير فقال ليس هذا
من عمل أولئك القوم انما يعرف الشعر من يضطر الى أن يقول مثله وفي الشعر ضرر وب لم
يحسنها الفرزدق ولقد ماتت النوار امرأته ففناح علمه بقول جرير

لولا الحياء لعداني استعبار * ولزوت قبرك والحبيب نزار

وروى عن أبي عبيدة انه قال للفرزدق مالك لا تنسب كما ينسب جرير فجاب حولان ثم جاءه فأنشد
يا أخت ناجية بن سامة انني • أخشى عليك بنى ان طلبوا دوى

والاعدل في الاختيار ما سلكه أبو تمام من الجنس الذي جمعه في كتاب الحاسة وما اختاره
من الوحشيات وذلك لانه تكرر المستنكر الوحشي والمبتذل الدماوي أو بالواسطة وهذه
طريقه من ينصف في الاختيار ولا يعدل به غرض يخص لان الذين اختاروا الغريب فاعما
اختاروه لغرض لهم في تفسير ما يشبهه على غيرهم واظهار التقدم في معرفته ويحجز غيرهم
عنه ولم يكن قصدهم جيد الاشعار لشي يرجع اليها في انفسها وبين هذا ان الكلام
موضوع للابانة عن الاغراض التي في النفوس واذا كان كذلك وجب ان يتخير من الانتظ
ما كان اقرب الى اللابة على المراد وأوضح في الابانة عن المعنى المطلوب ولم يكن مستكره
المطلع على الاذن ومستنكر المورد على النفس حتى يتأني بغرابته في اللفظ عن الافهام
أو يمنع بتعويض معناه عن الابانة ويحب ان ينسكب ما كان عليه اللفظ مبتذل العبارة
ركبك المعنى فسفافي الوضع مجتلب التأسيس على غير أصل مجهد ولا طريق موطد وانما
فضلت العربية على غيرها لاعتدالها في الوضع ولذلك وضع أصلها على أكثرها بالحروف
المعتلة فقد أحملوا الانطاط المستكره في نظمها وأسقطوها من كلامهم فخرى لسانهم
على الاعدل ولذلك صار أكثر كلامهم من الثلاث لانهم بدأوا بحرف وسكّنوا على آخر

وجعلوا حرفاً وصلة بين الحرفين ليمتد الابتداء والانتها على ذلك والثاني أقل وكذلك الرباعي
والخماسي أقل ولو كان كله ثنائياً لتكررت الحروف ولو كان كلهم باعياً أو خاسياً لتكررت
الكلمات وكذلك بنى أمر الحروف التي ابتدئ بها السور على هذا فأكثر هذه السور التي
ابتدئت بذكر الحروف ذكر فيها ثلاثة أحرف ومثلها أربعة أحرف سورتان وما ابتدئ
بخمسة أحرف سورتان فأما ما بدئ بحرف واحد فقد اختلفوا فيه فهم من لم يجعل ذلك
حرفاً وإنما جعله فعلاً واحداً لشيء خاص ومن جعل ذلك حرفاً قال أراد أن يحقق الحروف
مفردها ومنظومها ولصيق ماسوى كلام العرب أو لخروجه عن الاعتدال بتكرري
بعض الالسنه الحرف الواحد في الكلمة الواحدة والكلمات المختلفة كثيراً كقولهم تكرر
الطاء والسين في لسان يونان وكقولهم الحروف الكثيرة التي هي اسم لشيء واحد في لسان
الترك ولذلك لا يمكن أن ينظم من الشعر في تلك الالسنه على الأعراس التي تمكن في اللغة
العربية والعربية أشدها عمكاً وأشرفها تصرفاً وأعدلها ولذلك جعلت حلية نظم القرآن
وعلق بها الإجاز وصارت دلالة في النبوة وإذا كان الكلام انما يفيد الإبانة عن الأغراض
القائمة في النفوس التي لا يمكن التوصل إليها بأنفسها وهي محتاجة إلى ما يعبر عنها فما كان
أقرب في تصويرها وأظهر في كشفها لفهم الغائب عنها وكان مع ذلك أحكم في الإبانة عن
المراد وأشد تحقيقاً في الإيضاح عن الطلب وأعجب في وضعه وأرشق في تصرفه وأبرع في
نظمه كان أولى وأحق بأن يكون شريفاً وقد شبهوا النطق بالخط والخط يحتاج مع بيانه إلى
رشاقة وحمية ولطف حتى يجوز الفضيلة ويجمع الكمال وشبهوا الخط والنطق بالتصوير وقد
أجمعوا أن من أحسن المصورين من صور لك البياكي المتضاحك والبياكي الحزين
والضاحك المتباكي والضاحك المستبشر وكأنه يحتاج إلى لطف يد في تصوير هذه الأمثلة
فكذلك يحتاج إلى لطف في اللسان والطبع في تصوير ما في النفس للغير وفي جملة الكلام
إلى ما تنقص عبارته وتفضل معانيه وفيه ما تنقص المعاني وتفضل عبارات وفيه ما يقع كل
واحد منهما وفقاً للآخر ثم ينقسم ما يقع وفقاً إلى أنه قد يفيد على تفصيل وكل واحد
منهما قد ينقسم إلى ما يفيد على أن يكون كل واحد منهما بديعاً شريفاً وغير ما لظنفا
وقد يكون كل واحد منهما مستجلباً متكلفاً ومصنوعاً متعسفاً وقد يكون كل واحد منهما
حسناً شقيقاً وبهجياً فاضحياً وقد يتفق أحد الأمرين دون الآخر وقد يتفق أن يسلم الكلام
والمعنى من غير رشاقة ولا نصارة في واحد منهما انما يعبر عن غير ما يعرف من يعرف والحكم
في ذلك صعب شديد والفضل فيه شأو بعيد وقد قل من يميز أصناف الكلام فقد حكى عن
طبعة أبي عبيدة وخلف الأهر وغيرهم في زمانهم أنهم قالوا ذهب من يعرف نقد الشعر

وقد ينقلب هذا الاختلاف القوم في الاختيار وما يجب ان يجمعوا عليه ويرجعوا عند التحقيق اليه وكلام المقتدر على كلام المتوسع باب وكلام المطبوع له طريق وكلام المتكاف له منهاج والكلام المستوع للخبير له باب ومتى تقدم الانسان في هذه الصنعة لم تخف عليه هذه الوجوه ولم تشبهه عنده هذه الطرق فهو يزود كل متكلم بكلامه وقدر كل كلام في نفسه ويحبه محله ويعتقد فيه ما هو عليه ويحكم فيه بما يستحق من الحكم وان كان المتكلم يهودي في شيء دون شيء عرف ذلك منه وان كان يعم احسانه عرف الاثر ان منهم من يجود في المدح دون الهجو ومنهم من يجود في الهجو وحده ومنهم من يجود في المدح والسخط ومنهم من يجود في الاوصاف والعالم لا يشذ عنه من ارباب هؤلاء ولا يذهب عليه اقتدارهم حتى انه اذا عرف طريقة شاعر في قصائد معدودة فأنشد غيرهما من شعره لم يشك ان ذلك من نفسه ولم يرتب في انه من قلمه كانه اذا عرف خط رجل لم يشبهه عليه خطه حيث رآه من بين الخطوط المختلفة وحتى يميز بين رسائل كاتب وبين رسائل غيره وكذلك أمر الخطب فان اشتبه عليه البعض فهو لاشتباه الطريقين وتماثل الصورتين كما قد يشبه شعر أبي تمام بشعر البصري في القليل الذي يترك أو تمام فيه التصنع ويقصد فيه التسهل ويسلك الطريقة الكناية ويتوجه في تقريب الالفاظ وترك تعريض المعاني ويتفقه له مثل بهجة أشعار البصري والفاظه ولا يخفى على أحد يميز هذه الصنعة سبك أبي نواس ولا نسج ابن الرومي من نسج البصري وفيه ديباجة شعر البصري وكثرة ما نهو بديع رونقه وبهجة كلامه الا فيما يسترسل فيه فيشبهه شعر ابن الرومي ويحركه ما لشعر أبي نواس من الخلاوة والرفقة والرشاقفة والسلاسة حتى يفرق بينه وبين شعر مسلم وكذلك يميز بين شعر الاعشى في التصريف وبين شعرا من القيس وبين شعر النابغة وزهير وبين شعر جرير والاخلط والبعيث والامر زريق وكل له منهج معروف وطريق مألوف ولا يخفى عليه في زماننا الفصل بين رسائل عبد الحميد وطبقته وبين طبقة من بعده حتى انه لا يشبهه عليه ما بين رسائل ابن الحميد وبين رسائل أهل عصره ومن بعده ممن برع في صنعة الرسائل وتقدم في شأوها حتى جمع فيها بين طرق المتقدمين وطريقة المتأخرين حتى خلص لنفسه طريقة وأنشأ لنفسه منهاجا فسلك تارة طريقة الجاحظ وتارة طريقة السمع وتارة طريقة الاصل ويرعى في ذلك باقتداره وتقدم بحذقه ولكنه لا يخفى مع ذلك على أهل الصنعة طريقه من طريق غيره وان كان قد يشبه البعض ويدق القليل وتغض الاطراف وتشذ النواحي وقد يتقارب سبك من شعرا عصر وسداني رسائل كاتب دهر حتى تشبهه اشتباها شديدا وتماثل تماثلا قريبا فتغض الفصل وقد يشذ كل الفرع والاصل وذلك

فيما لا يتعذر ادراك امده ولا يصعب طلاب شأوه ولا يتعق بلوغ غايته والوصول الى نهايته لان الذي يتفق من الفصلين اهل الزمان اذا ضلوا وتفاوتوا في مضمار فصل قريب وأمر دسبر وكذلك لا يخفى عليهم معرفة سارق الالفاظ وسارق المعاني ولا من يخترعها ولا من يلزمها ولا من يجاهر بالاخذ عن يكاتبه ولا من يخترع الكلام اختراعا ويندعه ابتداها من يروى فيه ويجعل الفكر في تنقيحه ويصبر عليه حتى يتخلص له ما يريد وحتى يتكثر رنظره فيه قال أبو عبيدة سمعت أبا عمرو يقول زهير والحطيئة وأنشأهما عبيد الشعر لانهم نفعوه ولم يذهبوا فيه مذهب المطبوعين وكان زهير يسمى كبر شعره الحويلات المنقحة وقال عدي بن الرطاع

وقصيدة قد بت أجمع بينها * حتى أقوم ميلها وسنادها

نظر المنقف في كعوب قنانه • حتى يقيم ثقافه متادها

وكقول سويد بن كراع

أيت بأبواب القوافي كأنما • أصادى به امر با من الوحش نزعاً

ومنهم من يعرف بالبدية وحنة الخاطر وتقاد الطبع وسرعة النظم يرتجل القول ارتجالاً ويطيعه عفواً ولا يقعد به عن قوم قد تعبدوا وكثروا أنفسهم وجاهدوا خواطرهم وكذلك لا يخفى عليهم الكلام العلوي واللفظ الملوكني كما لا يخفى عليهم الكلام العامي واللفظ السوقي ثم تراهم ينزلون الكلام تنزيلاً ويعطونه كيف تصرف حقوته و يعرفون مراقبه فلا يخفى عليهم ما يختص به كل فاضل تقدم في وجهه من وجوه النظم من الوجه الذي لا يشركه فيه غيره ولا يساهمه سواه الا تراهم وصفوا زهيراً بأنه أمدحهم رأيدهم اتر شعر قاله أبو عبيدة وروى أن الفرزدق انتحل بيتاً من شعر جرير وقال هذا يشبه شعري فكان هؤلاء لا يخفى عليهم ما قد نسبناه اليهم من المعرفة بهذا الشأن وهذا كما يعلم البرازون هذا الدباج عمل بستر وهذا لم يعمل بستر وان هذا من صنعة فلان دون فلان ومن نسج فلان دون فلان حتى لا يخفى عليه وان كان قد يخفى على غيره ثم انهم يعلمون أيضاً من له سميت بنفسه ورفقت برأسه ومن يقتدى في الالفاظ وفي المعاني أو فيهما بغيره ويجعل سواه قدوة له ومن يلزم في الاحوال بمذهب غيره ويأتي في الاحيان بمخترعه وهذه أمور مهيمة عند العلماء وأسباب معرفة عند الادباء وكما يقولون ان الجعري بغيري على أبي تمام اغارة وياخذ منه صريحاً واستارة ويستأنس بالاخذ منه بخلاف ما يستأنس بالاخذ من غيره ويألف اتباعه كما لا يلتأ اتباع سواه وكما كن أبو تمام يلزم بأبي نواس وعلم وكما يعلم ان بعض الشعراء يأخذ من كل أحد ولا يقاوم ويؤلف ما يقوله من فرق شتي وما الذي يقع

المتنبى بحدوده الاجذ وانكاره معرفة الطائنين وأهل الصنعة يدلون على كل حرف أخذه
منهما جارا أو أياهما فيه سرا أو أماما يأخذ عن الغير ولكن سلك القبط وراعى النهج
فهم يعرفونه ويقولون هذا شبهه من التمرة بالتمرة وأقرب اليه من الماء الى الماء وليس
بينهما الا كايين الليلة والليلة فإذا تابينا وذهب أحدهما في غير مذهب صاحبه وسلك في
غير جنبه قيل بينهما ما بين السماء والارض وما بين النجم والنون وما بين المشرق والمغرب
وانما أطلت عليك ووضعت جميعين يديك لتعلم ان أهل الصنعة يعرفون دقيق هذا الشأن
وجليله ونافسه وجليله وقريبه وبعيده ومعوجه ومستقيمه فكيف يخفى عليهم الجنس
الذى هو بين الناس متداول وهو قريب متناول من أمر يخرج عن أجناس كلامهم
وبعد عما هو في عرفهم ويقوت موافق قسره واذن اشتبه ذلك فلما يشبهه على ناقص في
الصنعة أو ناقص عن معرفة طرق الكلام الذى يتصرفون فيه ويديرونه بينهم ولا يتجاوزونه
فلكلامهم سبيل مضبوطة وطرق معرفة محصورة وهذا كما يشبهه على من يدعى الشعر
من أهل زماننا والعلم بهذا الشأن فيدعى انه أشعر من البصري ويتوهم انه أدق مسلكا من
أبي نواس وأحسن طريقا من مسلم وأنت تعلم انهما متباعدان وتحقق انهما لا يجتمعان
ولعل أحدهما انما يلحظ عبارة صاحبه ويطالع ضياء نجمه وراعى حقوف جناحه وهو
راكد في موضعه ولا يضر البصري ظنه ولا يلحقه بشأوه وهمه فان اشتبه على متأذب أو
متشاعر أو ناثق أو مر مد فصاحة القرآن وموقع بلاغته وهيب براعته فاعليك منه
انما يخبر عن نقصه ويدل على عجزه ويبين عن جهله ويصرح بسخافة فهمه وركاكة
عقله وانما قد منا ما قد مناه في هذا الفصل لتعرف ان ما ذعينا من معرفة البليغ بعاق
شأن القرآن وهيب نظمه وبيدع تأليفه أمر لا يجوز غيره ولا يحتمل سواء ولا يشبهه على
ذى بصيرة ولا يخيل عندنا في معرفة كما يعرف الفصل بين طباع الشعراء من أهل الجاهلية
وبين المختصرين وبين المحدثين وبمزينين من يجرى على شاكله طبعه وغريرة نفسه وبين
من يشتغل بالكلف والتصنع وبين من يصير التكلف كالطبع وبين من كان مطبوعه
كالتعل المصنوع هيها هيها هذا أمر وان دقيق قوم قبلونه علما وأهل يحيطون به
فهما ويعرفونه اليك ان شئت ويصورونه لديك ان أردت ويجلون على خواطر ان
أحببت ويعرضونه لظنك ان حاولت وقد طال القائل

للعرب والضرب أقوام لها خلقوا • والدواوين كتاب وحساب

ولكل عمل رجال ولكل صنعة ناس وفي كل فرقة الجاهل والعالم والمتوسط ولكن قد قل من
يعرف في هذا الفن خاصة وذهب من يحصل في هذا الشأن الا قليلا فان كنت ممن هو بالصفة

التي وصفناها من التناهي في معرفة الفصاحات والتحقق بعجاري البلاغات فلما يكفينا
 التأمل ويغنيك التصور وان كنت في الصنعة مرمدا وفي المعرفة بما متوسطا فلا بد لك
 من التقليد ولا غنى بك عن التسليم أن التناقض في هذه الصنعة كالخارج عنها والشاذ
 فيها كالبائن منها فان أراد ان يقرب عليه أمرا ويقسح له طريقا ويغني به بابا يعرف به
 اعجاز القرآن فإنا نضع بين يديه الامثلة ونعرض عليه الاساليب ونصور له صورة كل قبيل
 من النظم والنثر ونحضر له من كل فن من القول شيئا يتأمله حق تأمله ويراعيه حق
 مراعاته فيستدل استدلال العالم ويستدرك استدراك الناقد ويقطعه الفرق بين الكلام
 الصادر عن الرويية الطالع عن الالهية الجامع بين الحكم والحكم والاخبار عن
 الغيوب والغائبات والمتضمن لصالح الدنيا والدين والمستوعب لجلية اليقين والمعاني
 المختصرة في تأسيس أصل الشريعة وفروعها بالالفاظ الشريفة على تقنها ونصرفها ونجد
 الى شئ من الشعر المجمع عليه قنين وجه النقص فيه وتدل على انحطاط رتبته ووقوع
 أبواب الخلل فيه حتى اذا تأمل ذلك وتأمل ما نذكره من تفصيل اعجاز القرآن وفصاحته
 وعجيب براعته انكشف له واقض. وثبت ما وصفناه لديه ووضح. وليعرف حدود البلاغة
 ومواقع البيان والبراعة ووجه التقدم في الفصاحة وذكر الجاهل في كتاب البيان
 والتبيين ان الفارسي سئل فقيل له ما البلاغة فقال معرفة الفصل من الوصل وسئل
 اليوناني عنها فقال تجميع الاقسام واختيار الكلام وسئل الرومي عنها فقال حسن
 الاقتضاب عند البداهة والقرارة يوم الاطالة وسئل الهندي عنها فقال وضوح الدلالة
 وانهاز الفرصة وحسن الاشارة وقال مرة التماس حسن الموقع والمعرفة بساحات
 القول وقلة الخرق بما التبس من المعاني أو غرض وشرد من اللفظ وتعلز وزينه ان تكون
 الشماثل موزونة والالفاظ معدلة والهمة نقية وأن لا يكلم سيد الامة بكلام الامة ويكون
 في قواه فضل التصرف في كل طبقة ولا يدقق المعاني كل التدقيق ولا ينزع الالفاظ كل
 التنقيح ويصفيها كل النصفية ويهذبها بغاية التهذيب وأما البراعة فمما يندكر أهل
 اللغة الخلق بطريقة الكلام وتجويده وقد يوصف بذلك كل متقدم في قول أو صناعة
 وأما الفصاحة فقد اختلفوا فيها منهم من عبر عن معناها بأنه ما كان جزل اللفظ حسن المعنى
 وقد قيل معناها الاقتدار على الابانة عن المعاني الكامنة في النصوص على عبارات جليلة
 ومعان نفية جلية والذي يصور عندك ما ضمنتنا تصويره ويحصل عندك معرفته اذا كنت
 في صنعة الادب متوسطا وفي علم العربية متبيناً ان تنظر آولا في نظم القرآن ثم في شئ من
 كلام النبي صلى الله عليه وسلم فتعرف الفصل بين النظمين والفرقيين الكلامين فان

تبين لنا الفصل ووقعت على جليلة الامر وحقيقة الفرق فقد أدركت الغرض وصادفت المقصد وان لم تفهم الفرق ولم تقع على الفصل فلا بد لكم من التقليد وعلت انك من جملة العامة وان سبيل السبيل من هو خارج عن أهل اللسان

﴿ خطبة للنبي صلى الله عليه وسلم ﴾

روى طلحة بن عبيد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب على منبره يقول ألا أيها الناس توبوا إلى ربكم قبل أن تنزلوا بالاعمال الصالحة قبل أن تشغلوا وصالوا الذي بينكم وبين ربكم بكثرته ذكركم وكثرة الصدقة في السر والعلانية ترزقوا وتوحدوا وتتصروا واعلموا ان الله عز وجل قد افترض عليكم الجمعة في مقامى هذا في عامى هذا في شهرى هذا في يوم القيامة حياكم ومن بعد موتى فمن تركها وله امام فلا جاع الله له عمله ولا بارك له في امره الا ولا وجه الا ولا صومه الا ولا صدقة الا ولا بره الا ولا يوم اعرابى مهاجرا الا ولا يوم فاجر مؤمنا الا ان يهره سلطان يخاف سيفه أو سوطه

﴿ خطبة له صلى الله عليه وسلم ﴾

أيها الناس ان لكم معالم فانتموا إلى معالمكم وان لكم نهاية فانتموا إلى نهايتكم ان المؤمن بين مخافتين بين أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه وبين أجل قد بقي لا يدري ما الله تعالى قاض عليه فيه فليأخذ العبد لنفسه من نفسه ومن دنياه لا تخزته ومن الشبهة قبل الكبر ومن الحياة قبل الموت والذي تقبض محمد بيده ما بعد الموت من مستعقب ولا بعد الدنيا دار الاجنة والنار

﴿ خطبة له صلى الله عليه وسلم ﴾

ان الحمد لله أحده وأستعينه فعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ان أحسن الحديث كتاب الله قد أفصح من زينته الله في قلبه وأدخله في الاسلام بعد الكفر واختاره على ما سواه من أحاديث الناس انه أصل الحديث وأبلغه أجوامن أحب الله وأحبوا الله من كل قلوبكم ولا تعولوا كلام الله وكره ولا تقسوا عليه قلوبكم اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا اتقوا الله حق تقاته وصدقوا صالحا ما تعاونوا بأفواهكم وتجاوبوا بروح الله بينكم والسلام عليكم ورحمة الله

﴿ خطبة له صلى الله عليه وسلم في أيام التشريق ﴾

قال بعد حمد الله أيها الناس هل تدرون في أي شهر أنتم وفي أي يوم أنتم وفي أي بلد أنتم

قالوا في يوم حرام وشهر حرام وبلد حرام قال ألا فان دمه كم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا إلى يوم تلقونه ثم قال اسمعوا مني تعيشوا ألا تنظروا ثلاثا ألا أنا لا يجلب مال امرئ مسلم إلا يطيب نفس منه ألا ان كل دم ومال ومأثرة كانت في الجاهلية تحت قدمي هذه ألا وان أول دم وضع دم ربعة بن الحرث ابن عبد المطلب كان مسترضعا في بني ليث فقتلته هذيل ألا وان كل ربا كان في الجاهلية موضوع ألا وان الله تعالى قضى أن أول ربا يوضع ربا عبي العباس لكم رؤس أموالكم لا تكلون ولا تملون ألا وان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم ألا لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض ألا وان الشيطان قديس ان يعبد المصلون ولكن في التعريض ينسكم اتقوا الله في النساء فانهم عندكم عوان لا يمكن لانهن شيء وان لهن عليكم حقا ولكم عليهن حق الا يوطئن فرشكم أحدا غيركم فان خفتن نسوزهن فعظوهن واجبروهن وفي المضاجع واضربوهن ضربا غير مبرح ولهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف فانما أخذتوهن بأمانة الله تعالى واستحلتم فرجهن بكلمة الله ألا من كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من اتممته عليها ثم بسط يده فقال ألا هل بلغت ألا هل بلغت ليبلغ الشاهد الغائب فرب مبلغ أبلغ من سامع

خطبته صلى الله عليه وسلم يوم فجع مكة

وقف على باب الكعبة ثم قال لا إله الا الله وحده لا شريك له صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ألا كل مأثرة أو دم أو مال يدعى فهو تحت قدمي هاتين الا سدانة البيت وسقاية الحاج ألا وقتل الخطأ الجذب بالسوط والعصا فيه الذببة مغلفة منها أربعون خلفه في بطونها أولادها يامعشر قریش ان الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء الناس من آدم وآدم خلق من تراب ثم تلا هذه الآية يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى الآية يامعشر قریش أوبأهل مكة مارون اني فاعل بكم قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ قال فانهبوا فأتهم الطلقاء

خطبته صلى الله عليه وسلم بالخيف

روى زيد بن ثابت أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب بالخيف من منى فقال نصر الله عبدا سمع مقالتي فوعاها ثم أذاها إلى من لم يسمعها فرب حامل لقوله لقله ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ثلاث لا يغل عليهن قلب المؤمن اخلاص العمل لله والنصيحة لأولي الامر ولزوم الجماعة ان دعوتهم تكون من وراءه ومن كان همه الاخرة

جمع الله ثمره وجعل غناؤه قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة ومن كان همه الدنيا فرتق الله أمره وجعل فقره بين عينيه ولم يأمن من الدنيا إلا ما كتب له

خطبة له صلى الله عليه وسلم

(رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه)

خطب بعد العصر فقال ألا ان الدنيا خضرة حلوة ألا وان الله مستطيركم فيها فناظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء ألا لا يمنع رجلا مخافة الناس ان يقول الحق اذا علمه قال ولم يزل يخطب حتى لم يبق من الشمس الا حمر على أطراف السعف فقال انه لم يبق من الدنيا فيما مضى الا كباقي من يومكم هذا فيما مضى

كتاب النبي صلى الله عليه وسلم الى ملك فارس

من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وأدعوك بدعاء الله فاني أنا رسول الله الى الناس كافة لا نذر من كان حيوا ويحق القول على الكافرين فاسلم تسلم

كتاب له صلى الله عليه وسلم الى النجاشي

من محمد رسول الله الى النجاشي ملك الحبشة سلم أنت فاني أجد البك الله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكنهه ألهاها الى مريم البتول الطيبة فحملت بعيسى فحملته من روحه ونفثه كما خلق آدم من طين بيده ونفثه واني أدعوك الى الله وحده لا شريك له والموا لا على طاعته وان تتبعني وتؤمن بالذي جاني واني أدعوك وجنودك الى الله تعالى فقد بلغت ونصحت فاقبلوا نعتي والسلام على من اتبع الهدى

نسخة عهد الصلح مع قريش عام الحديبية

هذا ما صلح عليه محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم سهيل بن عمرو واصطالحا على وضع الحرب عن الناس عشرين سنة يأمن فيه الناس ويكف فيه بعضهم عن بعض على انه من أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير اذن وليه رده عليهم ومن طاف بربا من مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يردوه عليه وان يتناعيبة مكفوفة وانه لا اسلار ولا اغلال وانه من أحب ان يدخل في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعقده دخل فيه ومن أحب ان يدخل في عهد قريش وعهدهم دخل فيه وانك ترجع عنا عامك فلانا دخل علينا مكة فاذا كان عاما قابلا نخرجنا عنك قد خلتها بأصحابك فأقت بها ثلاثا وان معك سلاح الركب والسيوف في الركب فلا تدخلها بغير * هذا ولا أطول عليك واقتصر على ما أتيته اليك

فان كان لك في الصنعة حظ أو كان لك في هذا المعنى حس أو كنت تضرب في الأدب بسهم أو في العربية بقسط وإن قل ذلك السهم أو نقص ذلك النصيب فما أحسب انه يستببه عليك الفرق بين براعة القرآن وبين ما نضناه لك من كلام الرمنول صلى الله عليه وسلم في خطبه ورسائله وما عساك تسمعه من كلامه ويتساقط اليك من ألفاظه وأقدا رلك ترى بين الكلامين بونا بعيدا وأمدا مديدا وميدانا واسعا ومكانا شاسعا فان قلت لعلها ان يكون نعمل للقرآن وتصنع لنظمه وشبه عليك الشيطان ذلك من خبثه فتثبت في نفسك وأرجع الى عقلك واجع لبك وتيقن ان الخطب يحتشد لها في المواقف العظام والمحافل الكبار والمواسم الغضام ولا يتجاوز فيها ولا يستمران بها والرسائل الى الملوك مما يجمع لها الكتاب جواميزه ويشر لها عن جدوا جهاد فكيف يقع بها الاخلال وكيف يتعرض للتفريط فستعلم لاحالة ان نظم القرآن من الامر الالهى وان كلام النبي صلى الله عليه وسلم من الامر النبوى فاذا أردت زيادة في التبين وتقتضا في التعرف واشرافا على الجلية وفوزا بمحكم القضية فتأمل هذا الله ما نضناه لك من خطب العجايز والبلغاء لتعلم ان نسجها ونسج ما نقلنا من خطب النبي صلى الله عليه وسلم واحد وبسببها سبيل غير مختلفا وانما يقع بين كلامه وكلام غيره ما يقع من التفاوت بين كلام الفصيين وبين شعر الشعارين وذلك امر له مقدار معروف وحديثه الى مضبوط فاذا عرفت ان جميع كلام الاذى منها جرح ولجلته طريق وتبينت ما يمكن فيه من التفاوت نظرت الى نظم القرآن نظرة اخرى وتأملته مرة ثانية فتراعى بعد موقعه وعلى محله وموضعه وحكمته بواجب من اليقين ونسج المصدر بأصل الدين

✽ خطبة لأبي بكر الصديق رضى الله عنه ✽

قام خطيبا لحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فاني وليت أمركم ولست بخيركم ولكن نزل القرآن ومن النبي صلى الله عليه وسلم وعلمنا فعلنا واعلموا ان أكيس الكيس التقى وان أحق الحق الفجور وان أفواكم عندي الضعيف حتى آخذته بحقه وان أضعفكم عندي القوى حتى آخذ منه الحق أيها الناس انما أنا متبع ولست بمتبع فان أحسنتم فأعينوني وان زغت فقوموني

✽ عهد لأبي بكر الصديق الى عمر رضى الله عنهما ✽

(بسم الله الرحمن الرحيم) هذا ما عهد أبو بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر عهده بالدنيا وأول عهده بالآخرة ساعة يؤمن فيها الكافر ويتق فيها الفاجر اني استخلفت عليكم عمر بن الخطاب فان بر وعدل فذاك ظني به ورأيي فيه وان جار وبدل فلا

علم بالغيث والخير أردت لكم ولكل امرئ ما اكتسب من الآثم وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب يتقلبون وفي حديث عبد الرحمن بن عوف رحمة الله عليه قال دخلت على أبي بكر الصديق رضي الله عنه في عنته التي مات فيها فقلت أربابنا يا خليفة رسول الله فقال أما اني على ذلك لشديد الوجع وما لقيت منكم يا معشر المهاجرين أشد علي من وجحي اني وليت أموركم خيركم في نفسي فكلكم ورم الله ان يكون له الامر من دونه والله لتعذبن نضالته النيباج وستورا لحرير ولتأمن النوم على الصوف الاذني كما يألم أحدكم النوم على حشك السعدان والذي نفسي بيده لان يقدم أحدكم فتضرب رقبتة في غير حذيره من ان يخوض غرات الدنيا يا هادي الطريق جزت انما هو والله الفجر أو البحر قال فقلت خفف من عليك يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فان هذا يبيضك الى ما يك فوالله ما زلت صالما مصحلا تأنى على ثني فأنك من أمر النبيا ولقد تخليت بالامر وحده فإرايت الا خيرا وله خطبوه مقامات مشهورة اقتصرنا منها على ما نقلنا منها قصة السقيفة

(نسخة كتاب)

كتب أبو عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل الى عمر بن الخطاب رضي الله عنهم سلام عليك فانا نحمد الله الذي لا اله الا هو ابا بعدنا عهدناك وأمر نفسك المهم فأنسجت وقد وليت أمر هذه الامة أحرها وأسودها يجلس بين يديك الصديق والعدو والشريف والوضيع ولكل حطته من العدل فانظر كيف أنت يا عمر عند ذلك فانا نخذرك يومان عنو فيه الوجوه وتجب فيه القلوب وانا كنا نحدث ان هذه الامة ترجع في آخر زمانها ان يكون اخوان العلانية أعداء السرية وانا نعوذ بالله أن تنزل كتابنا سوى المنزل الذي نزل من قلوبنا فانا انما كتبنا اليك نصيحة والسلام

فكتب اليهما من عمر بن الخطاب الى أبي عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل سلام عليكما فاني أجد اليكما الله الذي لا اله الا هو ابا بعد فقد جاني كتابكما ترعنان انه بلغكما اني وليت أمر هذه الامة أحرها وأسودها يجلس بين يدي الصديق والعدو والشريف والوضيع وكتبتما ان انظر كيف أنت يا عمر عند ذلك وانه لا حول ولا قوة الا بالله وكتبتما تصدرا في ما حذرت به الامة قبلنا وقد عاينا كان اختلاف الليل والنهار باجال الناس يقران كل بعيد ويبلان كل جديد ويأتين بكل موعود حتى يصير الناس الى منازلهم من الجنة أو النار ثم توفي كل نفس بما كسبت ان الله مريب الحساب وكتبتما ترعنان ان أمر هذه الامة يرجع في آخر زمانها ان يكون اخوان العلانية أعداء السرية واستم بذلك وليس هذا ذلك الزمان ولكن زمان ذلك حين تظهر الرغبة والرغبة فتكون رغبة بعض الناس

إلى إصلاح دينهم ورهبة بعض الناس إصلاح دينهم وكتبتم نعوذ أنى بالله أن نزل كتابكم منى سوى المنزل الذى نزل من قلوبكم وانما كتبتم نصيحة لى وقد صدقتكم فتحمدانى منك يا كذاب ولا غنى بي عنكم

عهد من عهد عمر رضى الله عنه

(بسم الله الرحمن الرحيم) من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس سلام عليك أما بعد فان القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة فاقم اذا أدلى اليك فانه لا يتفق تكلم بحق لا تفاذه آس بين الناس في وجهك وعدلك ومحاسنك حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا يئأس ضعيف من عدلك البيعة على من ادعى واليمين على من أنكر والصالح جائز بين المسلمين الا صلحا أحل حراما أو حرم حلالا ولا يمنعك قضاء قضيت به بالامس فراجعت فيه عقلك وهديت لرشدك ان ترجع الى الحق فان الحق قديم ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل الفهم الفهم ففما تلج في صدرك مما ليس في كتاب ولا سنة ثم اعرف الاشياء والامثال وقس الامور عند ذلك واعمد الى أشبهها بالحق واجعل لمن ادعى حقا غائبا أو بيعة أمرا ينتهى اليه فان أحضر بيعة أخذت له بحقه والاستغلت عليه القضية فانه أنفى للشك وأجلى للعمى المسلمون عدول بعضهم على بعض الاجلوداني حد أو مجر با عليه شهادة زور أو ظني ثا في ولاء أو نسب فان الله تولى منكم السرائر ودرأ بالايمن واليمينات واياك والغلو والنجر والتأذى بالخصوم والتشكر عند الخصومات فان الحق في مواطن الحق يعظم الله به الاجر ويحسن به الفخر فمن محنت نيته وأقبل على نفسه بكفاه الله ما يدينه وبين الناس ومن تخلق للناس بما يعلم الله انه ليس من نفسه شانه الله فما ظنك بشواب الله عز وجل في عاجل رزقه وخزائن رحمته والسلام واجر رضى الله عنه

خطبة مشهورة مذكورة في التاريخ لم تنقلها اختصارا

ومن كلام عثمان بن عفان رضى الله عنه

(خطبة له رضى الله عنه)

قال ان لكل شئ آفة وان لكل نعمة عاهة في هذا الدين عيايون ظناون يظهرن لكم ما تحبون ويسرون ما تكرهون يقولون لكم ويقولون طعام مثل النعام يتبعون أول ناعق أحب موارد هم اليهم النازح لقد أقررت لابن الخطاب بأكثر مما أقيم على ولكنه وقكم وقكم وزجركم زجر النعام الخزمة والله انى لا أقرب ناصرا وأعز نفرا وأقن ان قلت لهم أن تجاب دعوتي من عمر هل تتقدون من حقوقكم شيئا فالى لا أفعل في الحق ما أشاء اذا قلتم كنت اماما

﴿ كتابه الى علي حين حضر رضى الله عنهما ﴾

أما بعد فقد بلغ السيل الزبي وجاوز الحزام الطيين وطمع في من لا يدفع عن نفسه فاذا أتاك كتابي هذا فقبل الى علي كنت أم لي

فان كنت ما كولا فكن خيرا كل * والا فأدركني ولما أنزق

(ومن كلام علي رضي الله عنه) قال لما قبض أبو بكر رضى الله عنه ارتجت المدينة بالبكاء كيوم قبض النبي صلى الله عليه وسلم وجاء علي با كما مسترجعوا وهو يقول اليوم انقطعت خلافة النبوة حتى وقف علي باب البيت الذي فيه أبو بكر فقال رجل الله أبأ بكر كنت الف رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتته وثقته وموضع مره كنت أول القوم اسلاما وأخلصهم أيماناً وأشدتهم يقيناً وأخوفهم لله وأعظمهم غناء في دين الله وأحوطهم على رسوله وأمنهم على الاسلام وأمنهم على أصحابه أحسنهم محبة وأكثرهم مناقب وأفضلهم سوابق وأرفعهم درجة وأقر بهم وسيلة وأقر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سننا وهداي ورجة وفضلاً وأشرهم منزلة وأكرمهم عليه وأوثقهم عنده جزاك الله عن الاسلام وعن رسوله خيراً كنت عنده بمنزلة السمع والبصر صدقت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كذبه الناس فسمك الله في تنزيهه صديقاً فقال والذي جاء بالصدق وصدق به واسيته حين تجلوا وقت معه عند المكاره حين عنه وعدوا وصحبته في الشدة أكرم العبيد نافي اثنين وصاحبه في الغار والمنزل عليه السكينة والوقار ورفيقه في الهجرة وخليفته في دين الله وفي أمته أحسن الخلافة حين ارتد الناس فهضت حين وهن أصحابك وبرزت حين استكانوا وقويت حين ضعفوا وقت بالامر حين فشلوا ونطقت حين تبعوا وامضيت بنور اذوقفوا واتبعوك فهدوا وكنت أصوبهم منطلقاً وأطولهم صمتاً وأبلغهم قولاً وأكثرهم رأياً وأصحهم نقساً وأعرفهم بالامور وأشرهم عملاً كنت للدين بعسو بأولاً حين نفر عنه الناس وآخر حين اقبلوا وكنت للؤمنين أبارحياً اذ صاروا عليك عيالاً خملت أنقال ما ضعفوا ورعيت ما أهملوا وحفظت ما ضاعوا اشتهرت اذ خنعوا وعلوت اذ هلعوا وصبرت اذ جرعوا وأدركت أوتار ما طلبوا وراجعوا وشدهم رأيك قطفروا وناولوا بك ما لم يحتسبوا وكنت كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمن الناس عليه في محبتك وذات يدك وكنت كما قال ضعيفاً يدك قوي في أمر الله متواضعاً في نفسك عظيم عند الله جليلاً في أعين الناس كبيراً في أنفسهم لم يكن لاحد فيك معزولاً لاحد مطمع ولا مخلوق عندك هوادة الضعيف الذليل عندك قوی عزيز حتى تأخذه بحقه والقوى العزيز عندك ضعيف ذليل حتى تأخذ منه الحق القريب والبعيد عندك سواء أقرب الناس اليك أطوعهم لله شأنك الحق والصديق والرفق

قولكم وأمركم حزم ورأيكم علم وعزم فأبلغت وقتهن السبيل وسهل العسير
وأطفأت النيران واعتدل بك الدين وقوى الإيمان وظهر أمر الله ولو كره الكافرون
واتعبت من بعدك اتباعا بشديدا وفزت بالجد فوزا مينا فخلت عن البكم وعظمت رزيتك
في السماء وهدت مصيبتك الأمانا فالله وانا إليه راجعون رضيما عن الله قضاءه وسئلناه أمره
فوالله لن يصاب المسلمون بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم عثك أبدا فألحقك الله بنيه ولا
حرمننا أجره ولا أضلنا بعدك وسكت الناس حتى انقضى كلامهم ثم بكوا حتى علت أصواتهم

خطبة أخرى لعلي رضي الله عنه

أما بعد فإن الدنيا قد أديرت وأنت يوداع وإن الآخرة قد أقيمت وأشرفت باطلاع وإن
المضمار اليوم وغدا السباق ألا وإنكم في أيام مهمل ومن ورثه أجل فمن أخلص في أيام
أمله فقد فاز ومن قصر في أيام أمله قبل حضور أجله فقد خسر عمله وضربه أمله ألا
فاعلموا الله في الرغبة كأنتم ملون في رهبة ألا وإني لم أراكم لجنة تام طالبها ولا كالنار تار
ها ربا ألا وإنه من لم ينفعه الحر يضربه الماطل ومن لم يستقم به الهدى يحمره الضلال ألا
وإنكم قد أمرتم بالظعن ودلتم على الزاد ألا وإن أخوف ما أخاف عليكم الهوى وطول
الامل (وخطب) فقال بعد حمد الله أيها الناس اتقوا الله فخلق امرؤ عينا قيل هو ولا
أهمل مدى فيلغومادنياء التي تحسنت إليه بخلف من الآخرة التي فيها سوء النظر إليه
وما الخسيس الذي ظفر به من الدنيا بأعلى همته كالآخر الذي ظفر به من الآخرة
من سهمته

وكتب على رضي الله عنه إلى عبد الله بن عباس رحمه الله وهو بالبصرة

أما بعد فإن المرء بسريته ما لم يكن ليهرمه وبسوءه قوت ما لم يكن ليدركه فليكن
سروره بما قدمت من أجر أو منطق وليكن أسفك فيما فرطت فيه من ذلك وانظر ما فاتك
من الدنيا فلا تكثر عليه جزعا ومائلته فلا تسمع به فرحا وليكن همك ما أبعد الموت

كلام لابن عباس رضي الله عنه

قال عتبة بن أبي سفيان لابن عباس ما منع أمير المؤمنين أن يبعثك مكان أبي موسى يوم
الحكمين قال منعوا الله من ذلك جازا القدر وقصر المدة ومحنة الابتلاء وأما والله بعثني
مكانه لا عترضته في مدارج نفسه ناقضا لما أبرم ومبرما لما نقض أسف إذا طار وأطير إذا
أسف ولكن مضى قدر وبقي أسف ومع يومنا غدا والآخرة خير لا مير المؤمنين من الأولى

خطبة لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه

أصدق الحديث كتاب الله وأصدق العرا كلمة التقوى خير المثل مله إبراهيم وأحسن

السنن سنة النبي صلى الله عليه وسلم خير الامور واساطها وشرا الامور محدثاتها ما قل
وكفى خيرا مما كثر وألهى خيرا مما غنى النفس وخبر ما أتى في القلب اليقين المرجع
الاثم النساء حيلة الشيطان الشباب شعبة من الجنون حب الكفاية مفتاح المجزة من
الناس من لا يأتي الجماعة الا ذبرا ولا يذ كراته الا هجرا أعظم الخطايا الاسان الكذب
سباب المؤمن فسق وقتاله كفر وأكل لحمه معصية من يتألم على الله يكذب من يغفر
يعفوه مكتوب في ديوان المحسنين من عفا عنى عنه الشق من شق في بطن أمه والسعيد
من وعظ بغيره الامور بعواقبها ملائكة العمل خواتمه أشرف الموت الشهادة من يعرف
البلاء يصبر عليه ومن لا يعرف البلاء ينكره

﴿ خطبة لمعاوية بن أبي سفيان رضى الله عنه ﴾

قال الراوى لما حضرته الوفاة قال لمولى له من الباب فقال نفر من قريش يتباشرون بموتك
فقال ويحك ولم يتم اذن للناس فحمد الله وأجز ثم قال أيها الناس انا قد أصبحت في دهر عنود
وزمن شديد يعذب فيه المحسن مسيئا ويزداد الظالم فيه عتوا لا تنفع معالجتنا ولا نسأل عما
جهلنا ولا نتقوف من قارعة حتى تحل بنا ظالمنا على أربعة أصناف منهم من لا يمنع الفساد
في الارض الامانة نفسه وكذلك حله ونضيض وفرو منهم من المسلط سيفه والجلباب برجله
والملن بشره قد أشرط نفسه وأوق دينه لحطام ينثره أو مقبض يقرده أو منبر يقرعه
وبس المنبر ان تراها لنفسك تجاومها لك عند الله عوضا ومنهم من يطلب الدنيا بجل الآخرة
ولا يطلب الا آخره بجل الدنيا تظلم من من نفسه وقارب من خطوه وشهر من ثوبه وزخرف
نفسه لادمانه وانخرست رايته ذريعة الى المعصية ومنهم من أقعد عن الملك ضوله في نفسه
واقطاع سببه فقصر عما لمال فعمل باسم القناعة وتزين بلباس الزهاد وايس من ذلك في
مراح ولا تغدى وبقي رجال أغض أبصارهم ذكر المرجع وأراق دموعهم خوف المحشر
فهم بين شديد نادوا خائف متفجع وسأكت مكعوم وداع مخلص وموجع شكلان قد اختلسم
النقية وشعلتهم الذلة فهم في بحر أجاح أفواهم دامية وقلوبهم قريحة قد عظموا حتى ملوا
وقهر واحتي ذلوا وقتلوا حتى قتلوا فلتكن الدنيا في عيونكم أقل من حثالة القرظ وقراءة
العلم وانظروا بمن كان قبلكم قبل ان يتعظ بكم من بعدكم فارفضوها ذمية فانها قد رفضت
من كان أشغف بها منكم

﴿ خطبة امر بن عبد العزيز رضى الله عنه ﴾

أيها الناس انكم ميتون ثم انكم مبعوثون ثم انكم محاسبون فلجمري ان كنتم صادقين
لقد قصرتم وان كنتم كاذبين لقد هلكتم يا أيها الناس انه من يقتله رزق برأس جبل أو

بخصيص أرض يافا جأوا في الطلب

﴿ خطبة الججاج بن يوسف ﴾

جد الله وأتني عليه ثم قال يا أهل العراق ويا أهل الشقاق والتغاق ومساوى الأخلاق
وبنى الكبيعة وعبيد العصا وأولاد الامة والقعق بالقرقراني سمعت تكبير لا إله إلا الله
وأنما يريد به الشيطان وأنما أملي ومثلكم ما قاله ابن رافقه الهمداني
وكنتم اذا قوم غزوني غزونيهم * فهل أنا في ذايال همدان ظالم
متى تجمع القلب الذكي وصارما * وانما حيا تجنبك الظالم
أما والله لا تفرع عصا عصا الاجلها كأمس الدابر

﴿ خطبة لقس بن ساعدة اليبادي ﴾

أخبرني محمد بن علي الأنصاري بن محمد بن عامر قال حدثنا علي بن ابراهيم حدثنا عبد الله بن
داود بن عبد الرحمن الجعري قال حدثنا الأنصاري علي بن محمد الحنظلي من ولد حنظلة
القيسيل حدثنا جعفر بن محمد عن محمد بن حسان عن محمد بن ججاج التميمي عن مجالد عن
الشعبي عن ابن عباس قال لما وفدوا لعبد القيس على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
أيكم يعرف قس بن ساعدة قالوا كأننا نعرفه فيارسول الله قال لست أنساه بكم اذا وقف
على يمينه أحر فقال أيها الناس اجتمعوا واذا اجتمعتم فاصنعوا واذا اجمعتم ففعلوا واذا وعيتهم
فقولوا واذا قلتم فاصدقوا من عاش مات ومن مات مات وكل ما حوأت آت أما بعد فأن في
السماء شبرا وان في الأرض اعبرا مهاده موضوع وسقف مرفوع ونجوم تمور وبحار لا تغور
أقسم بالله قس تسميها حنظلا كاذبا فيه ولا أعمالا تن كن في الأرض رضا ليكونن من حظ الله
تعالى ديناهو أحب اليه من دينكم الذي أنتم عليه وقد أناكم وأنهو لحقتكم مدته سالي
أرى الناس يذهبون فلا يرجعون أرضوا بالمقام فأقاموا أم تركوا فناموا ثم قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم أيكم يروى شعره فأشددوه

في الذاهبين الاوليه • من القرون لنا بصائر

لما رأيت موارد • لموت ليس لها مصادر

ورأيت قوى نخوها • يسعى الاصغر والا كبر

لا يرجع الماضي السني • ولا من الباقي غابر

أيقنت اني لا محيا • له حيث صار القوم صائر

أخبرني الحسن بن عبد الله بن سعيد حدثنا علي بن الحسن بن اسماعيل حدثنا محمد بن
زكريا حدثنا عبد الله بن الضحاك عن هشام عن أبيه ان وقد امان اباد قدموا على رسول

الله صلى الله عليه وسلم فسألهم عن حال قس بن ساعدة فقالوا قال قس
يا ناعي الموت والاموات في حدث * عليهم من بقايا بزهم خرق
دعهم فان لهم يوما يصاح بهم * كما ينبيه من نوماته الصعق
منهم عراة ومنهم في ثيابهم * منها الجديد ومنها الاورق الخلق
مطر ونبات وآباء وامهات وذاهب وآت وآيات في آثريات واموات بعد اموات
ضوء وظلام وليل وايام وغنى وفقير وشقى وسعيد ومحسن ومسيئ ابن الارباب الفعلة
ليصلن كل عامل عمله كلابل هو الله واحد ليس بولود ولا والد اعاد وابدى واليه المآب
غدا اما بعد يا معشر اباد ابن عود وعاد وابن الآباء والاجداد ابن الحسن الذي لم يشكر
ابن الظلم الذي لم ينقم كلا ورب الكعبة ليعودن ما بدا ولئن ذهب يوم ليعودن يوم قال
وهو قس بن ساعدة بن حذاف بن ذهل بن ايا بن زرار اول من آمن بالبعث من اهل الجاهلية
واول من توكأ على عصا واول من تكلم بآما بعد

خطبة لابي طالب

الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسماعيل وجعل لنا بلدا حراما ويتناحجوجا
وجعلنا الحكماء على الناس وان محمد بن عبد الله بن ابي لا يوازن به فتى من قرش الاربع
به بركة وفضلا وعدلا ومجدا ونجلا وان كان في المال مقلان فان المال عارية مسترجعة
وظل زائل وله في خديجة بنت خويلد رغبة ولها فيه مثل ذلك وما اردتم من الصداق فعلى *
قد نسخت لك جملا من كلام الصنبر الاول ومحاوراتهم وخطبهم واحبك فيما لم ينسخ على
التواريخ والكتب المصنفة في هذا الشأن فتأمل ذلك وسائر ما هو مسطر من الاخبار
المأثورة عن السلف واهل البيان واللسان والفصاحة والعمق والالفاظ المشهورة
والمخاطبات الدائرة بينهم والامثال المنقولة عنهم ثم انظر بكون طائر وخفص جناح
وتقرى بغير جوع عقل في ذلك فسيقع لك الفضل بين كلام الناس وبين كلام رب العالمين
وتعلم ان نظم القرآن يخالف نظم كلام الآدميين وتعلم الحد الذي يتفاوت بين كلام
البليغ والبليغ والخطيب والخطيب والشاعر والشاعر وبين نظم القرآن جملة فان خيل
اليك أو شبه عليك وظننت انه يحتاج ان يوازن بين نظم الشعر والقرآن لان الشعر اوضح
من الخطب وابرج من الرسائل وادق مسلكا من جميع اصناف المحاورات ولذلك قالوا له
صلى الله عليه وسلم هو شاعر أو ساحر وسؤل اليك الشيطان ان الشعر ابلغ واوجب وارق
وابرج واحسن الكلام وابتدع فهذا فصل فيه نظريين المتكلمين وكلام بين المحققين *
امهت افضل من رأيت من اهل العلم بالادب والخلق بهذه الصناعة مع تقدمه في الكلام

يقول ان الكلام المنثور يتأق فيهم من الفصاحة والبلاغة ما لا يتأق في الشعر لان الشعر
يضيق نطاق الكلام ويمنع القول من اتقانته ويصد عنه نصرته على سننه وحضره من يتقدم
في صنعة الكلام فراجع في ذلك وذكر انه لا يمنع ان يكون الشعر أبلغ اذا صادف شروط
الفصاحة وأبدع اذا تضمن أسباب البلاغة ويشهد عددي للقول الاخير ان معظم براعة
كأدم العرب في الشعر ولا تجدي منشور قولهم ما نجد في منظومه وان كان قد أحدثت
البراعة في الرسائل على حد لم يعمد في سالف أيام العرب ولم ينقل من دواوينهم وأخبارهم
وهو ان يضيق نطاق القول فهو ويجمع حواشيه ويضم أطرافه ونواحيه فهو اذا تهذب في
بابه وفيه جميع أسبابه لم يقاربه من كلام الأديمين كلام ولم يعارضه من خطابهم خطاب
وقد حكى عن النبي انه كان ينظر في المصحف فدخل اليه بعض أصحابه فأنكر نظره فيه لما
كان رآه عليه من سوء اعتقاده فقال له هذا المكي على فصاحته كان مفجما فان سمعت هذه
الحكاية عنه في الحادثة عرف بها انه كان يعتقد ان الفصاحة في قول الشعر أبلغ واذا كانت
الفصاحة في قول الشعر أبلغ لم تكن وبيننا ان نظم القرآن يزيد في فصاحته على كل نظم
و يتقدم في بلاغته على كل قول لم ياتضخ به الامر انضاح النهم و يبين به بيان الصبح وقفت
على جليلة هذا الشأن فانظر فيما تعرضه عليك ما تعرضه وتصور بهفهمك ما تصور به يقع لك
موقع عظيم شأن القرآن وتأمل ما زنته ينكشف لك الحق واذا اردنا تحقيق ما ضمنه لك فن
سنبين ان نجد الى قصيدة متفق على كبر محلها وجملة نظمها وجودة بلاغتها ومعانيها واجامعها
على ابداع صاحبها فيها مع كونه من الموصوفين بالتقدم في الصناعة والمعرفين بالخلق في
البراعة فتوقفك على مواضع خالها وعلى تفاوت نظمها وعلى اختلاف قصولها وعلى كثرة
قصولها وعلى شدة تعسفها وبعض تكلفها وما تجمع من كلام وبيع بقرن بينه وبين كلام
وضيع وبين لفظ سوق يقرن بلفظ ماوكي وغير ذلك من الوجوه التي يجيء تفصيلها وتبيين
ترتيبها وتزييلها • فأما كلام مسيلة الكذاب وما زعم انه قرآن فهو وأخس من ان نستغل
به أو مصنف من ان نتمكر فيه وانما نقلنا منه طرفا ليتجيب القارئ وليتبصر بالاطرافه على
مخافته قد أضل وعلى ركا كنه قد أذل وميدان الجهل واسع ومن نظر فيما نقلناه عنه
وفهم موضع جهله كان جديرا ان يحمده الله على ما رزقه من فهم وآثاه من علم فما كان يزعم
انه نزل عليه من السماء والال الاطعم والذنب الادلم والجذع الازلم ما انتهكت أسيد
من محرم وذلك قد ذكر في خلاف وقع بين قوم أتوه من أصحابه وقال ايضا والليل الدامس
والذنب الهامس ما قطعت أسيد من رطب ولا يابس وكان يقول والشاء وأوانها وأجها
السودر البانها والشاة السوداء والبن الابيض انه لعجب محض وقد حرم المذق قالكم

لا يجتمعون وكان يقول ضفدع بنت ضفدعين نقي ماتنين أعلاك في الماء وأسفلك في الطين
 لا الشارب تمنين ولا الماء تكدرين لنا نصف الأرض ولقريش نصفها ولكن قريشا
 قوم يعتدون وكان يقول والمبديات زوعا والمحاصدات حصدا والذاريات قعجا والطحانات
 طحنا والخارزات خبزنا والثارذات زردا واللاقات ألقاهاة ومنا لتد فضلتهم على أهل
 الورر ولم يسبقكم أهل المدر ريفكم فامنعوه والمعترف آووه والباغي فاروه وقالت
 سباح بنت الحارث بن عقبان وكانت تنبأ فاجتمع مسيلة معها فقالت ما أوحى إليك فقال
 ألم تر كيف فعل ربك بأجلى أخرج منه اسمعة تسمى من بين صفاء وحشا وقالت فما بعد
 ذلك قال أوحى إلى أن الله خلق النساء أفواجا وجعل الرجال لهن أزواجا فنولج فيهن قعسا
 أيلجا ثم فخرجهما إذا شئنا أخرجا فينجن إنا مفضلاتنا فقلت أشهد أنك نبى ولم تنقل كل
 ما ذكر من سقفه كرامة التنجيل وروى أنه سأل أبو بكر الصديق رضى الله عنه أقواما
 قدموا عليه من بني حنيفة عن هذه اللفاظ فحكوا بعض ما نقلناه فقال أبو بكر سبحان الله
 ويحكم أن هذا الكلام لم يخرج عن آل فأن كان يذهب بكم ومعنى قوله لم يخرج عن آل
 أى عن ربوبية ومن كان له عقل لم يشبهه عليه مصف هذا الكلام فنرجع الآن إلى ما ضمنه
 من الكلام على الأشعار المتفق على جودها وتقدم أصحابها في صناعتهم ليتبين لك تفاوت
 أنواع الخطاب وتباعد مواقع البلاغة وتستدل على مواضع البراعة وأنت لا تشك في
 جودة شعر امرئ القيس ولا ترتاب في براعته ولا توقف في فصاحته ونعلم أنه قد أبدع
 في طرق الشعر أمور اتبع فيها من ذكر الديار والوقوف عليها إلى ما يتصل بذلك من
 البديع الذى أبدعه والتشبيه الذى أحدثه والتمج الذى يوجد في شعره والتصرف
 الكثير الذى تصادفه في قوله والوجوه التى ينقسم إليها كلامه من صناعة وطبع وسلاسة
 وعلو ومثانة ورقة وأسياب تجمد وأمر توتر وتمدح وقد ترى الأدباء أو لا يوازون بشعره
 فلانا ولا يوازيهم أشعارهم إلى شعره حتى ربما وازوا بين شعر من اقتناه وبين شعره
 في أشياء الخيفة وأمر بديعة وربما أفضلوهم عليه أو سؤوا بينهم وبينه وأقربوا موضع
 تقدمهم عليه وبروزة بين أيديهم ولما انخاروا قصيدته في السبعيات أضافوا إليها أمثالها
 وقرنوها بغيرها ثم تراه يقولون فلان لامية مثلها ثم ترى أنفس الشعراء تشوق إلى
 معارضته ونسأله في طريقته ورعا عثرت في وجهه على أشياء كثيرة وتقدمت عليه في
 أسباب عجيبة وإذا جاؤا إلى تعداد محاسن شعره كان أمر المحصورا وشيا معروفا أنت تجد
 من ذلك البديع أو أحسن منه في شعر غيره وتساهد مثل ذلك البارع في كلامه سواء وتنتظر
 إلى المحدثين كيف توغلو إلى حيازة المحاسن منهم من جمع رصانة الكلام إلى سلاسته

ومثاته الى عذوبته والاصابة في معناه الى تحسين حجته حتى ان منهم من ان قصر عنه في بعض تقدم عليه في بعض لان الجنس الذي يرمون اليه والغرض الذي يتواردون عليه مما لا تدعى فيه بحال ولا بشرى فيه مثال فكل يضرب فيه بسهم ويفوز فيه بقدر ثم قد تنفارت السهام تماوت وتباين وتباينا وقد تقارب تقاربا على حسب مشاركتهم في الصنائع وهما همهم في الحرف ونظم القرآن جنس مجز وأسلوب مختص وقيل عن النظر متخلص فاذا شئت ان تعرف عظم شأنه فتأمل ما نقوله في هذا الفصل لاسرى القيس في اجود أشعاره ومائين لثمن عوارده على التفصيل وذلك قوله

قفانك من ذكرى حبيب ومنزل * بسقط اللوى بين الدخول فحول
فتوضح فالمقرات لم يعرف رهما * لما نسجها من جنوب وشمال

الذين يتعصبون له أو يدعون محاسن الشعر يقولون هذا من البدع لانه وثق واستوقف وبكى واستبكى وذكر العهد والمنزل والحبيب وتوجع واسترجع كله في بيت نحو ذلك وانما بينا هذا التلاعب للذهابنا عن مواضع المحاسن ان كانت ولا غفلتنا عن مواضع المناهات ان وجدت تأمل أرشدك الله وانظر هذا الله أنت تعلم انه ليس في البيتين شيء قد سبق في ميدانه شاعرا ولا تقدم به صانعا وفي لفظه ومعناه خلل فأول ذلك انه استوقف من يبكي لذ كالحبيب وذكره لا يقتضي بكاء الخلى وانما يجمع طلب الاسعاد في مثل هذا على ان يبكي ايكائه ويرق لصديقه في شدة برحانه فأما ان يبكي على حبيب صديقه وعشيق رفيقه فأمر محال فان كان المطلوب ووقوفه وبكاؤه ايضا عاشقا صامح الكلام وقد المعنى من وجه آخر لانه من السخف ان لا يغار على حبيبه وان يدعوه غيره الى التغازل عليه والتواجد معه فيه ثم في البيتين ما لا يفيد من ذكر هذه المواضع وتسمية هذه الاماكن من الدخول وحول وتوضيح والمقرات وسقط اللوى وقد كان يكتبه ان يذكر في التعريف بعض هذا وهذا التطويل اذا لم يفد كل ضربا من العي ثم ان قوله لم يعرف رهما ذكر الاصمعي من محاسنه انه باق فيمن نحزن على مشاهدته فلو عفا لاسترحنا وهذا بان يكون من مساويه أولى لانه ان كان صادق الود فلا يزيد عفا الرسوم الاجتهاد وشدة وجد وانما قرع له الاصمعي الى افادته هذه الفائدة خشية ان يعاب عليه فيقال أي فائدة لان يعرف انه لم يعرف رسم منازل حبيبه وأي معنى لهذا الحشوف كرم يمكن ان يذكر ولكن لم يخلصه بالتصارفه من الخلل ثم في هذه الكلمة خلل آخر لانه عقب البيت بأن قال فخل عند رسم دار من من معقول فذكر أبو عبيدة انه رجح فأكذب نفسه كما قال زهير

قف بالديار التي لم يعرفها القدم * نعم وغيرها الارواح والديم

وقال غيره أراد بالبيت الاول انه لم ينطمس أثره كله وبالثاني انه ذهب بعضه حتى لا يتناقض الكلامان وليس في هذا انتصار لان معنى عقاود من واحد فاذا قال لم يعف رسمها ثم قال قد عفا فهو تناقض لا محالة واعتذر اربى عبيدة اقرب لوصح ولكن لم يرد هذا القول مورد الاستدراك كما ظاهره فهو الى الخلل اقرب وقوله لا نسجتها كان ينبغي ان يقول لا نسجها ولكنه تعسف فجعل ما في تأويل التائيد لانها في معنى الرمح والاولى التذكير دون التائيد وضرورة الشعر قد دلته على هذا التعسف وقوله لم يعف رسمها كان الاول ان يقول لم يعف رسمها لانه ذكر المنزل فان كان رد ذلك الى هذه البقاع والاما كن التي المنزل واقع بينها فذلك خلل لانه انما يريد صفة المنزل الذي تزله حبيبته بعفائه أو بأنه لم يعف دون ما جاوره وان أراد بالمنزل الدار حتى أنت فذلك أيضا خلل ولو سلم من هذا كله وما نكره ذكره كراهية التطويل لم نشك في ان شعرا هل زماننا لا يقصر عن البيتين بل يزيد عليهما ويفضلهما ثم قال وقولنا بها محبي على مطهم * يقولون لانهك أمي وتحمل وان شغافى عبرة مهراقة • فهل عند رسم دارس من معول وليس في البيتين أيضا معنى بديع ولا لفظ حسن كالاولين والبيت الاول منهما متعلق بقوله ففانبك فكانت قال قفا وقوف محبي بها على مطهم أو قفا حال وقوف محبي وقوله هما متأخر في المعنى وان تقدم في اللفظ في ذلك تكلف وخروج من اعتدال الكلام والبيت الثاني محتمل من جهة انه قد جعل الدمع في اعتقاده شافيا كافيا فما حاجته بهذا ذلك الى طلب حيلة اخرى وتحمل ومعول عند الرسوم ولو أراد ان يحسن الكلام لو جب ان يدخل على ان الدمع لا يشفيه لشدة ما به من الحزن ثم سائل هل عند الربع من حيلة اخرى وقوله كدأبك من ام اخويرث قلبها • وجارها ام الرباب بمأسل اذا قامتا تضوق المسك منهما • نسيم الصبا يأتي بريا القرنفل أنت لا تشك في ان البيت الاول قليل الفائدة ليس له مع ذلك بهجة فقد يكون الكلام مصنوع اللفظ وان كان منزوع المعنى وأما البيت الثاني فوجه التكلف فيه قوله اذا قامتا تضوق المسك منهما ولو أراد ان يحسن اللفظ على كل حال فأما في حال القيام فقط فذلك تقصير ثم فيه خلل آخر لانه بعد ان شبه عرفها بالمسك شبه ذلك بنسيم القرنفل وذكر ذلك بعد ذكر المسك نقص وقوله نسيم الصبا في تقدير المنقطع عن المصراع الاول لم يصل به وصل مثله وقوله

ففاضت دموع العين مني صباية * على الغر حتى بل دمي بجلى
الارب يوم لك منهن صالح • ولا سيما يوم بذارة جليل

قوله ففاضت دموع العين ثم استعانت به بقوله منى استعانة ضعيفة عند المتأخرين في الصنعة وهو خشو غير ما يجب ولا بديع وتوله على الفرح شوا آخر لان قوله بل دمي محلى يقتضى عنه ويدل عليه وليس بخشو حسن ثم قوله حتى بل دمي محلى اعاده ذكره الدمع خشو آخر وكان يكتمه ان يقول حتى يلت محلى فاحتاج لاطامة الوزن الى هذا كله ثم تقديره انه قد اقرط في افاضة الدمع حتى بل محمله تفرط منه وتقصير ولو كان ابداع اكان يقول حتى بل دمي مغايبهم وعراضهم ويشبه ان يكون غرضه اقامة الوزن والقافية اذ الدمع يعبدان يبل الجمل وانما يقطر من الواقف والقاعد على الارض أو على الذيل وان يله فلقطته وان لا يقطر وانت تجد في شعر الخيزراني ما هو أحسن من هذا البيت وأتم وأعجب منه والبيت الثاني خال من المحاسن والبديع خلو من المعنى وليس له لفظ يروق ولا معنى يروع من طبائع السوق فلا يرعك ثم يله باسم موضع غريب وقال

ويوم عقرت العذارى مطيتي * فيا حببا من رحلها المنفل

قتل العذارى يرتين بلهما * وشعم كهتاب الدمع المقتل

تقديره اذ كرم عقرت مطيتي أو برده على قوله يوم بذرة جليل وليس في المصراع الاول من هذا البيت الاسفاهته قال بعض الادباء قوله يا حببا يحجم من سفهه في شبابه من تحره ناقه لهم وانما أراد ان لا يكون الكلام من هذا المصراع منقطعاً عن الاول وأراد ان يكون الكلام ملائماً وهذا الذي ذكره بعيد وهو منقطع عن الاول وظاهره انه يتعجب من تحمل العذارى رحله وليس في هذا تعجب كبير ولا في فخر الناقه لهن تعجب وان كان يعنى به انهن حملن رحله وان بعضهن حملته فعبير عن نفسه برحله فهذا اقليل يشبه ان يكون محبا الى كنه الكلام لا يدل عليه ويتعافى عنه ولو سلم البيت من العيب لم يكن فيه شيء غريب ولا معنى بديع أكثر من سفاهته مع قلة معناه وتقارب أمره ومشاكلته طبع المتأخرين من أهل زماننا الى هذا الموضع لغيره لبيت رائع وكلام رائق وأما البيت الثاني فبعثتونه حسنا ويعتدون التشبيه مليحاً واقفاً وفيه شيء وذلك انه عرف الهم ونكر الشعم فلا يعلم انه وصف شعمها وذكر تشبيه أحدهما بشيء واقع وعجز عن تشبيه القسمة الاولى فرت مرسله وهذا نقص في الصنعة وعجز عن اعطاء الكلام حقه وفيه شيء آخر من جهة المعنى وهو انه وصف طعامه الذي اطعم من اضاف بالجودة وهذا قد يعاب وقد يقال ان العرب تقتصر بذلك ولا يرونه عيباً وانما الفرس هم الذين يرون هذا عيباً شنيعاً وأما تشبيه الشعم بالدمع فشيء يقع للعامة ويجرى على ألسنتهم فليس بشيء قد سبق اليه وانما زاد الغمل للقافية وهذا بعيد ومع ذلك فلست اعلم العامة تذكر هذه الزيادة ولم يعد اهل الصنعة ذلك من البديع ورأوه

فسرياً وفيه شئ آخر وهو ان تبيحه بما اطعم للحياب مذموم وان سوغ التبيح بما اطعم
للأضياف الا ان يورد الكلام مورد المجون وعلى طريق أبي نواس في المزاح والمداعبة
وقوله • ويوم دخلت الخدر خدر عنيرة • فقالت لك الويلات انك مر جلى
تقول وقد مال الغيب بئامعا • عقرت بعيرى يا امرأ القيس نازل
قوله دخلت الخدر خدر عنيرة ذكره تكريراً لاقامة الوزن لا فائدة فيه غيره ولا ملاحته
ولا روثى وقوله في الصراع الاخير من هذا البيت فقالت لك الويلات انك مر جلى كلام
مؤث من كلام النساء نقله من جهته الى شعره وليس فيه غير هذا • كرهه بعد ذلك
تقول وقد مال الغيب يعنى قتب الهودج بعد قوله فقالت لك الويلات انك مر جلى لا فائدة
فيه غير تقدير الوزن والا فكفاية قولها الاول كاف وهو في النظم فيجى لانه ذكر مرة فقالت
ومرة تقول في معنى واحد وفصل خفيف وفي مصراع الثانى أيضاً ثابت من كلامهن
وذكر أبو عبيدة انه قال عقرت بعيرى ويقل ناعى لانهم يحبه لون النساء على ذكرور الابل
لانهما قوى وفيه نظر لان الاظهر ان البعير اسم للذكر والانى واحتاج الى ذكر البعير
لاقامة الوزن وقوله

فقلت لها سبرى وأرخى زمامه • ولا تبعدينى من جنائك المعال
فقلت حبلى قد طرقت ومرض • فألهيتها عن ذى ثمام مغيل

البيت الاول قريب التسميع ايسر له معنى بديع ولا لفظ شريف كأنه من عبارات المخطئين
في الصنعة وقوله فقلت حبلى قد طرقت عابه عليه أهل العربية ومعناه عندهم حتى يستقيم
الكلام قرب مثله حبلى قد طرقت وتقديره انه زير نساء وانه يفسدهن ويلهين عن حبلهن
ورضاعهن لان الحبل والمرضة أبعد من الغزل وطلب الرجا والبيت الثانى فى الاعتذار
والاستهتر والتهام وغير منتظم مع المعنى الذى قدمه فى البيت الاول لان تقديره لا تبعدينى
عن نفسك فأنى أغلب النساء وأخذعن عن رأيهن وأفسدهن بالتغازل وكونه مفسدة لهن
لا يوجب له وصلهن وتركه ابتعاد عن اياه بل يوجب هجره والاستغفاف به لفسفه ودخوله كل
مدخل فاحش وركوبه كل مركب فاسد وفيه من الفحش والتفحش ما يستغفك
الكريم من مثله ويأنف من ذكره وكقوله

اذا ما بكى من خلفها انصرفت له • بشق وتحتى شقها لم يحول
ويوم على ظهر الكتيب تعذرت • على وآلت حلفت لم تحلل

فالبيت الاول غاية فى الفحش ونهاية فى السفه وأي فائدة لذكره لعشيقته كيف كان يركب
هذه القبائح وينهب هذه المذاهب ويردها الى الموارد ان هذا ليعبثه كل من سمع كلامه

ويوجب له الموت وهو لو صدق لكان قبيحا فكيف ويجوز ان يكون كاذبا ثم ليس في البيت لفظ بديع ولا معنى حسن وهذا البيت متصل بالبيت الذي قبله من ذكر الموضع التي لها ولد محمول فأما البيت الثاني وهو قوله ونوما يتجيب منه وأما تشددت وتعصرت عليه وحلفت عليه فهو كلام رديء النسخ لا فائدة لذكره لئلا ان حبيته تمنعت عليه يوافق موضع يسميه ويصفه وأنت تجد في شعر المحدثين من هذا الجنس في التغزل ما يذوب معه القلب وتطرب عليه النفس وهذا مما تستنكره النفس وتشتد منه القلب وليس فيه شيء من الاحسان والحسن وقوله

أعظم مهلا بعض هذا التدل * وان كنت قد أزمعت صرعى فاجل

أعزك مني ان حبك قاتلي • وانك مهما تأمرى القلب يفعل

فالبيت الاول فيه ركا كجدا وتأنيث ورقة ولكن فيها تخنيث ولعل فالنابذ يقول ان كلام النساء بما لا تعهن من الطبع أوقع وأعزل وليس كذلك لأنك تجد الشعراء في الشعر المؤنث لم يعدلوا عن رصانة قولهم والمصراع الثاني منقطع عن الاول لا يلائمه ولا يوافقه وهذا يبين لنا اذا اعترضت معه البيت الذي تقدمه وكيف يشكر عليها تدللها والمتغزل بطرب على دلال الحبيب وتدلله والبيت الثاني قد عيب عليه لانه قد أخبر ان من يبيلها ان لا تغتر بما يريها من ان حبا يقتله وأما علك قلبه فأمرته فملهاو المحب اذا أخبر عن مثل هذا صدق وان كان المعنى غير هذا الذي عيب عليه وإنما ذهب مذهبا آخر وهو انه أراد ان يظهر التجلد فهذا خلاف ما أظهر من نفسه فيما تقدم من الايات من الحب والبكاء على الاحبة فقد دخل في وجه آخر من المناقشة والاحاطة في الكلام ثم قوله تأمرى القلب يفعل معناه تأمر بى والقلب لا يؤمر والاستعارة في ذلك غير واقعة ولا حسنة وقوله

فان كنت قد ساءت مني خليفة • فسل ثيابي عن ثيابك تسلى

وما ذرفت عينا الا لتضربى * بسهميك في أعشار قلب مقتل

البيت الاول قد غيب في نأويله انه ذكر الثوب وأراد البلى مثل قول الله تعالى وثيابك فطهر وقال أبو عبيد هذا مثل للجبر وتدل بين وهو بيت قليل المعنى ركيكه وضعفه وكل ما أضل الى نفسه ووصف به نفسه سقوط وسفه ومغف يوجب قطعه فلم يحكم على نفسه بذلك ولكن يورده مود أن ليست له خليفة توجب هجرانه والتقصي من وصله وانه مذهب الاخلاق مريد الشماثل فذلك يوجب ان لا يتقن من وصله والاستعارة في المصراع الثاني فيها اتواضع وتقارب وان كانت غريبة وأما البيت الثاني فعدود من محاسن القصيدة وبداعها ومعناه ما بكيت الا لتجرحي قلبا معشرا أى مكسرا من قولهم

رمة اعشار اذا كانت قطعاً هذا تأويل ذكره الاصمعي رضي الله عنه وهو أشبه عند
أكثرهم وقال غيره وهذا مثل الاعشار التي تقسم الجز ورعها ويعني بجمعك المعلى وله
سبعة انصباء والريب وله ثلاثة أنصباء فأراد انك ذهبت بشي أجمع ويعني بقوله مقتل
مذلل وأنت تعلم انه على ما يعني به فهو غير موافق للبيات المتقدمة لما فهم من التناقض
الذي يذو ويشبه ان يكون من قال بالتأويل الثاني فزع اليه لانه رأى اللفظ مستكراً على
المعنى الاول لان المقاتل اذا قال ضرب فلان بسهمه في الهدف يعني أصابه كان كلامه اسقاطاً
مردولاً وهو يرى ان معنى الكلمة ان عينها كالسهمين التافذين في اصابة قلبه المجرى
فلما بكروا ذرقتا بالمعنى كاتناضارتين في قلبه ولكن من حل على التأويل الثاني سلم من
الخلل الواقع في اللفظ ولكنه اذا حل على الثاني فسد المعنى واختل لانه ان كان محتاجاً على
ما وصف به نفسه من الصباية فقلبه كله لها فكيف يكون بكراًها هو الذي يخلص قلبه لها
واعلم بعد هذا ان البيت غير ملائم للبيت الاول ولا متصل به في المعنى وهو منقطع عنه لانه لم
يسبق كلام يقتضى بكراًها ولا سبب يوجب ذلك فتركيبه هذا الكلام على ما قبله فيه
اختلال ثم لو سلم له بيت من عشرين بيتاً وكان يديها ولا عيب فيه فليس يجيب لانه لا يدعى
على مثله ان كلامه كله متناقض ونظمه كله متباين وانما يكفي ان نبين ان ما سبق من كلامه
الى هذا البيت مما لا يمكن ان يقال انه يتقدم فيه أحداً من التأخرين فضلاً عن المتقدمين وانما
قدم في شعره لا بيات قد برع بهم او بان حذوقها وانما أنكرنا ان يكون شعره متناسباً في
الجودة وتناسها في صحة المعنى واللفظ وقلنا انه يتصرف بين وحشي غريب مستمكر
وعريسة كالهمل مستمكرة وبين كلام سليم متوسط وبين عايش سوق في اللفظ والمعنى
وبين حكمة حسنة وبين مخف مستشع وهذا قال الله عز وجل لو كان من عند غير الله
لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً فأما قوله

وبيضة خدر لا يرام خباؤها * تمتعت من لهو بها غير مجمل

تجاوزت احراسها ومعضرها • على احراسها لو يسرون مقتلى

فقد قالوا عن ذلك انها كبيضة خدر في صفائها ورقها وهذه كلمة حسنة ولكن لم يسبق
اليها بل هي دائرة في أفواه العرب وتشبيه سائر ويعني بقوله غير مجمل انه ليس ذلك مما يفتق
قليلاً أو أحياناً بل يشكره الاستمتاع بها وقد يحمله غيره على انه رابط الجاش فلا يستعمل
اذا دخلها خوف حصانتها ومنعها وليس في البيت كبير فائدة لانه الذي حكى في سائر أبياته
فلا تتضمن مطاوعته في المغارة واستغلالها فذكر يره في هذا البيت مثل ذلك قليل المعنى الا
الزيارة التي ذكر من منعها وهو مع ذلك بيت سليم اللفظ في المصراع الاول دون الثاني

والبيت الثاني ضعيف وقوله لو يسرون مقتلى أراد ان يقول لو أسروا فاذا نقله الى هذا
ضعف ووقع في مضمار الضرورة والاختلال على تطمه بين حتى ان المحترز يحترز من مثله
وقوله اذا ما التريافي السماء تعرضت * تعرض أثناء الوشاح المفصل
قد انكر عليه قوم قوله اذا ما التريافي السماء تعرضت وطلوا التريالا تعرض حتى قال
بعضهم سمي الترياء اذ أراد الجوزاء لانها تعرض والعرب تفعل ذلك كما قال زهير
كأجر عاذنا ما هو أحر ثود وقال بعضهم في تصحيح قوله تعرض أول ما تطلع كان
الوشاح اذا طرح يلقاك بعرضه هو ناحيته وهذا كقول الشاعر
تعرضت لي عجمان خل * تعرض المهر في الطول

يقول تريك عرضها وهي في الرسن وقال أبو عمر ويعني اذا أخذت التريافي وسط السماء
كأيا أخذ الوشاح وسط المرأة والاشبهه عندنا ان البيت غير معيب من حيث عابوه به وانه
من محاسن هذه القصيدة ولو لا آيات عدة فيه لقا به ما شئت من شعر غيره ولكن لم يأت فيه
بما يفوت الشأو ويستولى على الامد أنت تعلم انه ليس للتقدمين ولا للتأخرين في وصف
شيء من النجوم مثل ما في وصف الترياء وكل قدا بدع فيه وأحسن فاما ان يكون قد عارضه أو
زاد عليه فن ذلك قول ذي الرمة

وردت اعتسافا والتريا كأنها * على قبة الرأس ابن ماء محلق

ومن ذلك قول ابن المعتز

وترى التريافي السماء كأنها • بيضات ادحي يلحن بقدره

وكقوله كان التريافي أو اخر ليها * تقم نور أو الجمام مقضض

وقوله أيضا فتاولتها والتريا كأنها * جنى نرجس حيا التمدى به الساق

وقول الاشهب بن ربيعة

ولاحت لسار بها التريا كأنها * لدى الافق الغربي قرط مسلسل

ولابن المعتز

وقد هوى النجم والجوزاء تتبعه • كذا قرط أرادته وقد سقطا

أخذه من ابن الرومي في قوله

طيب ريقه اذا ذقت طاه * والتريا بجانب الغرب قرط

ولابن المعتز قد سقاني المدام والصبي * مع باليسل مؤثر

والتريا كنور غصن * على الارض قد نثر

وقوله وزوم التريافي السماء اما • كأنك باب طمر كل دليقي لجاما

ولابن الطبرية اذا ما الترياق السماء كأنها * جان وهي من سلكه فتبددا
ولونضت لك كل ما طالوا من البدع في وصف الترياق الطال عليك الكتاب وخرج عن الغرض
وانما تريد ان تبين لك ان الابداع في نحو هذا امر قريب وليس فيه شئ غريب وفي جملة
ما نقلناه ما يزيد على تشبيهه في الحسن أو يساويه أو يقاربه فقد علمت ان ما حلق فيه وقد
المتعصب له انه بلغ النهاية فيه امر مشترك وشريعة موروثة وباب واسع وطريق مسلك
واذا كان هذا بيت القصيدة ودرة القلادة واسطة العقد وهذا محله فكيف بما تعبداه ثم
فيه ضرب من التكلف لانه قال اذا ما الترياق السماء تعرضت تعرض انشاء الوشاح فقوله
تعرضت من الكلام الذي يستغنى عنه لانه يشبه انشاء الوشاح سواء كان في وسط السماء أو
عند الطلوع والغيب فالتهويل بالتعرض والتطويل بهذه اللفاظ لا معنى له وفيه ان التريا
كقطعة من الوشاح الفصل فلا معنى لقوله تعرض انشاء الوشاح وانما أراد ان يقول
تعرض قطعة من انشاء الوشاح فلم يستقم له اللفظ حتى شبه ما هو كالشئ الواحد بالجمع وقوله

فجئت وقد نضت لنوم ثيابها * لدى الستر الالبسة المتفضل

فقال يمين الله مالك حيلة * فما ان أرى عنك العماة تبجل

أنظر الى البيت الاول والابيات التي قبله كيف خلط في النظم وفرط في التأليف فذكر
التمتع بما ذكر الوقت والحال والحراس ثم يذكر كيف كان صفتها لما دخل عليها ووصل
اليها من تزعمها ثيابها الاثواب واحدا والمتفضل الذي في ثوب واحد وهو الفضل فما كان
من سبيله ان يقدمه بما ذكره مؤخرًا وقوله لدى الستر حشو وليس بحسن ولا بديع وليس
في البيت حسن ولا ثنى بفضل لاجله وأما البيت الثاني ففيه تعليق واختلال ذكر
الاصحى ان معنى قوله مالك حيلة أى ليست لك حيلة نجي وفيها والناس حوالى والكلام في
المصراع الثاني منقطع عن الاول وظمه اليه فيه ضرب من التفاوت وقوله

فجئت بها أمشى تجر وراءنا * على اثرنا أذيال مرط مرجل

فلما أجزنا مساحة الحى واتنى * بنا يطن خبت ذى حفاف عقتل

البيت الاول من مساعدتها اياه حتى قامت معه ليخلوا وانما كانت تجر على الاثر أذيال مرط
مرجل والمرجل ضرب من البرود يقال لوشية الترحيل وفيه تكلف لانه قال وراءنا على
اثرنا ولو قال على اثرنا كان كافيا والذيل انما يجر وراء الماشى فلا فائدة لذكره وراءنا
وتقدير القول فجئت أمشى بها وهذا ايضا ضرب من التكلف وقوله أذيال مرط كان من
سبيله ان يقول ذيل مرط على انه لو سلم من ذلك كان قريبا ليس مما يقوت بمشله غيره ولا
يتقدم به سواء وقول ابن المعتز أحسن منه

فتأفرش خدى فى الطريق له • ذلا وأمعب أذبالى على الأثر
وأما البيت الثانى فقولہ أجزنا بمعنى قطعنا وألحبت بطن من الارض والحقف رمل منعرج
والعقنقل المتعقد من الرمل الداخلى بعصفه فى بعض وهذا بيت متقارب مع الايات
المتقدمة لان فيها ما هو سلس قريب يشبه كلام المولدين وكلام البنوة وهذا قد اغرب فيه
وأقرب منه هذه اللفظة الوحشية المتعقدة وليس فى ذكرها والتفضيل بالخاطفا بكلامها فائدة
والكلام الغريب واللفظة الشديدة المبالغة لنسخ الكلام قد تعمد اذا وقعت موقع الحاجة
فى وصف ما لا يلائمها كقولہ عز وجل فى وصف يوم القيامة يوم أعبوسا قظرا فأما اذا وقعت
فى غير هذا الموقع فهي مكرهة مذمومة بحسب ما تحمد فى موضعها وروى ان جريرا
أشد بعض خلفاء بني أمية قصيدته

بان الخليط برامتين قودعوا • أوكلنا جدوا لبن تبجزع

كيف العزاء ولم أجد مذنبتم • قلبا يقر ولا شرابا ينقع

قال وكان ينحف من حسن هذا الشعر حتى بلغ قوله

ونقول بوزع قد ديفت على العصا * هلا هزيت بغيرنا بأوزع

فقال أفسدت شعرك بهذا الاسم وأما قوله

هصرت بغصنى دوحة قمايلت • على هضم الكشمع ربا الخلل

مهفهفة بيضاء غير مفاضة * تراثها مصقولة كالسجبل

فمعنى قوله هصرت جذبت وثبت وقوله بغصنى دوحة تعسف ولم يكن من سبيله ان يجعلها
اثنين والمصرع الثانى أصح وليس فيه شئ الا ما يتكرر على السنة الناس من هاتين
الصفحتين وأنت تجد ذلك فى وصف كل شاعر ولكنه مع تكرره على اللسان صالح وأما معنى
قوله مهفهفة انما مخففة ليست مثقلة والمفاضة التى اضطرب طولها والبيت مع مخالفته فى
الطبع الايات المتقدمة ونوعه فيه الى الالفاظ المستكرهه وما فيه من الخلل من
تخصيص التراثب بالضوء بعد ذكر جميعها بالياض فليس بطائل ولكنه قريب متوسط
وقوله تصد وتبدى عن أسيل وتبقى * بناظرة من وحش وجره مطلق

وجيد بكيد الريم يفاش * اذا هى نصته ولا يعطل

معنى قوله عن أسيل أى بأسيل وانما يريد خد اليس بكن وقوله تبقى يقال انهاء بترسه أى
جعلها بينه وبينه وقوله تصد وتبدى عن أسيل متفاوت لان الكشف عن الوجه مع الوصل
دون الصدوقه تبقى بناظرة لفظه مليحة ولكن أضافها الى ما نظم به كلامه وهو محتمل وهو
قوله من وحش وجره وكان يجب أن تكون العبارة بخلاف هذا كان من سبيله أن يضيف

الى عيون الطبأوالأما دون اطلاق الوحش ففهم من ماتستكرعيونها وقوله مظفل فسروه على انها ليست بصدية وانها قد استصكمت وهذا اعتذار متعسف وقوله مظفل زيادة الفائدة فيها على هذا التفسير الذي ذكره الاصمعي ولكن قد يحتل عندى ان يفيد غير هذه الفائدة فيقال انها اذا كانت مظفلا لحلت اطفاها العين رقة ففي نظر هذه رقة نظر المودة ويقع الكلام معلقا تعليقا متوسطا وأما البيت الثاني فعنى قوله ليس بفاحش أى ليس بفاحش الطول ومعنى قوله نضته رفقته ومعنى قوله ليس بفاحش فى مدح الاعناق كلام فاحش موضوع منه واذا نظرت فى أشعار العرب رأيت فى وصفه الاعناق ما يشبه السجمر فكيف وقع على هذه الكلمة ودفع الى هذه اللفظة وهلا طال كقول أبى نواس

مثل الطبأ سمعت الى رو • ض صواد ر عن غدیر

ولست أطول عليك فتستقل ولا أكثر القول فى ذمه فتستوحش وأكلك الآن الى جلة من القول فان كنت من أهل الصنعة فطنت واكتفيت وعرفت ما رتبنا اليه واستغفيت وان كنت عن الطبقة خارجا وعن الاتقان بهذا الشأن خالبا فلا يكفيك البيان وان استقر بنا جميع شعره وشبعا عامة ألفاظه ودللتنا على ما فى كل حرف منه • اعلم أن هذه القصيدة قد ترددت بين أبيات سوقية مبتذلة وأبيات متوسطة وأبيات ضعيفة مرثوة وأبيات وحشية غامضة مستكرهة وأبيات معدودة بدیعة وقد دللتنا على المبتذل منها ولا يشبه عليك الوحشى المستكره الذى يروع السمع ويهول القلب ويكد اللسان ويحس معناه فى وجه كل خاطر ويكفر مظهره على كل متأمل أو ناظر ولا يقع مثله القمدح والتفاصح وهو بجانب لما وضع له أصل الافهام ومخالف لما بنى عليه التهامه بالكلام فيجب ان يسقط عن الغرض المقصود ويلحق بالغزوالاشارات المستهمة فأما الذى زعموا انه من بدیع هذا الشعر فهو قوله ويخفى فبيت المسك فوق فراشها * نؤم الفخمي لم تنتطق عن فضل

والمصراع الاخير عندهم بدیع ومعنى ذلك انها مترفة مستعجلة لها من يكفها ومعنى قوله لم تنتطق عن فضل يقول لم تنتطق وهى فضل وعن هى بمعنى بعد طال أبو عبيدة لم تنتطق فتجمل ولكنها تفضل وبما بعدونه من محاسنها

وليل كوج البحر أرخى سدوله • على أنواع النجوم لينتلى

فقلت له لما تحلى بصلبه • وأردف أبحازا وناء بكل كل

الأبها الليل الطويل الأناجيل • يصح وما الاصباح منك بأمثل

وكان بعضهم يعارض هذا بقول النابغة

صكيني لهم يا أمية ناصب • وليل أفاسية بطى الكواكب

وصدر أراح الليل غارب همه • تضاعف فيه الحزن من كل جانب
 ثقاعس حتى قلت ليس غنقض * وليس الذي يتلو النجوم يأتي
 وقدرى ذلك بين يدي بعض الخلفاء فقد مت أبيان امرئ القيس واستحسن استعارتها
 وقد جعل الليل صدرا يثقل تحيه ويطحن قضيه وجعل له أردافا كثيرة وجعل له صلبا عند
 ويتناول وراها هذا بخلاف ما يستعيره أبو تمام من الاستعارات الوحشية البعيدة
 المستنكرة ورأوا أن اللفاظ جميلة واعلم أن هذا صالح جميل وليس من الباب الذي يقال
 أنه متباه عجيب وفيه المام بالكلف ودخول في التعل وقد خرجوا له في البديع من القصيدة
 قوله وقد اعتدى والطير في وكأها • بمنجرد قيد الأوابد هيكل
 مكرم مفر مقبل مدبر معا • بكلمود يخرحطه السيل من عل
 وقوله أيضا له أبطالا ظي وساقا نعمة * وأرخاء سرخان وتقررب تنقل
 فأما قوله قيد الأوابد فهو ملج ومثله في كلام الشعراء أهل الفصاحة كثير والتعل بمثله
 يمكن وأهل زماننا الآن يصنفون نحو هذا تصنيفا يؤلفون المحاسن تأليفا ثم يوشعون به
 كلامهم والذين كانوا من قبل لغزارتهم وتمكهم لم يكونوا يتصنعون ذلك إنما كان يتفق
 لهم اتفاقا وبطرد في كلامهم اطرادا وأما قوله في وصفه مكرم مفر فقد جمع فيه طباقا
 وتشبيها في سرعة جرى الفرس للشعرأما هو أحسن من هذا وألطف وكذلك في جمعين
 أربعة وجوه من التشبيه في بيت واحد صنعت ولكن قد عورض فيه وزوحم والتوصل
 إليه يسير وتطلبه سهل قريب وقد بينا لك أن هذه القصيدة وتطائرها تفاوتت في أبياتها
 تفاوتا يبين في الجودة والرداءة والسهولة والانعقاد والسلامة والافحلال والتمكن
 والتسهيل والاسترسال والتوحش والاستكراه وله شركاء في تطائرها ومنازعون في محاسنهم
 ومعارضون في بدائعها ولا سوا كلام نضت من الضفر نارة وبذوب نارة ويتلون تلوون
 الحرباء ويختلف اختلاف الأهواء ويكثر في نصره اضطرابه وتتعاقد به أسبابه وبين
 قول يجرى في سبكه على نظام وفي رصفه على منهاج وفي وضعه على حد وفي صفائه على باب
 وفي بهجته مورقة على طريق مختلفة مؤلفة ومؤلفة متصدة ومتباعدة متقاربة
 وشاردة مطيع ومطبعة وهو على متصرفاته واحد لا يستصعب في حال ولا يتعقد في
 شأن وكذا ردنا أن تنصرف في قصائد مشهورة فتسلك عليها وتدل على معانيها ومحاسنها
 ونذكر لك من فضائلها ونفائصها ونبسطة القول في هذا الجنس ونفتح عليك في هذا النهم
 ثم رأينا هذا خارجا عن غرض كتابنا والكلام فيه يتصل بتقد الشعر وعياره ووزنه بميزانه
 ومعاره ولذلك كتب وان لم تكن مستوفاة وتصانيف وان لم تكن مستقصاة وهذا

القدر يكفي في كتابنا ولم نجعل ان ننسخ لك مسطرة الادباء في خطأ امرئ القيس في العروض
والنحو والمعاني وما عايناه عليه في أشعاره وتكموا به على ديوانه لان ذلك أيضا خارج عن
غرض كتابنا وبجانب المقصود واما اردنا ان نبين الجملة التي بينها التعرف ان طريقة الشعر
شريعة موروثة ومنزلة مشهودة يأخذ منها أصحابها على مقادير أسبابهم ويتناول منها
ذوقها على حسب أحوالهم وأنت تجد التقدم معنى قد طمسه المتأخر بما أرت عليه فيه
وتجد المتأخر معنى قد أغفله المتقدم وتجد معنى قد وافد عليه وتوافق اليه فهمافيه شريكا
عنان وكأتهما فيه رضيعا لسان والله يؤتي فضله من يشاء فاما نهج القرآن ونظمه وتأليفه
ورصفه فان العقول تنبه في جهته وتحار في بحر وتضل دون وصفه ونحن نذكر لك في
تفصيل هذا ما استدل به على الغرض وتستولي به على الأمد وتصل به الى المقصود وتصور
عجازه كما تصورا الشمس وتيقن تها في بلاغته كما تيقن الفجر وأقرب عليك الغامض
وأسهل لك العسير واعلم ان هذا علم شريف المحل عظيم المكان قليل الطلاب ضعيف
الاصحاب ليست له عشيرة تحميه ولا أهل عصمة تظن لما فيه وهو أدق من السحر وأهول
من البحر وأعجب من الشعر وكيف لا يكون كذلك وأنت تحسب ان وضع الصبح في موضع
الفجر يحسن في كل كلام الا ان يكون شعرا أو مصعرا وليس كذلك فان احدي اللفظتين
قد تنفر في موضع وتزل عن مكان لا تزل عنه اللفظة الاخرى بل تمسك فيه وتضرب بجرائها
وترافق مظانها وتجدها فيه غير منازعة الى أوطانها وتجد الاخرى لو وضعت موضعها في
محل تقار ومرى شراد وبائية عن استقرار ولا أكثر عليك المثلث ولا أضرب لك فيه
الامثال وأرجع بك الى ما وعدتك من الدلالة وضمنت لك من تقرب المقالة فان كنت
لا تعرف الفصل الذي بنا بين اللفظتين على اختلاف مواقع الكلام ومتصرفات مجاري
النظام لم تستفد مما نقر به عليك شيئا وكان التقليد أولى بك والاتباع أوجب عليك ولكل شئ
سبب وسلك علم طريق ولا سبيل الى الوصول الى الشئ من غير طريقه ولا بلوغ غايته من
غير سبيله خذ الان هذا لك الله في تزيغ الفكر وتخليه البال وانظر فيما تعرض عليك
ونهيدي اليك متوكلا على الله ومعتصما به ومستعينا به من الشيطان الرجيم حتى تقف على
عجاز القرآن العظيم معاه الله عز ذكره حكما وعظما ومحيدا وقال لا يأتية الياعل من بين
يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وقال لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا
متصدعا من خشية الله وتلك الامثال نضر بها الناس لعلمهم يتفكرون وقال ولو ان قرآنا
سرى به الجبال أو قطعت به الارض أو كلم به الموتى بل الله الأمر جميعا وقال قل لن اجتمع
الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا

وأخبرنا أحمد بن محمد بن الحسين القزويني حدثنا أبو عبد الرحمن أحمد بن عثمان حدثنا أبو يوسف الصديقي حدثنا محمد بن مسلمة عن أبي سنان عن عمرو بن مرة عن أبي الجعثري الطائي عن الحارث الأعور عن علي رضي الله عنه قال قيل يا رسول الله إنك ستقتن من بعدك فسأل أو سئل ما يخرج من ذلك فقال بكتاب الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزل من حكيم جيد من ابني العلم في غيره ما ضله الله ومن ولي هذا من جبار فخكم بغيره قصمه الله وهو الذكرا الحكيم والنور المين والصرط المستقيم فيه خبر من قبلكم وتبين من بعدهم وهو فصل ليس بالهزل وهو الذي سمعته الجن فقالوا إنا سمعنا قرأنا عجبا يهدي إلى الرشداً منابه لا يخلق على طول الرد ولا تنقضي عبره ولا تنقضي عجائبه وأخبرني أحمد بن علي بن الحسن أخبرنا أبي أخيراً بن بشر بن عبد الوهاب أخيراً هشام بن عبيد الله حدثنا المسيب بن شريك عن عبيدة عن أسامة بن أبي عطاء قال أرسل النبي صلى الله عليه وسلم إلى علي رضي الله عنه في ليلة فذكر نحوه ذلك في المعنى وفي بعض ألفاظه اختلاف وأخبرنا أحمد بن علي بن الحسن أخبرنا أبي أخيراً بن بشر بن عبد الوهاب أخيراً هشام بن عبيد الله حدثنا المسيب بن شريك عن بشر بن غير عن القاسم عن أبي أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ ثلث القرآن أعطى ثلث النبوة ومن قرأ نصف القرآن أعطى نصف النبوة ومن قرأ القرآن كله أعطى النبوة كلها غير أنه لا يوحى إليه وذلك الحديث ولو لم يكن من عظم شأنه إلا أنه طبق الأرض أنواره وجلال الآفاق ضيائه ونفذ في العالم حكمه وقبل في الدنيا رسمه وطمس ظلام الكفر بعدان كان مضروب الرواق ممدود الاطناب مبسوط الباع مر فوع العاد ليس على الأرض من يعرف الله حق معرفته أو يعبد الله حق عبادته أو يدين بعظمته أو يعلم علو جلالاته أو يتفكر في حكمته فكان كما وصفه الله تعالى جل ذكره من أنه نور فقال وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم فأنظر إن شئت إلى شريف هذا العظم وبديع هذا التأليف وعظيم هذا الرصف كل كلمة من هذه الآية تامة وكل لفظ بديع واقع قوله وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا يدل على صدوره من الرقوبة وبين عن وروده عن الإلهية وهذه الكلمة بمنفردا وأخواتها كل واحدة منها لو وقعت بين كلام كثير غير عن جميعه وكان واسطة عقده وفاحة عقده وغرة شهره وعين دهره وكذلك قوله ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا فجعلها روحاً إلهي الخلق فله فضل الارواح في الاجساد وجعله نورا إلهي يضيئ ضياء الشمس في الآفاق ثم أضاف وقوع الهداية به إلى مشيئته

ووقف وقوف الاسترشاد به على إرادته وبين أنه لم يكن له تدي إليه ولا توفيقه ولم يكن لي علم
 ما في الكتاب ولا الإيمان ولا تعليمه وأنه لم يكن له تدي فكيف كان هدى لولاه فقد صار
 هدى ولم يكن من قبل ذلك له تدي فقال وانك له تدي إلى صراط مستقيم صراط الله الذي
 له ما في السموات وما في الأرض ألا إلى الله نصير الأمور فانظر إلى هذه الكلمات الثلاث
 فالكلمات الأولى والثانية مؤلفتان وقوله ألا إلى الله نصير الأمور كلمة منفصلة مباينة للأولى
 قد صدر به أثر يف النظم أشد انشلافاً من الكلام المؤلف والطف انتظاماً من الحديث
 الملائم وبهذا بين فضل الكلام وتظهر فصاحته وبلاغته الأمر أظهر وأجل لله والحال أبلغ
 من أن يحتاج إلى كشف تأمل قوله فائق الأصباح ويكمل الليل سكا والشمس والقمر
 حسبنا ذلك تقدير العزيز العليم انظر إلى هذه الكلمات الأربع التي ألف بينها واحتج بها
 على ظهور قدرته ثم فاذا أمره أليس كل كلمة منها في نفسها عزة وبغدادرة وهو مع ذلك
 يبين أنه يصدر عن علو الأمر ونفاذ القهر ويعلى في بهجة القدرة ويعلى بخالصة العزة
 ويجمع السلاسة إلى الرصانة والسلامة إلى المنانة والرونق إلى الصافي والبهاء إلى الضافي
 ولست أقول أنه شمل الطباق المليح والإيجاز اللطيف والتعديل والتجميل والتعريب
 والتشكيل وإن كان قد جمع ذلك وأكثر منه لأن الجيب ما بيننا من انفراد كل كلمة بنفسها
 حتى تفصل أن تكون عين رسالة أو خطبة أو وجه قصيدة أو فقرة فإذا ألفت ازدادت حسنا
 وزادت إذا تأملت معرفة وإيماناً تأمل قوله وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون
 والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون
 القديم هل تجد كل لفظة وهل تعلم كل كلمة تستقل بالاشتمال على نهاية البديع وتتضمن شرط
 القول البليغ فإذا كانت الآية تنظم من البديع وتتألف من البلاغات فكيف لا تقوت
 حبل المعهود ولا تحوز شأوا المؤلف وكيف لا تحوز قبس السبق ولا تتعالى عن كلام الخلق
 ثم أقصد إلى سورة نامة تقتصر في معرفة قصصها وراعي ما فيها من براهينها وقصصها تأمل
 السورة التي يذكر فيها النمل وانظر في كل كلمة وكلمة وفصل وفصل يذكر في السورة إلى أن
 بين أن القرآن من عنده فقال وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم ثم وصل بذلك قصة
 موسى عليه السلام وأنه رأى ناراً فقال لاهله امكنوا إنى آنست ناراً سا تبيكم منها بخبر أو
 آتيكم بشهاب قبس لعلكم تبطلون وقال في سورة طه في هذه القصة لعل آتيكم منها
 بقبس أو أجد على النار هدى في موضع لعل آتيكم منها بخبر أو جنة من النار لعلكم
 تبطلون قد تصرف في وجوه وأتى بذلك القصة على ضرب ليعلمهم بمنهم عن جميع طرق
 ذلك ولهذا قال فليأتوا بحديث مثله ليكون أبلغ في تعبيرهم وأظهر للعبية عليهم وكل كلمة من

هذه الكلمات وإن أنبأت عن قصة فهي بليغة بنفسها تأم في معناها ثم قال فلما جاءها نودي أن بورك من في النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين فانظر الى ما جرى له الكلام من علو أمر هذا النداء وعظم شأن هذا التناء وكيف انتظم مع الكلام الأول وكيف اتصل بتلك المقدمة وكيف وصل بهما بعدهما من الاخبار عن الربوبية وما دل به عليهما من قلب العصامية وجعلها دليلا بليغ عليه ومجزة تهديده اليه وانظر الى الكلمات المفردة القائمة بأنفسها في الحسن وفيما تتضمنه من المعاني الشريفة ثم ما شفع به هذه الآية وقرن به هذه الدلالة من اليد البيضاء عن نور البرهان من غير سوء ثم انظر في آية آية وكله كلمة هل تجلبها كإلصاقها من عجيب النظم وبديع الرصف فكل كلمة لو أفردت كانت في الجمال غاية وفي الدلالة آية فكيف إذا طارت أختواتها وضامتها نواتها تجري في الحسن مجراها وتأخذ في معناها ثم من قصة الى قصة ومن باب الى باب من غير خلل يقع في نظم الفصل الى الفصل وحتى بصورتك الفصل وصلا يندبغ التأليف وبلغ التنزيل وإن أردت أن تبين ما قلناه ففضل تبين وتتحقق بما ادعينا زيادة تحقيق فإن كنت من أهل الصناعة عندنا قصة من هذه القصص وحديث من هذه الأحاديث فغير عنه بعبارة من جهتك واخبر عنه بالفاظ من عندك حتى ترى فيما جئت به النقص الظاهر وتبين في نظم القرآن الدليل الباهر ولذلك أعاد قصة موسى في سور وعلى طرق شتى وفواصل مختلفة مع اتفاق المعنى فلعنك ترجع الى عقلك ونستمر ما عندك ان غلطت في أمرك أو ذهبت في مذاهب وهمك أو ساطت على نفسك وجه ظنك متى تهيا لبليغ ان يتصرف في قدر آية في أشياء مختلفة فيجعلها مؤلفة من غير ان يبين على كلامه اعباء الخروج والتنقل أو يظهر على خطابه آثار التكلف والتجمل واحسب أنه يسلم من هذا ويحال أن يسلم منه حتى ينظر بمثل تلك الكلمات الأفراد والألفاظ الاعلام حتى يجمع بينها فيصير فيها فقرة من كلامه وقطعة من قوله ولو اتفق له في أحرف معدودة وأسطر قليلة حتى يتفق له في قدر ما نقول انه من القرآن يجمز ههنا ههنا ان الصبح بطمس النجوم وإن كانت زاهرة والبحر يغمر الانهار وإن كانت زاهرة متى تهيا لا دعى أن يقول في وصف كلب سليمان عليه السلام بعد ذكر العنوان والسمية هذه الكلمة الشريفة العالية ألا تعالوا على وأتوني مسلين والخلوص من ذلك الى ما صارت اليه من التدبير واشتغلت به من المشورة ومن تعظيم أمر المستشار ومن تعظيم أمرها وطاعتها بتلك الالفاظ البديعة والكلمات الجميلة البليغة ثم كلامها بعد ذلك لتعلم تمكن قولها يا أيها الملأ أقتوني في أمرى ما كنت فاطمة أمرا حتى تشهدون وذكر قولهم قالوا نحن أولو قوة وأولو بأس شديد الأمر اليك فانظر الى

ماذا تأمرين لا تجد في صفته أنفسهم أبدع مما وصفهم به وقوله الأمر اليك تعلم براعته بنفسه
وعجيب معناه وموضع اتفاقه في هذا الكلام وتكن الفاصلة وملازمة لما قبله وذلك قوله
فانظري ماذا تأمرين ثم إلى هذا الاختصار وإلى البيان مع الإيجاز فإن الكلام قد يفسده
الاختصار ويعبه التقيف منه والإيجاز وهذا مما يزيد الاختصار بسطاً ويمكنه وقوعه
موقعه ويتضمن الإيجاز منه تصرفاً يتجاوز مجله وموضعه وكم جئت إلى كلام مبسوط يضيق
عن الأفهام ووقعت على حديث طويل يقصر عما يراد به من التمام ثم وقع على الأفهام (٣)
فما يجب فيه من شروط الأحكام أو بمعاني القصة وما تقتضي من الاعظام ثم لو ظفرت بذلك
كله رأيت ناقصاً في وجه الحكمة أو مدخولاً في باب السياسة أو مضبوطاً في طريق السيادة
أو مشتركاً في عبارات إن كان مستجود المعنى أو جيد البلاغة مستعجب المعنى أو مستعجب
البلاغة جيد المعنى أو مستعكر اللفظ وحشي العبارة أو مستهمل الجانب مستعكره الوضع
وأنت لا تجد في جميع ما تلونا عليك إلا ما لا بأس به وإذا اختصر كل شيء بإبه وجاد وإذا
شرح الحكم في جوانبه طرف خاطره وبعث العليم في أطرافه عيون مباحته لم يقع إلا على
مخاض تنوالت وبدائع تترى ثم فكر بعد ذلك في آية آية وكله كلمة في قوله إن الملوك إذا دخلوا
قرية أفسدوها وجعلوا أعز أهلها أنله وكذلك يفعلون هذه الكلمات الثلاث كل واحدة
منها كالجم في علوه ونوره وكأيا قوت بتلائين شهوره ثم تأمل تكن الفاصلة وهي
الكلمة الثالثة وحسن موقعها وعجيب حكمها وبارع معناها وإن شريحت لك ما في كل آية
طال عليك الأمر ولكنني قد بينت بما فسرته وقررت بما فصلت الوجه الذي سلكت
والنحو الذي قصدت والغرض الذي اليه رميت والسمت الذي اليه دعوت ثم فكر
بعد ذلك في شيء أدرك عليه وهو تعادل هذا النظم في الإيجاز في مواقع الآيات القصيرة
والطويلة والمتوسطة فأجل الرأي في سورة سورة وآية آية وفاصلة فاصلة وتبدل الخواص
والفوائض والبوادي والمقاطع ومواضع الفصل والوصل ومواضع التنقل والتحول ثم انقض
ما أنت قاض وإن طال عليك تأمل الجميع فاقصر على سورة واحدة أو على بعض سور
ما رأيت في قوله إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح
أبناءهم ويستعني نسائهم أنه كان من المفسدين هذه تشتمل على ست كلمات متساوية وضواؤها
على ما ترى وسلاستها وماؤها على ما تشاهده ورويقها على ما تعين وفصاحتها على ما تعرف
وهي تشتمل على جملة وتفصيل وتفسير ذكر العلو في الأرض باستضعاف الخلق يذبح
الولدان وسبي النساء وإذا تحكم في هذين الأمرين فاطنك بعماد ونهالان النفوس لا تنظم
على هذا الظلم والظلم لا تفر على هذا الجور ثم ذكر الفاصلة التي أوغلت في التأكيد

وكفت في التظلم وردت آخر الكلام على أوله وعطفت بحزبه على صدره ثم ذكر وعده
 تخليصهم بقوله وزيد أن نحن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم
 الوارثين وهذا من التأليف بين المؤلفين الملتزمين المستأنس كان قوله وابتغ فيها آياتك
 الله الدار الآخرة ولا تفس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في
 الأرض إن الله لا يحب المفسدين وهي خمس كلمات متباعدة في المواقع نائية المطارح قد
 جعلها النظم البديع أشد تألفاً من الشيء المؤلف في الأصل وأحسن توافقاً من المتطابق
 في أول الوضع ومثل هذه الآية قوله وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان
 الله وتعالى عما يشركون ومثلهما وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها أفلم ينسأ أن تسكن
 من بعدهم الا قليلا وكنافن الوارثين ومن المؤلف قوله نفسنا يوم يداره الأرض فما
 كانه من فئة ينصر منه من دون الله وما كان من المنتصرين وهذه ثلاث كلمات كل كلمة
 أعز من الكبريت الأحمر ومن الباب الآخر قوله تعالى ولا تدع مع الله الها آخر الله الا
 هو كل شيء هالك الا وجهه الحكم واليه ترجعون كل سورة من هذه السور تتضمن من
 القصص ما لو تكلفت العبارة عنها باضعاف كتابها لم تستوف ما استوفيه ثم تجد فيما تنظم نقل
 النظم وتغور الطبع وشراد الكلام وتهاقت القول وتمتع جانبه وقصورك في الايضاح عن
 واجبه ثم لا تقدر على أن تنتقل من قصة الى قصة وفصل الى فصل حتى تبين عليك مواضع
 الوصل ويستصعب عليك أما كن الفصل ثم لا يمكنك أن تصل بالقصص مواضع زاجرة
 وأمثالاً سائر موحكاً جلية وأتة على التوحيد بينة وكات في التزيين والتعظيم شريفة وإن
 أردت أن تحقق ما وصفت لك فتأمل شعر من شئت من الشعراء المغلقين هل تجد كلامه في
 المدح والغزل والفخر والهجو يجري مجرى كلامه في ذكر القصص انك لتراه اذا جاء الى
 وصف واقعة أو نقل خبر عاى الكلام سوقى الخطاب مسترسلاً في أمره متساهلاً في كلامه
 عادلاً عن المؤلف من طبعه وناكحاً عن المعهود من محبته طان اتفق له في قصة كلام جيد كان
 قدر ثنتين أو ثلاثة وكان ما زاد علمه أحشوا وما تجاوزها القوا ولا أقول انها تخرج من
 عادته عفووا لانه يقصر عن العفو ويقف دون العرف ويتعرض للركاكة فلم تقنع بما قلت
 لأن الايات فتأمل غير ذلك من السور هل تجد الجميع على ما وصفت لك لو لم تكن الاسورة
 واحدة لكنت في الاجاز فكيف بالقرآن العظيم ولو لم يكن الا حديث من سورة لكفى
 وأقنع وشفى ولو عرفت قدر قصه مومى وحدها من سورة الشعراء لما طلبت بينة سواها
 بل قصة من قصصه وهي قوله وأوحينا الى موسى أن أسر بعبدى إنكم متبعون الى قوله
 فأخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم كذلك وأورثناها بنى اسرائيل

فأتبعوهم مشرقين حتى قال فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانقلب فكان كل فرق كالطود العظيم ثم قصة إبراهيم عليه السلام ثم لم تكن الا آيات التي انتهى إليها القول في ذكر القرآن وهي قوله وأنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين وهذه كلمات مفردة بفواصلها منها ما يتضمن فائضة وفاصلة ومنها ما هي فائضة واسطة وفاصلة ومنها كلمة بفواصلها فائضة دل على أنه نزل على قلبه ليكون نذيرا وبين أنه آية لكونه نبيا ثم وصل بذلك كيفية التذارة فقال وانذر عشيرتك الأقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين فتأمل آية لتعرف الاعجاز وتبين التصرف البديع والتنقل في الفصول الى آخر السورة ثم راع المقطع الخفي وهو قوله وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون هل يحسن أن تأتي بعمل هذا الوعيد وان نظم مثل هذا النظم وان تجد مثل هذه النظائر السابقة وتصادف مثل هذه الكلمات المتقدمة ولولا كراهة الاملال لجئت الى كل فصل فاستقرت على الترتيب كما أنه وبينت لك ما في كل واحدة منها من البراعة ومن عجيب البلاغة ولعلك تستدل بما قلنا على ما بعده وتستضيء بنور موهبتى هذه ونحن نذكر آيات آخر الترتيد استبصارا وتقدم ثبوتا تأمل من الكلام المؤلف قوله حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا اله الا هو اليه المصير أنت قد ندرت الآن بحفظ أسماء الله تعالى وصفاته فانظر متى وجدت في كلام البشر وخطبهم مثل هذا النظم في هذا القدر وما يجمع ما يجمع هذه الآية من شريف المعاني وحسن الفائضة والخاتمة وانل ما بعدها من الاثارة اعرف وجه الخلو من شئ الى شئ من احتياج الى وعيد ومن اعذار الى انذار ومن فنون من الامور شتى مختلفة تأتلف بشريف النظم ومتابعة تنقارب بعلى الضم ثم جاء الى قوله كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم وهمت كل امة برسولهم لياخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأخذتهم فكيف كان عقاب وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا انهم أصحاب النار الاية الاولى أربعة فصول والثانية فصلان وجه الوقوف على شرف الكلام أن تتأمل موقع قوله وهمت كل امة برسولهم لياخذوه وهل تقع في الحسن موقع قوله لياخذوه كلمة وهل تقوم مقامه في الجزالة لفظه وهل يسد مسده في الاصابة فكنت لو وضع موضع ذلك ليقبلوه أو ليرجوه أو لينفوه أو ليطردوه أو ليهلكوه أو لينذروه ونحو هذا ما كان ذلك بعيدا ولا بارعا ولا عجميا ولا بالغا فانقدم موضع هذه الكلمة وتعلم بها ما تذهب اليه من تخب الكلام وجيل الالفاظ والاهتمام لما في فان كنت تقدر ان شيئا من هذه الكلمات التي عدناها عليك وغيرها لا تقف بك على غرضنا من هذا الكتاب فلا

سبيل إلى الوقوف على تصارييف الخطاب فافزع إلى التقليدوا كف نفسك مؤنة التفكير وان فطنت فافطر إلى ما قال من رد عجز الخطاب إلى صدره بقوله فاخذتهم فكيف كان عقاب ثم ذكر عقوبها العذاب في الآخرة وتلاها نالوا العذاب في الدنيا على الأحكام الذي رأيت ثم ذكر المؤمنين بالقرآن بعد ذكر المكذبن بالآيات والرسول فقال الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به إلى أن ذكر ثلاث آيات وهذا كلام مفصول تعلم عجيب انسابه بما سبق ومضى واتسابه إلى ما تقدم وقضى وعظم موضعه في معناه ورفع ما تضمنه من تحميدهم وتسيبهم وحكاية كيفية دعاء الملائكة بقوله ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما هل تعرف شرف هذه الكلمة لفظا ومعنى ولطيف هذه الحكاية وتلازم هذا الكلام وتشاكل هذا النظام وكيف يهتدى إلى وضع هذه المعاني بشرى وإلى ترك كيب ما يلائمها من الألفاظ انسى ثم ذكر ثلاث آيات في أمر الكافر برى على ما ترى ثم نبه على أمر القرآن وأنه من آياته بقوله هو الذي يريكم آياته وينزل لكم من السماء رزقا وما يتذكر إلا من ينيب واعتمد ذكر هذين الأمرين الذين يختص بالقرقرة عليهم بالتناسب بما في أنهم ممن تزييلهم من السماء ولأن الرزاق الذي لو لم يرزق لم يمكن بقاء النفس فجب طاعته والنظر في آياته ثم قال فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون رفيع الدرجات ذوالعرش يليق الروح من أمره على ما يشاء من عبادته لينذر يوم التلاق يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم لله الواحد القهار قف على هذه الدلالة وفكر فيها وراجع نفسك في مراعاة معاني هذه الصفات العالية والكلمات السامية والحكم البالغة والمعاني الشريفة تعلم وردها عن الألوهية ودلائلها على الربوبية وتحقق أن الخطب المنقولة عنهم والأخبار المأثورة في كتابهم الفصيحة من الكلام الذي تعلق به الهمم البشرية وما تحوم عليه الأفكار الأدمية وتعرف ما ينتها هذا الضرب من القول أي خاطر يتشوق إلى أن يقول يليق الروح من أمره على ما يشاء من عبادته لينذر يوم التلاق يوم هم بارزون وأي لفظ يدرك هذا المضمار وأي حكم يهتدى إلى ما لهذا من الغور وأي فصيح يهتدى إلى هذا النظم ثم استقرى الآية إلى آخرها واعتبر كتابها وراع بعد ما قوله اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم ان الله سريع الحساب من يقدر على تأليف هذه الكلمات الثلاث على قرنها وعلى خفتها في التظم وموقعها من القلب ثم تأمل قوله وأنذرهم يوم الآزفة إذا القلوب لدى الخناجر كاظمين ما للظالمين من حجب ولا شفيع يطاع يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور والله يقضى بالحق والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء ان الله هو السميع البصير كل كلمة من ذلك على ما قد وصفتهما أنه أدارها الإنسان في رسالة كانت عينها أو في خطبة كانت وجهها أو قصيدة كانت غرة غرتها وبيت قصيدتها كالباقية التي تكون فريدة العقد وعين

الفلاحة ودرة الشذر اذا وقع بين كلامه وشعره واذا ضمن في نظام زينه واذا اعترض في خطاب تميز عنه وبان يحسنه منه ولست أقول هذا لك في آية دون آية وسورة دون سورة وفصل دون فصل وقصة دون قصة ومعنى دون معنى لاني قد مرحت لك ان الكلام في حكاية القصص والاخبار وفي الشرائع والاحكام وفي الديانة والتوحيد وفي الحج والتبئيت هو خلاف الكلام فيما عدا هذه الأمور ألا ترى أن الشاعر المقلق اذا جاء الى الزهد قصر والأديب اذا تكلم في بيان الأحكام وذكرا الحلال والحرام لم يكن كلامه على حسب كلامه في غيره ونظم القرآن لا يتفاوت في شيء ولا يتباين في أمر ولا يختل في حال بل له المثل الأعلى والفضل الأعلى وفيما شرحنا لك كفاية وفيما بيناه بلاغ وتذكر في الأحكاميات وغيرها آيات أخر منها قوله يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمون من مما علمكم الله فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه واتفقوا الله ان الله سريع الحساب أنت تجد في هذه الآية من الحكمة والتصرف الجيب والنظم البارع ما يدلك ان شئت على الاعجاز مع هذا الاختيار والايجاز فكيف اذا بلغ ذلك آيات وكانت سورة ونحو هذه الآية قوله الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذين يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحمل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون وكلاية التي بعدها في التوحيد وثبات النبوة وكلايات الثلاث في الموايرت أي بارع بقدر على جمع أحكام القرآن في قدرها من الكلام ثم كيف يقدر على ما فهم من بديع النظم وان جئت الى آيات الاحتجاج كقوله تعالى لو كان فهم ما آلهة الا الله لفسدوا فسخان الله رب العرش عما يصفون لا يستل عما يفعل وهم يسألون وكلايات في التوحيد كقوله هو الحي لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين وكقوله تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً الذي له ملك السموات والأرض ولم يقنودا ولم يكن له شرك في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديراً وكقوله تبارك الذي يبدل الملك وهو على كل شيء قدير الى آخرها وكقوله والصفات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكر ان الهكم لواحد رب السموات والأرض وما بينهما ورب المشارق انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظا من كل شيطان مارد لا يسمعون الى الملا الأعلى ويقذفون من كل جانب دحورا ولهم عذاب واصب الا من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب هذه من الآيات التي قال فيها الله تعالى ذكر ما نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم

تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن بضل الله فانه
من هاد وانظر بعين عقلك وراجع جليسة بصيرتك اذا فكرت في كلمة كلمة مما نقلناه اليك
وعرضناه عليك ثم فيها ينظم من الكلمات ثم الى ان يتكامل فصلا وقصة أو يتم حديثا
وسورة لا بل فكر في جميع القرآن على هذا الترتيب وتدبر على نحو هذا الترتيب فلم ندع
ما ادعينا له بلعنه ولم نصف ما وصفناه الا في كله وان كانت الدلالة في البعض أبين وأظهر
والآية أكشف وأبهر واذا تأملت على ما هديناك اليه وقضناك عليه فانظر هل ترى وقع
هذا التور في قلبك واشتماله على لبك ومريانه في حسك وقوده في عروقك واعتلائه به
ايقانا واحاطة واهتمامك به ايماننا وبصيرة أم هل تجد العجب يأخذ منك مأخذه من وجه
والهزة تعجل في جوانبك من لون والأبرصحة تستولي عليك من باب وهل تجد الطرب
يستفرك اللطيف ما فطنت له والسرور يخررك من عجب ما وقعت عليه وتجد في نفسك من
المعرفة التي حدثت لك عزة في أعطافك اربيا طهرة وترى لك في الفضل تقدما وتبرنا
وفي اليقين سبعا وتحقيقا وترى مطارح الجمال تحت أقدام الغفلة ومهاوهم في ظلال
الغفلة والذلة وأقدارهم بالعين التي يجب أن تلاحظ بها مراتهم بحيث يجب أن ترتبها هذا كله في
تأمل الكلام ونظامه وعجيب معانيه وأحكامه فان جئت الى ما ينسبط في العالم من بر كته
وانواره وتمكن في الاطلاق من يمنه وأضوائه وثبتت في القلوب من اكباره واعظامه وتقرر في
النفوس من حتم أمره ونهيه ومضى في الدماء من مفروض حكمه والى أنه جعل عماد
الصلاة التي هي نوايا ايمان في التأكيد ونانية التوحيد في الوجوب وفرض حفظه وروك
الصغار والباريتلا ونواهم عند افتتاحه بما أمر به لتعظيمه من قوله فاذا قرأت القرآن
فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم لم يؤمر بالتعوذ لا افتتاح أمر كما أمر به لا افتتاحه فعل يدك
هذا على عظيم شأنه وراجع ميزانه وعلى مكانه ووجه الأمر أن نقد الكلام شديد وتغييره
صعب وبما كتب الى الحسن بن عبد الله العسكري أخبرني أبو بكر بن دريد قال سمعت أبا
حاتم يقول سمعت الأصبغي يقول فرسان الشعراء أقل من فرسان الحرب وقال سمعت أبا
عمر بن العلاء يقول العلماء بالشعر أعز من الكبريت الأحمر واذا كان الكلام المتعارف
المتداول بين الناس يشق تغييره ويصعب نقده يذهب عن محاسنه الكثير وينظرون الى
كثير من قبيحه بعين الحسن وكثير من حسنه بعين القبح ثم يختلفون في الأحسن منه
اختلفا كثيرا وتباين آراؤهم في تفضيل ما تفضل منه فكيف لا يتعبدون فيها لا يحيط به
علمهم ولا يتأتى في مقدورهم ولا يل بخواطيرهم وقد حير القوم الذين لم يكن أحد أفصح
منهم ولا أتم بلاغة ولا أحسن براعة حتى دهشوا حين ورد عليهم وولعت عقولهم ولم يكن

عندهم فيه جواب غير ضرب الأمثال والتعرض عليه والتوهم فيه وتقسيمه أقساما وجعله
عظيما وكيف لا يكون أحسن الكلام وقد قال الله تعالى الله نزل أحسن الحديث كتابا
منشأها منافي تشعير منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله
ذلك هدى الله لهدى به من يشاء من عباده ومن يضل الله فإله من هاد استغنى فهم هذه
الآية وكفالة استفد علم هذه الكلمات وقد أغناك فليس يوقف على حسن الكلام بطوله
ولا تعرف براعته بكثرة فضوله إن القليل يدل على الكثير والقريب قد يهجم بك على البعيد
ثم انه سبحانه وتعالى لما علم من عظم شأن هذه المعرفة وكبر محلها وذاهاها على أقوام ذكر في
آخر هذه الآية ما ذكره من ما بين فقال ذلك هدى الله لهدى به من يشاء فلا يعلم ما وصفنا
لك الإبهامية من العز والجليل وقال ومن يضل الله فإله من هاد وقال يضل به كثيرا
ويهدى به كثيرا وقد بسطنا لك القول رجاء فهمك وهذا المنهاج الذي رأيت ان سلكته
ياخذ بيدك ويدلك على رشدك ويغنيك عن ذكر براعته آية آية لك واعلم أن المقصد فيها
سطرناه من الآيات ومهيأه من السور والدلالات ذكر الأحسن والأكشوف
والأظهر لانا نعتقد في كل سورة ذكرناها وأضربنا عن ذكرها اعتقادا واحدا في الدلالة
على الأبجاذ والكفاية في التمتع والبرهان ولكن لم يكن بد من ذكر بعض فذكرنا ما تيسر
وقلنا فيما اتجه في الحال ونظر وإن كنا نعتقد أن الأبجاذ في بعض القرآن أظهر وفي بعض
ادق وأعمق والكلام في هذا الفصل يحى بعد هذا فاحفظ عنا في الجملة ما كررنا والسير بعد
ذلك في التفصيل اليك وحصل ما أعطيناك من العلامة ثم النظر عليك قد اعتمدنا على أن
الآيات تنقسم إلى قسمين أحدهما ما يتم بنفسه أو بنفسه فاصلته فينير في الكلام انارة
النجم في الظلام والثاني ما يشتمل على كلمتين أو كلمات إذا تأملتها وجدت كل كلمة منها في نهاية
البراعة وعناية البلاغة وانما يبين ذلك بأن تصور هذه الكلمة مضممة بين أضعا في كلام
كثير أو خطاب طويل فقرأها ما يبينها تدل على نفسها وتعلو على ما قد قرن منها العلوج حسها فاذا
ضمت إلى أخواتها وجاءت في ذواتها أرتك الصلاند منظومة كما كانت تريد عند تأمل
الأفراد منها البواقي مشورة والجواهر مبنية ولولا ما أكره من تضمين القرآن في
الشعر لأنشد تلك ألفاظا وقعت مضممة لتعلم كيف تلوح عليه وكيف ترى هيجه في أمثاله
وكيف تناز منه حتى أنه لو تأملته من لم يقرأ القرآن لتبين أنه أجنبي من الكلام الذي
تضمنه والباب الذي توسطه وأكره مكانه واستكبر موضعه ثم تناسها في البلاغة والابداع
وتعائنها في السلاسة والاعراب فما قرأها بذلك الأسلوب وتخصصها بذلك الترتيب
ثم سائر ما قد مناه كره مما نكره اعادته وأنت ترى غيره من الكلام يضطر في مجاريه

ويختلف تصرفه في معانيه ويتفاوت التفاوت الكثير في طرقة ويضيق به النطاق في مذاهبه ويرتبك في أطرافه وجوانبه ويسله للكلف الوحش كثرة تصرفه ويحمله على التصنع الظاهر موارد تنقله وتخلصه ونظم القرآن في مؤلفه ومختلفه وفي فصله ووصله وافتتاحه واختتامه وفي كل نهج يسلكه وطريق يأخذه وباب يهجم عليه ووجه يؤمه على ما وصفه الله تعالى به لا يتفاوت كما قال ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ولا يخرج عن تشابهه وتماثله كما قال قرآننا غير ذي عوج وكما قال كتابنا مشاهيا ولا يخرج عن إبانته كما قال بلسان عربي مبين وغيره من الكلام كثير التلون دائم التغير يقف بك على بديع مستحسن ويعقبه بديع مستحسن ويطلع عليك بوجه الحسناء ثم يعرض للهجر بضد القيمة الشوهاء بأتيك باللفظة المستنكرة بين الكلمات التي هي كالآتي الزهر وقد يأتيك باللفظة الحسنة بين الكلمات الهم قد يقع اليك منه الكلام المنيع والنظم المشوش والحديث المشوه وقد تجد منه ما لا يتناسب ولا يتشابه ولا يتألف ولا يتماثل وقد قيل في وصف ما جرى هذا المجرى

وشعر كبر الكبرش فرق بينه * لسان دعي في القريض دخل

وقال آخر وبعض قريض القوم ولادعة * يكذب لسان الناطق المتفط

فإن قال قائل فقد نجد في آيات القرآن ما يكون نظمته بخلاق ما وصفت ولا تميز الكلمات بوجه البراعة وإنما تكون البراعة عندك منه في مقدار يزيد على الكلمات المفردة وحده فيجاوز حد الالفاظ المستبدة وإن كان الأكثر على ما وصفته به قيل له نحن نعلم أن قوله حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم إلى آخر الآية ليس من القبيل الذي يمكن اظهار البراعة فيه وإبانة الفصاحة وذلك يجري عندنا مجرى ما يحتاج إلى ذكره من الأسماء والألقاب فلا يمكن اظهار البلاغة فيه فطلبنا في نحو هذا ضرب من الجهالة بل الذي يعتبر في نحو ذلك تنزيل الخطاب وظهور الحكمة في الترتيب والمعنى وذلك حاصل في هذه الآية أن تأملت ألا ترى أنه بدأ بذكر الأم لعظم حرمتها وادلائها بنفسها ومكان بعضيتها فهي أصل لكل من يدلي بنفسه فمنه لأن ليس في ذوات الأنساب أقرب منها ولما جاء إلى ذوات الأسباب ألحق لها حكم الأم من الرضاع لأن الهم ينشروا الذين يرضونه فيحصل بذلك أيضا لها حكم البعضية فنشر الحرمة بهذا المعنى وألحقها بالوالدة وذكر الأخوات من الرضاعة فنبه بها على كل من يدلي بغيرها وجعلها تالوا أم من الرضاع والكلام في اظهار حكم هذه الآية وفوائدها يطول ولم نضع كتابا لهذا وسبيل هذا إن تذكره في كتاب معاني القرآن أن سهل الله لنا أملاءه ووجعه فلم تنفك هذه الآية من

الحكم التي تخلف حكمة العجاز في النظم والتأليف والقائده التي تدوب مناب العدول عن البراعة في وجه الترتيف فقد علم السائل أنه لم يأت بشئ ولم يندلغ غراض في دلالات الكلام وفوائده ومتصرفاته وفنونه ومتوجهاته وقد يتفق في الشعر ذكر الاسامي فيحسن موقعه كقول أبي دؤاد الأسدي

ان يقتلوا فقد نلت عروشهم * بعثية بن الحارث بن شهاب
بأشدهم كلبا على أعدائه * وأعرهم فقدا على الأصحاب

وقد يتفق ذكر الاسامي فيفسد النظم ويقبح الوزن والآيات الاحكاميات التي لا بد فيها من أمر البلاغة يعتبر فيها من الالفاظ ما يعتبر في غيرها وقد يمكن فيها كل موضع أمكن ذلك فقد وجد في القرآن في باب ما ليس عليه من يد في البلاغة ويجيب النظم ثم في جملة الآيات ما ان لم تراع البديع البليغ في الكلمات الافراد والالفاظ الاتحاد فقد تجد ذلك مع تركيب الكلمتين والثلاث ويتردد ذلك في الابتداء والخروج والقواصل وما يقع بين الفاتحة والخاتمة من الواسطة أو باجتماع ذلك أو في بعض ذلك ما يختلف الابداع في افراد الكلمات وان كانت الجملة والمعظم على ما سبق الوصف فيه واذا عرف ما يجري اليه الكلام وينتهي اليه الخطاب ويقف عليه الأسلوب ويختص به القليل بان عند أهل الصنعة تميز بابه وانفراد سبيله وإيشك البليغ في اتقائه الى الجهة التي يفتنى اليها ولم يرتب الاديب البارع في اتسابه الى ما عرف من نهجه وهذا كما يعرف طريقه من رسل في رسالته فهو لا يخفى عليه بناء قاعدته وأساسه فكأنه يرى أنه بعد عليه مجاري حر كانه وأنفاسه وكذلك في الشعر واختلاف ضروريه يعرف المتحقق به طبع كل أحد وسبيل كل شاعر وفي نظم القرآن أبواب كثيرة لم نستوفها وقصصها بطول وعجائبها لا تنقضي فيها الكلام (٣) والاشارات واذا بلغ الكلام من هذا القليل مبلغا رجا زاد الافهام به على الايضاح أو ساوى مواقع التفسير والشرح مع استيفائه شروطه كأن النهاية في معناه وذلك كقوله سبحانه الذي أسرى بعجده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لثريه من آياتنا انه هو السميع البصير فصول هذه الآيات وكلها على ما شرحناه من قبل البلاغة واللفظ في التقديم وفي تضمن هذا الأمر العظيم والمقام الكريم ويتلو هذه قوله وآتيناه موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني اسرائيل هذا خروج لو كان في غير هذا الكلام لتصور في صورة المنقطع وقد تمثل في هذا النظم لبراعته وجيب أمره وموقعه ما لا ينقل منه القول وقد تبرا الكلام المتصل بعضهم من بعض ويظهر عليه التبيين والخلل الواقع في النظم وقد تصوره هذا الفصل لطفه وصلوا بين عليه تميز الخروج ثم انظر كيف أجرى هذا الخطاب الى ذكر

فوح وكيف أثني عليه وكيف يليق صفته بالفاصلة ويتم النظم بهامخ وروجهما يخرج
 البروز من الكلام الأول الى ذكره واجرائه الى مدحه بشكره وكونهم من ذريته يوجب
 عليهم أن يسيروا بسيرته وأن يستنوا بسنته في أن يشكروا كشكره ولا يقضوا من دون الله
 وكيلوا ولا يعتقوا تعظيم تخلصه اياهم من الطوفان لما حلهم عليه ونجاهم فيه حين
 أهلك من عاداهم به وقد عرفهم أنه انما يؤاخذهم بذنوبهم وفسادهم فيما سلط عليهم من
 قبلهم وعاقبهم ثم عاد عليهم بالفضل والاحسان حتى يتذكر واويعرفوا قدر نعمة الله عليهم
 وعلى فوح الذي ولد لهم وهم من ذريته فلما عادوا الى جهاتهم وعردوا في طغيانهم عاد عليهم
 بالعذاب ثم ذكر الله عز وجل في ثلاث آيات بعد ذلك معنى هذه القصة التي كانت لهم
 بكلمات قليلة في العدد كثيرة القوائد لا يمكن شرحها الا بالتفصيل الكثير والكلام
 الطويل ثم لم يخل تضاعف الكلام مما ترى من الموعظة على أعجب تدريج وأبداع تاريخ
 بقوله ان أحسنتم أحسنتم لانفسكم وان أسأتم فلها ولم ينقطع بذلك الكلام وأنت ترى
 الكلام يتسدد مع انصاه وينتشر مع انتظامه فكيف بالقام ليس منه في اثباته وطرح
 ما بعده في ادراجه الى أن خرج الى قوله عسى ربكم أن يرحكم وان عدتم عدنا يعني ان عدتم
 الى الطاعة عدنا الى العفو ثم خرج خروجا آخر الى ذكر القرآن وعلى هذا القس بجنتك عن
 شرف الكلام وماله من علو الشأن لا يطلب مطلب الا انفتح ولا يسلك قلبا الا انشرح ولا
 يذهب مذهبا الا استنار وأضاء ولا يضرب مضر الا يبلغ فيه السماء لا تنفع منه على فائدة
 فقدوت انها أقصى قوافدها الا قصرت ولا تظفر بحكمة فظننت انها زبدة حكمه الا وقد
 أخلت ان الذي عارض القرآن بشعر امرئ القيس لا ضل من جار أهله وأحق من
 هتقة لو كان شعره كله كالايات المختارة التي قدمناها لاوجب البراءة من قوله
 وسن كسفيك سناء وسنا * ذعرت بدلاج الهجير نهوض
 قاله الاصمعي لا أدري ما السن ولا السفيك ولا التسم وقال بعضهم السفيق أكمة وقال فيها
 له قصر بأعير وساطا نعامه * كفحل الهيمان القيصري العضوض
 وقوله عصافير وذبان ودود * وأجرا من مججلة الذباب
 وزاد في تجميع ذلك وقوعه في آيات فيها
 فقد طوقت في الآفاق حتى * رضى من الغنمة بالاياب
 وكل مكارم الاخلاق سارت * اليه همتي ونما كسائي
 وكقوله في قصيدة قالها في نهاية السقوط
 أرمن فوها كلما نيتها * كالسك فاح وظل في القدم

أفلا ترى أظعانهم بواكرا * كالغفل من شوكان حين صرام
وكان شاربها أصاب لسانه * موم يخالط جسمه بquam
وكقولهم لم يفعلوا فعل آل حنظلة • انهم جيز يتسما اثمروا
لاجيرى وفي ولا عدس * ولاست غير يحكمها الثفر
ان بنى عوف ابنتوا حسبا * ضيعه الداخون اذ غدروا
وكقولهم أبلغ شهبا وأبلغ • هسل أناك الخير مال
انار كامنكم قسلى • بخوى وسبيا كالسعالى
يعشين بين رجالنا • معترفان بجوع وهزال
ولم يقع مثل ذلك له وحده فقد قال الأعشى

فأدخلك الله برد الجنان • جذلان فى مدخل طيب
وقال أيضا فرميت غفلة عينه عن شأنه • فأصبت حبة قلبها وطعناها
وقال فى فرسه

وبأمرى للحموم كل عشيمة • بقت وتعليق ففسد كاديسنق
وقال شأومشل * شاول شل شل شول

وهذه الالفاظ فى معنى واحد وقد وقع لغير نحوه كقولهم
فأقمهت جهدا بالنازل من منى • وما سفت فيه المقادم والقمل
كيف يقال هذا فى قصيدة يقول فيها
وهل ينبت الخطى الاوشجه • وتعرس الا فى منابتها القمل
وكقول الطرماح

سوف تدنيك من ليس سبتناه • امارت بالبول ماء الكراض
السبتناه الناقة الصلبة والكراض ماء الفحل اسالت ماء الفحل مع البول فلم تعقد عليه
ولم تحمل فتضعف والمائر السائل فان قال قائل أجدك تحاملت على امرئ القيس ورايت
أن شعري متفاوت بين اللين والشراسة وبين اللطف والشكاسة وبين التوحش والاستئناس
والتقارب والتباعد ورايت الكلام الاعدل افضل والنظام المستوثق أكل وأنت تجد
البحرئ يسبق فى هذا الميدان ويقوت الغاية فى هذا الشأن وأنت ترى الكتاب يفضلون
كلامه على كل كلام ويقدمون رأيه فى البلاغة على كل رأى وكذلك تجد لابي نواس من
هجة اللفظ وديق المعنى ما يتغير فيه أهل القظ ويقدمه الشطار والطراف على كل
شاعر ويرون لنظمه روعة لا يرون لتنظيم غيره وزر جلا يتفق لسواه فكيف يعرف فضل

ماسواه عليه فالجواب ان الكلام في أن الشعر لا يجوز أن يوازن به القرآن قد تقدم واذ
كأندينا ان شعر امرئ القيس وهو كبيرهم الذي يقرن بتقديمه وشيخهم الذي يعترفون
بفضله وفائدهم الذي يأتون بهوا ما همسم الذي يرجعون اليه كيف سبيله وكيف طريق
منزلته عن منزلة نظم القرآن وانه لا يخلط بشعر مغبار ذلك النظم وهو اذا لحظ ذلك كان كما قال

فأصبحت من ليلى الغداة كاظرا * مع الصبح في اجاز نعيم مغرب

وكا قال أيضا راحت مشرقة ورحلت مغربا • ففى التقاء مشرق ومغرب

واذا كان قد أبنافى القاعدة ما علمت وفصلناك في شعره ما عرفت لم نصح الى أن نكلم على
شعر شاعرو كلام كل بليغ والقليل يدل على الكثير وقد بينا في الجملة مبادئ أساليب نظم
القرآن جميع الأساليب ومزجته علمها في النظم والترتيب وتقديمه علمها في كل حكمة
وبراعة ثم تكلمنا على التفضيل على ما شهدت ولا يبقى علينا بعد ذلك سؤال ثم نقول أنت
تعلم ان من يقول بتقديم البحرى في الصنعة به من الشغل في تفضيله على ابن الروى أو تسوية
ما بينهما ما لا يطعم معه في تقديمه على امرئ القيس ومن في طبقته وكذلك أبو نواس انما
يعدل شعره بشعر أشكاه ويقابل كلامه بكلام أضرابه من أهل عصره وانما يقع بينهم التباين
اليسير والتفاوت القليل فاما ان يظن ظان أو يتوهم متوهم أن جنس الشعر معارض
لنظم القرآن فكأنما خر من السماء قططه الطير أو تهوى به الريح في مكان محقق وانما
هى خواطر يغير بعضها على بعض ويقتدى فيها بعض ببعض والغرض الذى يرى اليه ويصح
التوافق عليه في الجملة فهو قبيل متداول وجنس متنازع عوشر دعة موروثة وطريقة مسلوكة
الأتري الى ما روى عن الحسين بن الضحاک قال أنشدت أبا نواس قصيدتي التي فيها

وشا طرى اللسان مخلق النك • ربه زان الجون بالنك

سكانه نصب كأنه غر • يكرع في بعض أنجم القلک

قال فأنشدني أبو نواس بعد أيام قصيدته التي يقول فيها

أعاذل اعتبت الامام واعتبا • وأعربت عما في الضمير وأعربا

وقلت لساقها اجزها فلم أكد • ليأبى أمير المؤمنين وأمرها

يخوزها عني عقارا ترى لها • الى الشرف الاعلى شعاعا مطبعا

اذا عجب فيها شارب القوم خلته • يقبل في داج من الليل كوكبا

قال فقلت له يا أبا علي هذه مقالته فقال أنظن انه يرى لك معنى وأما حتى فتأمل هذا الاخذ
وهذا الوضع وهذا الاتباع أما الخليع فقد رأى الابداع في المعنى فأما العبارات فانه ليست
على ما ظننه لان قوله يكرع ليس بصحيح وفيه ثقل بين وتفاوت وفيه اخلال لان القرآن لا يصح

تصور أن يكرع في نجم وأما قول أبي نواس إذا عاب فيها فكلمة قد قصد فيها التثنية وكان سبيله أن يختار سواها من الفاظ الشرب ولو فعل ذلك كان أمح وقوله شارب القوم فيه ضرب من التكاف الذي لا بد له منه أو من مثله لا طامة الوزن ثم قوله خلته يقبل في داج من الليل كوكا تشبيه بجالة واحدة من أحواله وهي أن يشرب حيث لا ضوء هناك وإنما يناوله أبلأفليس بتشبيه مستوفى على ما فيه من الوقوع والملاحاة وقد قال ابن الرومي ما هو أوقع منه وأملح وأبدع

ومفهف تمت محاسنه * حتى تجاوز منية النفس
تصبو الكؤوس إلى مرأشفه * وتجن في يده إلى الحبس
أبصرته والكأوس بين قم • منه وبين أنا مل تحس
وكأئها وكأن شاربها • فم يقبل عارض الشمس

ولاشك في أن تشبيه ابن الرومي أحسن وأعجب إلا أنه تمكن من إيراد في بيتين وهما مع سبقهما إلى المعنى أتيان في بيت واحد وانما أردت بهذا أن أعرفك أن هذه أمور متقاربة يقع فيها التناقض والتعارض والاطماع متعلقة بها والهمم تسوء إليها وهي الفطباعنا وطوع مدار كل مجانس لكلامنا وإعجاب قوم بخود هذا وما يجسرى مجراه وإثارة أقوام لشعر البهري على أبي تمام وعبد الصمد وابن الرومي وتقديم قوم كل هؤلاء أو بعضهم عليه وذهاب قوم عن المعرفة ليس بأمر يضربنا ولا سبب يعترض على أفهامنا ونحن نعد إلى بعض قصائد البهري فتسكلم عليها كما تكلمنا على قصيدة امرئ القيس ليزداد الناظر في كلنا بصيرة ويستخلص من معرفة سريرة ويعلم كيف تكون الموازنة وكيف تقع المشابهة والمقاربات فيجعل تلك القصيدة التي نذكرها أجود شعره سمعت صاحب اسماعيل بن عباد يقول سمعت أبا الفضل بن العبد يقول سمعت أبا مسلم الرستمي يقول سمعت البهري يذكر أن أجود شعره قاله أهلا بذلكم الخيال المقبل قال وسمعت أبا الفضل بن العبد يقول أجود شعره هو قوله في الشيب زجره لو كان ينزجر قال وسمعت عن ذلك فقلت البهري أعرف بشعره من غيره فحقن الآن نقول في هذه القصيدة ما يصلح في مثل هذا قوله أهلا بذلكم الخيال المقبل • فعل الذي نهوا ولم يفعل
برق سري في بطن وجرة فاهنت * بسناه أعناق الركاب الضلل
البيت الأول في قوله ذلكم الخيال تغسل روح وتطويل وحشو وغيره أصلح وأخف منه
قول الصنوبري

أهلا بذلكم الزوز من زوز • شمس يدت في فلك الدور

وعذوبة الشعر تذهب بزيادة حرف أو نقصان حرف فيصير إلى الكثرة وتعود ملاحظته بذلك مأوجه وفصاحته عياو براعته تكلفا وسلاسته تعسفا وملاسته تاويا وتعقدا فهذا فصل وفيه شيء آخر وهو أن هذا الخطاب إنما يستقيم مهمما وخطوب به الخيال حال إفاله فأما أن يحكى الخيال التي كانت وسلفت على هذه العيادة ففيه عهدة وفي تركيب الكلام عن هذا المعنى عهدة وهو لبراعته وحذقه في هذه الصنعة يعلني نحو هذا الكلام ولا يتطرق في عواقبه لأن ملاحظة قوله تعطى على عيون الناظرين فيه نحو هذه الأمور ثم قوله فعل الذي نهواه ولم يفعل ليست بكلمة رشيقة ولا لفظة نظيفة وإن كانت كسائر الكلام فأما بيته الثاني فهو عظيم الموقع في البهجة وبديع المأخذ حسن الرواء أنيق المنظر والمسمع علا القلب والفهم ويضرح الخاطر وترى بشاشته في العروق وكان البحرى يسمى نحو هذه الآيات عروق الذهب وفي نحو ما يدل على براعته في الصناعة وحذقه في البلاغة ومع هذا كله فيه ما تشرحه من الخلل مع الديباجة الحسنة والرواق المليح وذلك أنه جعل الخيال كالبرق لا شرافه في مسراه كايقال أنه يسرى كنسيم الصبابة طيب ملامره كذلك يضئ ملامره حوله وينور ملامره وهذا غلو في الصنعة إلا أن ذكره بطن وجرة حشو وفي ذكره خلل لأن التور القليل يؤثر في بطون الأرض وما الطمان منها يتخلل ما يؤثر في غيرها فلم يكن من سبيله أن يربط ذلك بطن وجرة وتحديد المكان على الحشوا أحمد من تحديد امرئ القيس من ذكر سقط الأولى بين الدخول فغول فتوضع فالقراءة لم ينعقد بذكر حد حتى حله بأربع حدود كأنه يريد يبيع المنزل فيضئ أن أخل بجسد أن يكون بيعه فاسدا أو شرطه باطلا فهذا باب ثم انما يذكر الخيال بخفاء الأثر ودقة المطلب ولطف المسلك وهذا الذي ذكر يضاد هذا الوجه ويخالف ما يوضع عليه أصل الباب ولا يجوز أن يقدر مقدراً البحرى قطع الكلام الأول وابتداء بذكر برق لمع من ناحية حبيبه من جهة بطن وجرة لأن هذا القطع ان كان فعله كان خارجا به عن النظم المجود ولم يكن مبدعاً ثم كان لا تكون فيه فائدة لأن كل برق شعل وتكرر وقع الاهتمام به في الظلام وكان لا يكون بما تنظمه بمقيدا ولا متقدما وهو على ما كان من مقصده فهو ذولفظ مجود ومعنى مستحب غير مقصود ويعلم بمنه أنه طلب عبارات وتعليق القول بالإشارات وهذا من الشعر الجنس الذي يحاول لفظه ونقل فوائده كقول القائل

ولما قضينا من منى كل حاجة • ومسح بالأركان من هو ما مسح
وشدت على حذب المهارى رحلتنا • ولا يتظر الغادى الذى هو راغ
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا • وسالت بأعناق المطى الأباطح

هذه ألفاظ بعيدة المطالع والمقاطع حاوة الجاني والمواقع قليلة المعاني والقوائد فاقول
البحر في بعد ذلك

من عادة منعت وتمنع نيلها * فلو أنما بذلت لنا لم تبذل

كالبدو غير مجبل والغصن غير ميل والدعص غير مهيل

فالبيت الاول على ما تكلف فيه من المطابقة وتجنس الصنعة ألفاظه أو فر من معانيه وكلماته
أكثر من فوائده وعلم أن القصد وضع العبارات في مثله ولو ظاهري ممنوعة مانعة كان
ينوب عن ظواهره وتكثيره الكلام وتهويله ثم هو معنى متداول مكرر على كل لسان وأما
البيت الثاني فانت تعلم أن التشبيه بالبدو والغصن والدعص أمر منقول متداول ولا
فضيلة في التشبيه بغير ذلك وإنما يبقى تشبيهه بثلاثة أشياء في البيت وهذا أيضا
قريب لأن المعنى مكرر ويبقى له بعد ذلك شيء آخر وهو تعلقه لترصيع في البيت كله الآن
هذه الاستثناءات فيها ضرب من التكلف لأن التشبيه بالغصن كاف إذا زاد فقال
كالغصن غير معوج كل ذلك من باب التكلف فلا بد وأن كان ذلك زيادة يستغنى عنها وكذلك
قوله كالغصن غير مهيل لأنه إذا انما خرج عن أن يكون مطلق التشبيه مصر وفا إليه
فلا يكون لتقييده معنى وأما قوله

ما الحسن عندك يا سعاد بحسن * فيما آناه ولا الجمال بمجمل

عذل المشوق وان من سما الهوى * في حيث تجهله لجناح العذل

قوله في البيت الاول عندك حشو وليس بواقع ولا بديع وفيه كلفة والمعنى الذي قصده
أنت تعلم أنه متكرر على لسان الشعراء وفيه شيء آخر لأنه يذكر أن حسنهم لم يحسن في تهيج
وجده وتهيم قلبه وضده هذا المعنى هو الذي يعيل اليه أهل الهوى والحب وبيت كشاحم
أسلم من هذا وأبعد من الخلل وهو قوله

بجياة حسنك أحسن وبحق من * جعل الجمال عليك وقفا اجل

وأما البيت الثاني فان قوله في حيث حشا بقوله في كلامه وقع ذلك مستكررا وحشا ناقرا
عن طبعه جافيا في وضعه فهو كقصة من جلد في ديباح حسن فهو بحسنه وبأني على
جماله ثم في المعنى شيء لأن لجناح العذل لا يدل على هوى مجبول ولو كان مجبول لم يمتدوا
للعذل عليه فلم أن المقصد استعجاب العبارات دون المعاني ثم لو سلم من هذا الخلل لم يكن
في البيت معنى بديع ولا شيء يفوت قول الشعراء في العذل فان ذلك جملهم الذلول وقولهم
المكرر وأما قوله

ماذا عليك من انتظار متيم * بل ما يضر لك وقصة في منزل

ان سبل عي عن الجواب فلم يطق * رجعا فكيف يكون ان لم يسئل
لست أنكر حسن البتين ونظر فهماء ورشاقهما ولطفهما وما هما وبهتتهما الا أن البيت
الاول منقطع عن الكلام المتقدم ضربا من الانقطاع لانه لم يجز لمشافهة العاذل ذكر وانما
جري ذكر العذل على وجه لا يتصل هذا البيت به ولا يلائم ثم الذي ذكره من الانتظار وان
كان مليحا في اللفظ فهو في المعنى متكلف لان الواقف في الدار لا ينتظر أمرا وانما يقف
تحمسا وتذلا وتخييرا والشرط الاخير من البيت واقع والاول مستعمل فيه وتعليق على أمر
لم يجزه ذلك لان وضع البيت يقتضي تقدم عذل على الوقوف ولم يحصل ذلك مذ كورافي
شعره من قبل وأما البيت الثاني فانه معلق بالاول لا يستقل الابه وهم يعيرون وقوف البيت
على غيره ويرون أن البيت التام هو المحمود والمصراع التام بنفسه بحيث لا يقف على المصراع
الا تجرأ فضل وأتم وأحسن وقوله فكيف يكون ان لم يسئل ملج جدا ولا تستمر ملاحة
ما قبله عليه ولا يطرده الماء اطراذه فيه وفيه شيء آخر لانه لا يصلح أن يكون السؤال سببا
لان يعيان عن الجواب وظاهر القول بقنضيه فأما قوله

لا تتكلف لي الدموع فان لي * دمعا ينم عليه ان لم يفضل
ولقد سكنت الى الصدود من النوى • والشرى أريا عند طم الخنظل
وكذلك طرفه حين أوجس ضربة * في الرأس هان عليه فصد الاكل

فالبيت الاول مخالف لما عليه من هبهم في طلب الاسعاد بالدموع والاسعاف بالبكاء ومخالف
لاول كلامه لانه يفيد مخاطبة العذل وهذا يفيد مخاطبة الرفيق وقد ديت لك أن القوم
يسلكون حفظ الالفاظ وتصنيعها دون ضبط المعاني وترتيبها ولذلك قال الله عز وجل
والشعراء يتبعهم الغاؤون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وانهم يقولون ما لا يفعلون فأخبر
انهم يتبعون القول حيث توجه بهم واللفظ كيف أطاعهم والمعاني كيف يتبع الفاظهم
وذلك خلاف ما وضع عليه الابانة عن المقاصد بل الخطاب ولذلك كان طلب القصاص فيه
أسهل وأمكن فصار بهذا أبلغ خطا بهم ثم لو أن هذا البيت وما يتلوه من البتين سلم من
نحو هذا لم يكن في ذلك شيء يغوت شعر شاعرا أو كلام متكلم أو ما قوله والشرى أرى فانه
وان كان قد تصنع له من جهة الطباق ومن جهة التنبيس المقارب فهي كلمة ثقيلة على
اللسان وهم يذمون نحو هذا كما عاوا على أبي تمام قوله

كريم متى أمدحه أمدحه والورى معي • ومتى مائته لمئته وحيدى

ذكر لي صاحب بن عباد أنه جاري أبا الفضل بن العمد في محاسن القصيدة حتى انتهى الى
هذا البيت فذكره أن قوله أمدحه أمدحه معيب لثقله من جهة تدارك الحروف الخلق ثم

رايت بعد ذلك المتقدمين قد تكلموا في هذه النكتة فعملت أن ذلك شئ عند أهل الصناعة معروف ثم ان قوله عند كل الخنظل ليس بحسن ولا واقع وأما البيت الثالث فهو أجنبي من كلامه غريب في طباعه ناظر من جملة شعره وفيه كرازة وبغاجة وان كان المعنى صالحا فأما قوله

وأعز في الزمن الهمم عجبل • قد رحت منه على أغر عجبل

كألهيكل المبني الآنه • في الحسن جاء كصورة في هيكل

فالبيت الاول لم يتفوق فيه خروج حسن بل هو مقطوع عما سلف من الكلام وبإضافة خروجه نحو هذا وهو غير بارع في هذا الباب وهذا مذموم معيب منه لأن من كان صناعته الشعر وهو يأكل به ويتغافل عما يرفع اليه في كل قصيدة واستهان بأحكامه وتجويد مع تتبعه لأن يكون عامة ما يصدر به اشعاره من النسيب عشرة أبيات وتبعية للصناعة الكثيرة وتركيب العبارات وتنقيح الالفاظ وتزويرها كان ذلك أدخل في عيبه وأدل على تقصيره أو قصوره وأنه لا يقع الخروج منه وأما قوله وأعز في الزمن الهمم عجبل فان ذكر التعجبل في المدح قريب وليس بالجيد وقد يمكن أن يقال انه اذا قرن بالاغر حسن وجرى مجراه وانخرط في سلكه وأهوى الى مضماره ولم ينكر لكأنه من جواره فهذا عذر والعدول عنه أحسن وإنما أراد أن يرد الجوز على الصدور يأتي بوجه في التبعيض وفيه شئ لان ظاهر كلامه يوهم أنه قد صار منطى الاغر الاول وراشعا عليه ولو سلم من ذلك لم يكن فيه ما يفوت حيدود الشعراء وأما قول الناس فأما ذكر الهيكل في البيت الثاني ورده بحز البيت عليه ونظنه أنه قد ظفر بهذه اللفظة وعمل شيئا حتى كررها فهي كلمة ثاقلة ونحن نجد هم اذا أرادوا أن يصنعوا نحو هذا قالوا ما هو الا صورة وما هو الا تمثال وما هو الا دمية وما هو الا طيبة ونحو ذلك من الكلمات الخفيفة على القلب واللسان وقد استدرج هو ايضا على نفسه فذكر أنه كصورة في هيكل ولو اقتصر على ذكر الصورة وحذف الهيكل كان أولى وأجمل ولو أن هذه الكلمة كررها أصحاب الغزاة على الشياطين لراعوهم بها وأعزعوهم بذكرها وذلك من كلامهم وشبيه بصناعتهم وأما قوله

واقى الضار عشد عقد حزامه • يوم اللقاء على مم مخول

أخواله للرسقين بفارس • وجسدوده للتبعين بموكل

نبيل الحزم عما يدح به الخيل فهو لم يأت فيه يديع وقوله يشد عقد حزامه داخل في التكافف والتعسف لا يقبل من مثله وان قبلناه من غيره لانه يتبع الالفاظ وينقصد لها تنقيدا شديدا فهلا قال يشد حزامه أو يأتي بحشو آخر سوى العقد فقد عقد هذا البيت بذكر العقد ثم قوله

يوم اللقاء حشواً آخر لا يحتاج اليه وأما البيت الثاني فعنناه أصح من ألفاظه لأنها غير مجانسة لطباعه وفيها غلط ونقار وأما قوله

يهوى كآهوى العقاب وقد رأت • صيداً وينقض انقضاء الاجدل
متوجس برقيقتين ككأنما • تريان من ورق عليه موصل
ما ن يعاف قذى ولو أوردته • يوماً خلا ثق جدويه الاحول

البيت الاول صالح وقد قاله الناس ولم يسبق اليه ولم يقل ما لم يقلوه بل هو منقول وفي سرعة عدو الفرس تشبهات ليس هذا بأدعها وقد يقولون يفوت الطرف ويسبق الريح ويجارى الوهم ويكر النظر ولولا أن الاتيان على محاسن ما قالوه في ذلك يخرج الكلام عن غرض الكتاب نقلت لك جملة مما ذهبوا اليه في هذا المعنى فتتبع تعلم أنه لم يأت فيها بما يحل عن الوصف أو يفوت منتهى الحد على أن الهوى يذكر عند الانقضاء خاصة وليس للفرس هذه الصفة في الحقيقة إلا أن شبهه جده في العدو بحالة انقضاء البازي والعقاب وليست تلك الحالة بأسرع أحوال طيراتها وأما البيت الثاني فقوله ان الاثنين كلتهما من ورق موصل وإنما أراد بذلك حدثهما وسرعة جرهما واحساسهما بالصوت كما يحس الورق بخفيف الريح وظاهر التشبيه غير واقع وإذا ضمن ما ذكرنا من المعنى كان المعنى خسناً ولكن لا يدل عليه اللفظ وإنما يجري مجرى المضمن وليس هذا البيت برائق اللفظ ولا مشاكلياً فيه لطيفة غير قوله متوجس برقيقتين فإن هذا القدر هو حسن وأما البيت الثالث فقد ذكرنا فيما مضى من الكتاب أنه من باب الاستطراد ونقلنا نظراً لذلك من قول أبي تمام وغيره وقطعة أبي تمام في نهاية الحسن في هذا المعنى والذي وقع له ترويض في هذا البيت عندى ليس بجيد في لفظ ولا معنى وهو بيت وحش جداً قد صار قذى في عين هذه القصيدة بل وخزافها وبالاعلمها قد كدر صفاءها وأذهب بها ماءها وطمس بظلمته سناها وما وجه مدح الفرس بأنه لا يعاف قذى من المياه إذا وردها كأنه أراد أن يسلك مسلك بشار في قوله ولا يشرب الماء إلا بدم وإذا كان لهذا الباب محتاجاً براع هذا السمت بعيداً فلهذا وصفها بعزة الشرب كما وصفها المتنبي في قوله

وصول الى المستصعبات بخيله • فلو كان قرن الشمس ماء لا وردها

وهلا سلك فيه مسلك القائل

واني لما الذى شابه القذى • إذا كثرت وراده لعيوف

ثم قوله ولو أوردته يوماً حشواً بارد ثم قوله جدويه الاحول وحش جداً فاما مقت هذا البيت وأنبضه وما أنقله وأمحقه وإنما أعطى على عينه عيبه وزينه إرادته طمعه في الاستطراد

وهلا طمع فيه على وجه لا يفيض من هجة كلامه ولا معنى ألفاظه فقد كان يمكن ذلك ولا يتعذراً ما قوله

ذنب كما يحب الرداء يذب عن * عرف وعرف كالقناع السبل
توهم الجوزاء في ارساغه * والبدر فوق جبينه المتهلل
فالبيت الاول وحش الابتداء منقطع عما سبق من الكلام وقد ذكرنا انه لا يمتدى لوصل
الكلام وقطام بعضه الى بعض وانما يتصنع لغير هذا الوجه وكان يحتاج أن يقول ذنب
كالرداء فقد حذف الوصل غير متسق ولا مليح وكان من سبيله أن لا يخفى عليه ولا يذهب
عن مثله ثم قوله كما يحب الرداء فيج في تحقيق التشبيه وليس بواقع ولا مستقيم في العبارة
الا على اضمحار أنه ذنب يسعبه كما يحب الرداء وقوله يذب عن عرف ليس بحسن ولا صادق
والمجود ما ذكره امرؤ القيس وهو قوله (فوق الارض ليس بأعزل)

وأما قوله (توهم الجوزاء في ارساغه) فهو تشبيه مليح ولكنه لم يسبق اليه ولا انفرد به ولو
نسخت لك مائة الشعر افي تشبيه الغرة بالهلال والبدر والنجم وغير ذلك من الامور
وتشبيه الجول لتجبت من بدائع قد وقعوا عليها وامور مليحة قد ذهبوا اليها وليس ذلك
موضع كلامنا فتبصع ذلك في اشعارهم تعلم ما وصفت لك واعلم اننا تركنا بقية كلامه في وصف
الفرس لانه ذكر عشرين بيتا في ذلك والذي ذكرناه في هذا المعنى يدل على ما بعده ولا يعدو
ما تركناه أن يكون متوسطا الى حد لا يفوت طريقة الشعراء ولو تشبعت أطواريل الشعراء في
وصف الخيل علت انه وان جمع فأوعى وحشر فنادى ففهم من سبقه في مبداه ومنهم من
ساواه في شأوه ومنهم من داناها فالقيسل واحد والنسيج منشا كل ولولا كراهة التطويل
لنقلت جملة من اشعارهم في ذلك لتقف على ما قلت فجاوزنا الى الكلام على ما قاله في المدح
في هذه القصيدة قال

لمجدن على الشرف الذي • لا يلفظ الجوزاء الامن على
ومعابة لولا تتابع مرئها • فينا لراح المزن غير مبطل
والجود يعنه عليه حاتم * سرفا ولا جود لن يعذل

البيت الاول منقطع عما قبله على ما وصفناه شعره من قطعه المعاني وفصله بينها وقلة تأنيه
لجويد الخروج والوصل وذلك نقصان في الصناعة وتخلف في البراعة وهذا اذا وقع في
مواضع قليلة عذر فيها وما اذا كان بناء الغالب من كلامه على هذا فلا عسره وأما المعنى
الذي ذكره فليس بشئ مسبق اليه وهو شئ مشترك فيه وقد قالوا في نحوه وان مجده سماء
السماء وقالوا في نحوه الكثير الذي يصعب نقل جميعه وكأما المتنبي

وعزمة بعثتاهمة زحل • من تحتها يمكن الترب من زحل
وحدثني اسمعيل بن عباد أنه رأى أبا الفضل بن العبد قام لرجل ثم قال إن حضرة أندري من
هذا هو الذي قال في أبيه الجعري (محمد بن القاسم الشرف الذي) فذلك يدل على استظامه
لبيت بما مدح به من البيت والبيت الثاني في تشبيه جوده بالصواب قريب وهو حديث
مكرر ليس ينفك مدح شاعر منه وكان من تنبيهه أن يبدع فيه زيادة يداع كما قد يقع لهم
في نحو هذا ولكنه لم يصنع له وأرسله أرسالا وقد وقع في المصراع الثاني ضرب من الخلل
وذلك أن المرنانما يضل إذا منع نيله فذلك موجود في كل نيل ممنوح وكلاهما محمود مع
الامعان فإن أسعف أحدهما لم يمنع الآخر لم يمكن التشبيه وإن كان انما شبه غالب أحدهما
بالآخر ذكر قصورا أحدهما عن صاحبه حتى أنه قد يضل في وقت والآخر لا يضل بحال
فهذا جيد وليس في حل الالفاظ على الإشارة إلى هذائني والبيت الثالث وإن كان معناه
مكررا فلفظه مضطرب بالتأخير والتقديم يشبه الفاظا المبتدئين وأما قوله
فضل واقضال وما أخذ المدي • بعد المدي كالفاضل المتفضل
سارا إذا دلج العفاة إلى الندى • لا يصنع المعروف غير مجهل
فالبيت الأول منقطع عما قبله وليس فيه شيء غير التجنيس الذي ليس به مدح لشكره على
كل لسان وقوله ما أخذ المدي فانه لفظ ملج وهو كقول القائل
قد اركب الآلة بعد الآلة • وروى الحالة بعد الحالة
وكقول امرئ القيس (سبحان الماء على حال)
ولكنها طريقة مذكاة فهو فيها تابع وأما البيت الثاني فقريب في اللفظ والمعنى وقوله
لا يصنع المعروف ليس بلفظ محمود وأما قوله
عال على نظر الحسود كأنما • جذبه أفراد النجوم بأجل
أو ما رأيت المجد التي رحله • في آل طلبة ثم يهول
فالبيت الأول منسكرا جدا في جر النجوم بالارسان موضعه إلى العلو والتكاف فيه واقع
والبيت الثاني أجنبى عنه بعيد منه واقتراحه ردى وما وجه الاستفهام والتعريض
والاستنباط والتوقيف والبيتان أجنبيان من كلام مغربيان في قصيدته لم يقع في المدح
في هذه القصيدة شيء جيد إلا ترى أنه قال بعد ذلك
نفسى قد اوك يا محمد من قى • يوفى على ظلم الخطوب فتنبلي
اني أريد أبا سعيد والعدى • بيني وبين صحابه المهلل
كأن هذا ليس من طبعه ولا من سبكه وقوله

مضر الجزيرة كلها وبيعته الد * خاور توعده وأرد الموصل
 قد جدت بالطرف الجواد ثنته * لأخيك من أددائك بمنصل
 البيت الاول حسن المعنى وان كانت ألفاظه بذكر الأما كن لا يتأتى فيه التحسين وهذا
 المعنى قد يمكن إرادته بأحسن من هذا اللفظ وأبدع منه وأرق منه كقوله
 اذا غنبت عليك بنو عيم * رأيت الناس كلهم غضايا
 والبيت الثاني قد تضرع عليه وصله بما سبق من الكلام على وجه يلفظ وهو قبيح اللفظ
 حيث يقول فيه فنته لأخيك من أددائك ومن أخذه بهذا التعرض لهذا السجع وذكر
 هذا النسب حتى أقسده بشعره وأملقوله بعد ذلك في وصف السيف يقول
 يتناول الروح البعيد منالها • عفاو يفتح في القضاء المقل
 بابانة في كل حنف منظم • وهداية في كل نفس مجمل
 ماض وان لم يمه يد فارس * بطل ومصفول وان لم يصل
 ليس لفظ البيت الاول بعناء لبياجة شعره ولا بهجسة تظلمه لظهور أثر التكلف عليه
 وتبين ثقل فيه • وأما القضاء المفضل وقته فكلام غير محمود ولا مرضى واستعارة لو لم
 يستعرها كانت أولى به وهلا عيب عليه كما عيب على أبي تمام قوله
 فضربت الشنافة أخدعيه • ضربة غلارته عودا ركوبا
 وقالوا يستغنى بهذه الاستعارة أن يصنع في أخدعيه وقد اتبعه الجعري في استعارة الاخدع
 ولو ما يتابعه فقال في القمح
 وافي وقد بلغتني الشرف العلا * واعتقت من ذل المطامع أخدعي
 ان شيطانه حيث زين له هذه الكلمة تابعه حين حسن عنده هذه اللفظة فحيث ما وردى
 معاندا أراد أن يطلق أعنة الذم فيه وصرح بجيوش العتب اليه ولم يفتح بقفل القضاء
 حتى جعل للحنف ظلمة تجلى بالسيف وجعل السيف هاديا في النفس المجهل الذي لا يمتدى
 اليه وليس في هذا مع تحسين اللفظ وتنبه شئ لان السلاح وان كان معيبا فانه يمتدى الى
 النفس وكان يجب أن يبدع في هذا ابداع المنبى في قوله
 كان الهام في الهياج عيون * وقد طبعت سيوفك من رقاد
 وقد صغت الاسنة من هدم * فما يحطرن الا في نؤاد
 فلا هتداء على هذا الوجه في التشبيه يبدع حسن وفي البيت الاول شئ آخر وذلك أن
 قوله ويفتح في القضاء في هذا الموضع حشوردي يلحق بصاحبه الكثرة ويلزمه الهجعة
 وأما البيت الثالث فانه أصح هذه الابيات وان كان ذكر الفارس حشاوا تكلفا ولغو لان

هذا لا يتغير بالفارس والراجل على أنه ليس فيه بديع وأما قوله

يفشى الوغى والترس ليس بجنة * من حده والدرع ليس بمقل

مصغ إلى حكم الردا فإذا مضى * لم يلتفت وإذا قضى لم يعدل

متوقد يرى بأول ضربة * ما أدر كتولو أنها في يذبل

البيتان الأولان من الجنس الذي يكثر كلامه عليه وهي طريقته الذي يجتنبها وذلك من

السبك الكافي والكلام المعتدل لأنه لم يبدع فيها بشئ وقد زيد عليه فيها ومن قصد إلى

أن يكمل عشرة أبيات في وصف السيف فليس من حكمه أن يأتي بأشياء متقولة وأما ور

مد كورة وسيله أن يغرب ويبدع كأبدع المتنبي في قوله

سله الركن يعدوهن يغد * قصدى للثبت أهل الجاز

هذان باب صفاته وأضوائه وكثرة ما هو كقول

ريان لو قذف الذي أسقيته * لجرى من المهجات بحر مزيد

وقوله مصغ إلى حكم الردى أن تأملته مقلوب كان ينبغي أن يقول يصنى الردى إلى حكمه

كما قال الآخر (فالسيف يأمر والافئدة تلتظر)

وقوله وإذا قضى لم يعدل متكرر على ألسنتهم في الشعر خاصة في نفس هذا المعنى والبيت

الثالث سليم وهو كالاولين في خلوه عن البديع فأما قوله

فاذا أصاب فكل شئ مقتل * وإذا أصيب فإله من مقتل

وكأنما سود النبال وجرها * دبت بأيد في قراء وأرجل

البيت الاول يقصده به صنعة اللفظ وهو في المعنى متماوت لان المضرب قد لا يكون مقتلاً

وقد يطلق الشعراء ذلك ويرون أن هذا أبدع من قول المتنبي وأنه بضده

يقتل السيف في جشم القتيل به * وليسوف كاللناس آجال

وهذه طريقة لهم يتقدمون بها في قصف الرمح طعنا وطمع السيف ضربا وفي قوله وإذا

أصيب فإله من مقتل تصف لانه يريد بذلك أنه لا يتكسر فالتعبير عما عبر به عن المعنى الذي

ذكرناه يتضمن التكلف وضربا من المحال وليس بالنادر والذي عليه الجملة ما حكينا

عن غيره ونحوه قال بعض أهل الزمان

يقصف في الفارس السهمى وصد * ر الحسام فريقا فريقا

والبيت الثاني أيضا هو معنى مكرر على ألسنة الشعراء وأما تصنيعه بسود النبال وجرها

فليس بشئ ولعله أراد بالجر النثر والتفصيل بارد والاعراب به منكرو وهو كالحكى عن

بعضهم أنه قال كان كذا حين كانت التريا يجذع أرمي على سواء ومغبر فاقدر شبرا ونصف

شبرا أو أصبع أو ما يقارب ذلك فليل هذا من الورع الذي يبعثه الله ويعتقه الناس ورب
زيادة كانت نقصا ووصفه الفل بالسواد والجره في هذا من ذلك الجنس وعليه خرج بقية
البيت في قوله (دبت بأيدى قراه وأرجل)
وكان يكفي ذكر الأرجل عن ذكر الأيدي ووصف الفرند عبد الفل نثي لا يشد عن
أحد منهم وأما قوله

وكان شاهره اذا استضوى به الز * حقان يعصى بالسماك الاعزل
جاءت جماله القديمة بقيلة • من عهد عاد غصة لم تذبل
البيت الاول منه ما فيه ضرب من التكلف وهو منقول من أشعارهم والفاظهم وانما يقول
بحرشد على الرجال يكو كيب فعل ذلك الكوكب السماك واحتاج الى أن يجعله أعزل
للقافية ولو لم يمتحج الى ذلك كان خيرا له لان هذه الصفة في هذا الموضع تقضه من الموضع
وموضع التكلف الذي ادعيناه الحشو الذي ذكره من قوله اذا استضوى به الزحقان
وكان يكفي أن يقول كأن صاحبه يعصى بالسماك وهذا وان كان قد تعلل فيه للفظ فهو
لغو على ما بينا وأما البيت الثاني ففيه لغو من جهة قوله جماله قديمة ولا فضيلة له في ذلك ثم
تشبيه السيف بالبيلة من تشبيهات العامة والكلام الرذل النذل لأن العامة قد يتفق منها
تشبيه واقع حسن ثم انظر الى هذا المقطع الذي هو الي أشبه منه بالفصاحة والى السكنة
أقرب منه الى البراعة وقد بينا أن مراعاة القوافي والخواتم والمطالع والمقاطع والفصل
والوصل بعد صحة الكلام ووجود الفصاحة فيه مما لا بد منه وان الاخلال بذلك يخل بالنظم
وينهبر رونقه ويحيل سحره ويأخذ ماءه ويهاده وقد أطلت عليك فيما نقلت وتكلف
ما سطر لان هذا القبيل قليل موضوع متعل مصنوع وأصل الباب في الشعر على أن
ينظر الى جملة القصيدة ثم تعمل الالفاظ ولا ينظر بعد ذلك الى مواقعها ولا يتأمل مطارحها
وقد قصدت اارة الى تحقيق الاغراض وتصوير المعاني التي في النفوس ولكنه يلحق بأصل
بابه ويميل بك الى موضعه وبموجب الاهتمام بالصنعة يقع فيها التفاضل وإن أردت أن
تعرف أوصاف الفرس فقد ذكرت لك أن الشعراء قد تضرعوا في ذلك بما يقع اليك ان كنت
من أهل الصنعة مما يطول على نقله وكذلك في السيف وذكر لي بعض أهل الادب أن
أحسن قطعة في السيف قول أبي الهول الجبري

حار مصامة الزبدي من • بين جميع الانام موسى الامين
سيف عمرو وكان فيها ممعنا • خير ما طبقت عليه الجفون
أنضرا اللون بين رديه حد • من ذعاني تيمس فيه المتبون

أوقدت فوقه الصواعق نارا • ثم شابت له الذنابق القيون
 فاذا ما شهته بهر الشم • من ضياء فلم تكذب تبين
 يستطير الابصار كالقوس المشعل لا تستقيم فيه العيون
 وكان القرد والرونق الجا • رى في صفحته ماء معسین
 نعم مخراق ذى الحفيظة في الهی • جاء يصحى به ونعم القرين
 ما يبالى اذا انتاه لضرب • أشمال سبط به أم يمين
 وانما يوازن شعر البصري بشعر شاعر من طبقته ومن أهل عصره ومن هوى مضماره أوفى
 منزله ومعرفته أجناس الكلام والوقوف على أمراره والوقوف على مقداره شئ وان كان
 عز زوا أمر وان كان بعيدا فهو سهل على أهله مستعيب لا يحابه مطيع لا يراه به يتعدون
 الحروف ويعرفون الصروف وانما يتقى الشبهة في ترتيب الحال بين البصري وأبي تمام
 وابن الرومي وغيره ونحن وان كنا نقض البصري يدينا جعشعده على ابن الرومي وغيره
 من أهل زمانه وتقدمه بحسن عبارته وسلاسة كلامه وعذوبة ألفاظه وقلة تبعد قوله
 والشعر قبيل ملتقى مستدرك وأمر يمكن منطبع ونظم القرآن عال عن أن يعلى به الوهم
 أو يسعوا إليه الفكر أو يطعم فيه طامع أو يطلب به طالب لا يأتیه الباطل من بين يديه ولا من
 خلفه تنزل من حكيم جيلو كنت قد ذكرت لك قبل هذا ان كنت بصنعة علم اللسان
 متدبرا وفيه متوجها متقدما ما أمكنك الوقوف على ما ذكرناو النفوذ فيها وصفنا والافاجلس
 في مجلس المتفلسدين وارضى عواقف المتعبرين ونصحت لك حيث قلت انظر هل تعرف
 عروق الذهب ومحاسن الجوهر وبدائع الياقوت ودقائق الصخر من غير معرفة بأسباب
 هذه الامور ومقدماتها وهل يقطع سميت السلا من غير اهنداء فيها ولكل شئ طريق
 يتوصل اليه به وباب يؤخذ نحوه فيه ووجه يؤق منه ومعرفة الكلام أشد من المعرفة
 بجميع ما وصفت لك وأغص وأدق والطف وتصوير ما في النفس وتسكيك ناقي القلب
 حتى تعلمه وكأنتك مشاهده وان كان قد يقع بالاشارة ويحصل بالدلالة والامارة كما يحصل
 بالنطق الصريح والقول النصيح فلا شارات أيضا من انب والسان منازل رب وصف يصور
 لاث الموصوف كما هو على جهته لا خلف فيه ورب وصف ربو عليه ويتعداه ورب وصف
 يقصر عنه ثم اذا صدق الوصف انقسم الى صحة واتقان وحسن واحسان والى اجمال وشرح
 والى استيفاء وتقريب والى غير ذلك من الوجوه وكل مذهب وطريق وله باب وسبيل
 فوضف الجملة الواقعة كقوله تعالى لو اطلعت عليهم لوليت منهم قرارا ولملت منهم رعبا
 والتفسير كقوله ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا

الى آخر الآيات في هذا المعنى وكهو قوله يا أيها الناس اتقوا ربكم ارزلة الساعة شئ
عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس
سكارى وهم بسكارى ولكن عذاب الله شديد بهذا مما يصور الشئ على جهته ويمثل
أحوال ذلك اليوم وما يصور لك الكلام الواقعي في الصفة كقوله حكاية عن السحر لما
توعدهم فرعون عما وعدهم به حين آمنوا طأوا انالي ربنا المنقلبون انانطمع أن يغفر
لنار بنا خطايانا ان كأول المؤمنين وقال في موضع آخر انالي ربنا منقلبون وما تنقسم منا
الآن آمنابايات ربنا لما جاءتنا فرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين وهذا ينبغي عن كلام
الحزين لما ناله الجازع لما مسه ومن باب التسخير والتكوين قوله تعالى انما أمره اذا أراد
شيئاً أن يقول كن فيكون وقوله قلنا لهم كوفوا قرعة خاسئين وكقوله فأوحينا الى موسى
أن اضرب بعصاك البحر فاطلق فكان كل فرق كالطود العظيم وتقصي أقسام ذلك بما
يطول ولم أقصد استيفاء ذلك وانما ضربت لك المثل على عاذرت لتستدل وأثمرت اليك بما
أثمرت لتأمل وانما اقتصرنا على ذكر قصيدة البعري لأن الكتاب يفضلونه على أهل دهره
ويقدمونه على من في عصره ومنهم من يدعي له الإيجاز علواً ويزعم أنه يناغي النجم في قوله علواً
والمقدمة نستظهر بشعره وتسكت بقوله وندي كلامه من شهابهم وعبارة مضافا الى
ما عندهم من ترهاتهم فبينما قد ورد جنته وموضع ريقه وحده كلامه وهبات أن يكون
المطموح فيه كالأبوس منه وأن يكون الليل كالتهار والباطل كالحق وككلام رب
العالمين ككلام البشر فان قال قائل فقد قدح المحدث في نظم القرآن وادعى عليه الخل
في البيان وأضاف اليه الخطأ في المعنى واللفظ وقال ما قال فهل من فصل قبل الكلام على
مطاعن المحدث في القرآن عما قد سبقنا اليه وصنف أهل الأدب في بعضه فكفوا وأتى
المسكمون على ما وقع اليهم ففسحوا ولولا ذلك لاستقصينا القول فيه في كتابنا وأما الغرض
الذي صنفنا فيه في التفصيل والكشف عن إيجاز القرآن فلم نجد على التقريب الذي
قصدنا وقد رجونا أن يكون ذلك مغنياً واقفاً وان سهل الله لنا ما نوينا من املاء معاني
القرآن ذكرنا في ذلك ما يشبهه من الجنس الذي ذكرناه لأن أكثر ما يقع من الطعن عليه
فانما يقع على جهل القوم بالمعاني أو بطريقة كلام العرب وليس ذلك من مقصود كتابنا
هذا وقد طال النبي صلى الله عليه وسلم فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على
خلقه وقد قصدنا فيما أملينا الاختصار ومهدنا الطريق فن كل طبعه للوقوف على
فضل أجناس الكلام استدرك ما بيننا ومن تعذر عليه الحكم بين شعري والفرزدق
والأخط والحكم بين فضل زهير والنابغة أو الفضل بين البعري وأصحابه ولم يعرف مصنف

مسيلة في ظلمه ولم يعلم أنه من الباب الذي هزأ به ويسخر منه كشرأي العيس في جملة
الشعر وشعر على بن صلاه فكيف يمكنه النظر فيما وصفنا والحكم على ما بينا فان قال قائل
فاذ كرلنا من هؤلاء الشعراء الذين سميتهم الاشعر والأبلغ قبل له هذا أيضا خارج عن غرض
هذا الكتاب وقد تكلم فيه الأديباء ويحتاج أن يجلد لنحو هذا كتاب ويفرده باب وليس من
قبيل ما نحن فيه بسبيل وليس لقائل أن يقول قد يسلم بعض الكلام من العوارض والعيوب
ويبلغ أمد في الفصاحة والنظم العجيب ولا يبلغ عندكم حد المجهز فلم قضيت عاقبتهم به
في القرآن دون غيره من الكلام وانما لم يصح هذا السؤال وما نذكره من اشعار في نهاية
الحسن وخطب ورسائل في غاية الفضل لا نقدر بينا أن هذه الأجناس قد وقع النزاع فيها
والمسامحة عليها والتناقض في طرقها والتنافر في بابها وكن البون بين البعض والبعض في
الطبقة الواحدة قريبا والتفاوت خفيفا وذلك القدر من السبق ان ذهب عند الواحد لم
يأس منه الباقي ولم ينقطع الطمع في مثله وليس كذلك سميت القرآن لأنه قد عرف أن
الوهم ينقطع دون مجاراته والطمع يرضع عن مباراته ومسامحته وأن الكل في العجز عنه على
حد واحد وكذلك قد يزعم زاعمون أن كلام الجاحظ من السميت الذي لا يؤخذ فيه والباب
الذي لا يذهب عنه وأنت تجد قوما يرون كلامه قريبا ومنهاجه معيبار نطاق قوله ضيقا حتى
يستعين بكلام غيره ويضغ الى ما يوشع به كلامه من بيت سائر ومثل نادر وحكمة مهيمة
منقولة وقصة عجيبه مأثورة وأما كلامه في أثناء ذلك فسطور قليلة وألفاظ بسيرة فاذا
أحوج الى تطويل الكلام خاليا عن نبي يستعين به فيلظ بقله من قول غيره كان كلاما
ككلام غيره فان أردت أن تحقق هذا فانظر في كتبه في نظم القرآن وفي الرد على النصارى
وفي خبر الواحد وغير ذلك مما يجري هذا الجرى هل تجد في ذلك كلمورة تشغل على نظم
بديع أو كلام ملج على أن متأخرى الكتاب قد نازعوه في طريقته وجاذبوه على منهجه فهم
من ماواه حين ساماه ومنهم من أبر عليه اذ باراه هذا أبو الفضل بن العبد قد سلك مسلكه
وأخذ طريقه فلم يقصر عنه ولعله قد بان تقدمه عليه لأنه يأخذ في الرسالة الطويلة
فيستوفى فيها على حدود مذهبه ويكملها على شروط صنعتها ولا يقتصر على أن يأتي بالأسطر
من نحو كلامه كما ترى الجاحظ يفعل في كتبه متى ذكر من كلامه سطرا أتبعه من كلام
الناس أوراها واذا ذكر منه صفحة بنى عليه من قول غيره كتابا وهذا يدل على أن الشيء
إذا استحسن أتبع وإذا استملح فسله وتعدو هذا الشيء يرجع الى الأخذ بالفضل
والتنافس في التقدم فالوكان في مقدور البشر معارضة القرآن لهنا الغرض وحده
لكنهم لا يسمو لو كانوا غرضوه لتوصلوا الى تكذيبه ثم الى قطع الحامسين دونه عنه

أو تنفيرهم عليه وادخال الشبهات على قلوبهم وكان القوم يكتفون بذلك عن بذل النفوس ونصب الأرواح والأخطار بالأموال والذرائع في وجه عداوته ويستغنون بكلام هو طبعهم وعادتهم وصناعتهم عن محاربته وطول مناقضته ومجادلته وهذا الذي عرضناه على قلبك يكفي أن هديت لرشدك ويشفي أن دلت على قصدك ونسأل الله حسن التوفيق والعصمة والتسديد أنه لا معرفة إلا بهدايته ولا عصمة إلا بكفايته وهو على ما يشاء قدير وحسبنا الله ونعم الوكيل

(* فصل *)

فإن قال قائل قد يجوز أن يكون أهل عصر النبي صلى الله عليه وسلم قد عجزوا عن الأتيان بمثل القرآن وإن كان من بعدهم من أهل الأعصار لم يعجزوا قبل هذا سؤال معروف وقد أجيب عنه بجوه منها ما هو صواب ومنها ما فيه خلل لأن من كان يجيب عنه بأنهم لا يقدرون على معارضته في الأخبار عن الغيوب أن قدروا على مثل نظمه فقد سلم المسئلة لا نذكر أن نظمه معجز لا يقدر عليه فإذا أجاب بما قدمناه فقد وافق السائل عن مراده الوجه أن يقال فيه طرق منها أنا إذا علمنا أن أهل ذلك العصر كانوا عاجزين عن الأتيان بمثله فن بعدهم أعجز لأن فصاحة أوائلك في وجوه ما كانوا يفتنون فيه من القول بما لا ينفع عليه فصاحة من بعدهم وأحسن أحوالهم أن يقاربوهم أو يساووهم فاما أن يتقدمهم أو يسبقوهم فلا ومنها أنا قد علمنا عجز أهل سائر الأعصار كعلمنا عجز أهل العصر الأول والطريق في العلم بكل واحد من الأمرين طريق واحد لأن التصدي في الكل على جهة واحدة والتناقص في الطباع على حدوا والتكلف على منهاج لا يختلف ولذلك قال الله تبارك وتعالى قل لئن اجتمعت الأنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا

فصل في التصدي

يجب أن نعلم أن من حكم المعجزات إذا ظهرت على الأنبياء أن يدعوها بها من دلائلهم وآياتهم لأنه لا يصح بعثة النبي من غير أن يوثق دلائله بآياته لأن النبي لا يقهر من الكاذب بصورته ولا يقول نفسه ولا بشئ آخر سوى البرهان الذي يظهر عليه فيستدل به على صدقه فإذا ذكر لهم أن هذه آيتي وكانوا عاجزين عنها صحت ما ادعاه ولو كانوا غير عاجزين عنها لم يصح أن يكون برهانه وليس يكون ذلك معجزا بأن يتقدمهم إلى أن يأتوا فإذا تحداهم وبأن يعجزهم صار ذلك معجزا وإنما احتج في باب القرآن إلى التصدي لأن من الناس من لا يعرف كونه معجزا فاعلموا أن المعجزات بطريقه لأن الكلام المعجز لا يتميز من غيره بحر وقهوصورته وإنما يحتاج إلى علم وطريق يتوصل به إلى معرفة كونه معجزا فإن كان لا يعرف بعضهم إيجازه فيجب أن يعرف هذا حتى يمكنه أن يستدل به ومتى رأى أهل ذلك

اللسان قد عجز واعنه بأجمعهم مع التعدي اليه والتقرير به والتكليم منه صار حينئذ بمنزلة من رأى اليد البيضاء و انقلاب العصا بما تلتقف ما يافكون وأما ما كان من أهل صنعة العربية والتقدم في البلاغة ومعرفة فنون القول ووجوه المنطق فانه يعرف حين يسمعه عجزه عن الاتيان بمثله ويعرف أيضاً أهل عصره من هو في طبقته أو يدانيه في صناعته عجزهم عنه فلا يحتاج الى التعدي حتى يعلم به كونه مجزأ ولو كان أهل الصنعة الذين صفتهم ما ينال يعرفون كونه مجزأ حتى يعرفوا عجز غيرهم عنه لم يجوز أن يعرف النبي صلى الله عليه وسلم أن القرآن مجزأ حتى يرى عجز قرين عنه بعد التعدي اليه وإذا عرف عجز قرين لم يعرف عجز سائر العرب عنه حتى ينتهي الى التعدي الى أنفسهم وحتى يعرف عجز مسجلة الكذاب عنه ثم يعرف حينئذ كونه مجزأ وهذا القول ان قيل أخش ما يكون من الخطأ فيجب أن تكون منزلة أهل الصنعة في معرفة اعجاز القرآن بأنفسهم منزلة من رأى اليد البيضاء وخلق الجبر بأن ذلك مجزأ وأما من لم يكن من أهل الصنعة فلا بد له من مرتبة قبل هذه المرتبة يعرف بها كونه مجزأ فيساوى حينئذ أهل الصنعة فيكون استدلالهما في تلك الحالة به على صدق من ظهر ذلك عليه على سواء إذا ادعا دالة على نبوته وبرهانا على صدقه فأما من قدر أن القرآن لا يصير مجزأ الا بالتعدي اليه فهو كتقدير من ظن أن جميع آيات موسى وعيسى عليهما السلام ليست بآيات حتى يقع التعدي اليها والحض عليهما يقع العجز عنها فيعلم حينئذ انها مجزأت وقد سلف من كلامنا في هذا المعنى ما يغني عن الاعداد وبين ما ذكرناه في غير البليغ أن الأجمعي الآن لا يعرف اعجاز القرآن الا بأمو وزائدة على الأجمعي الذي كان في ذلك الزمان مشاهدا له لأن من هو من أهل العصر يحتاج أن يعرف أولاً أن العرب عجز واعنه وانما يعلم عجزهم عنه بنقل الناقلة اليه أن النبي صلى الله عليه وسلم قد تعدى العرب اليه فجزوا عنه ويحتاج في النقل الى شروط وليس يصير القرآن بهذا النقل مجزأ كذلك لا يصير مجزأ بان يعلم العربي الذي ليس يبلغ أنهم قد عجزوا عنه بأبلغهم بل هو مجزأ في نفسه وانما طريق معرفة هذا وقوعهم على العلم بعجزهم عنه

فصل في قدر العجز من القرآن

الذي ذهب اليه عامة أصحابنا وهو قول أبي الحسن الأشعري في كتبه أن أقل ما يعجز عنه من القرآن السورة قصيرة كانت أو طويلة أو ما كان بقدرها قال فإذا كانت الآية بقدر حروف سورة وان كانت سورة الكوثر فذلك مجزأ ولم يقدّر دليل على عجزهم عن المعارضة في أقل من هذا القدر وذهب المعتزلة الى أن كل سورة برأسها هي مجزأة وقد

حكى عنهم نحو قولنا الآن منهم من لم يشترط كون الآية بقدر السورة بل شرط الآيات
الكثيرة وقد علمنا أنه تحداهم تحديا إلى السور كلها ولم يخص ولم يأثروا الشيء منها عمل فعمل أن
جميع ذلك مجزأ وأما قوله عز وجل فليأتوا بحديث مثله فليس يخالف لهذا لأن الحديث
النام لا تحصل حكايته في أقل من كلمات سورة قصيرة وهذا يؤيد كدماذهب إليه أصحابنا
ويؤيده وإن كان قد يتأول قوله فليأتوا بحديث مثله على أن يكون راجعا إلى القبيل دون
التفصيل وكذلك يجعل قوله تعالى قل لئن اجتمعت الأنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا
القرآن لا يأتون بمثله على القبيل لأنه لم يحصل الحجة عليهم مجزأ عنهم عن الأتيان بجميعة من
أوله إلى آخره فان قيل هل تعرفون اعجاز السور القصار ما تعرفون به اعجاز السور الطوال
وهل تعرفون اعجاز كل قدر من القرآن بلغ الحد الذي قدرتموه بمثل ما تعرفون به اعجاز
سورة البقرة ونحوها فالجواب أن أبا الحسن الأشعري رحمه الله أجاب عن ذلك بأن كل
سورة قد علم كونها مجزئة بمجزء العرب عنها ومعت بعض الكبراء من أهل هذا الشأن
يقول أن ذلك يصح أن يكون علم ذلك توقيفا والطريقة الأولى أسد وليس هذا الذي
ذكرناه أخيرا بخلافه لأنه لا يمنع أن يعلم اعجازه بطرق مختلفة تتوافق عليه وتجتمع فيه
والمعلم أن تحت اختلاف هذه الأجوبة ضربا من الفائدة لأن الطريقة الأولى تبين أن
ما علم به كون جميع القرآن مجزأ موجود في كل سورة صغرت أو كبرت فيجب أن يكون
الحكم في الكل واحدا والطريقة الأخيرة تتضمن تعذر معرفة اعجاز القرآن بالطريقة
التي سلكتها في كتابنا من التفصيل الذي يتناهي يعرف به في الكلام الفصاحة وتبين فيه
البلاغة حتى يعلم ذلك بوجه آخر فيستوى في هذا القدر البليغ وغيره في أن لا يعلم مجزأ
حتى يستدل به من وجه آخر سوى ما يعلمه البلاء من التقدم في الصنعة وهذا غير ممتنع
الآن ترى أن الاعجاز في بعض السور والآيات أظهر وفي بعضها أغنى وأدق فلا يفتقر البليغ
في النظر في حال بعضها إلى تأمل كثير ولا بحث شديد حتى يتبين له الاعجاز ويفتقر في بعضها
إلى نظردقيق ويبحث لطيف حتى يقع على الجلية ويصل إلى المطلب ولا يمنع أن يذهب عليه
الوجه في بعض السور فيحتاج أن يفرع فيه إلى إجماع أو توقيف أو ما علمه من مجزأ العرب
قاطبة عنه فان ادعى المحدث أو زعم زنديق أنه لا يقع الجزأ عن الأتيان بل السور القصار
أو الآيات بهذا المقدار قلنا إن الاعجاز قد حصل بما بيناه وعرف بما وقفنا عليه من مجزأ
العرب عنه ثم فيه شيء آخر وهو أن هذا السؤال لا يستقيم للمحدث لأنه يزعم أنه ليس في
القرآن كلمة واحدة فكيف يجوز أن يناظره على تفصيله وإذا ثبت لنا معه اعجازه في السور
الطوال قامت الحجة عليه وثبتت المجزئة ولا معنى لطلبه لكثرة الأدلة والمجزئات ونحن نعلم

أن أعجاز البعض بما ينأه والبعض الآخر بأنه إذا ثبت الأصل لم يبق بعد ذلك إلا قولنا لا نأعرفنا في البعض الأعجاز بما ينأه عرقنا في الباقي بالتوقيف ونحو ذلك وليس بمنتهى اختلاف حال الكلام حتى يكون الأعجاز على بعضه أظهر وفي بعضه أغض ومن آمن ببعض دون بعض كان مذموماً على ما طال الله تعالى أقنؤ منون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض وقال ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين وظاهره عند بعض أهل التأويل كالدليل على أن الشفاء ببعضه أرفع وإن كنا نقول أنه يدل على أن الشفاء في جميعه وأعلم أن الكلام يقع فيه الأبلغ والبلوغ ولذلك كانوا يسمون الكلمة بتيمة ويسمون البيت الواحد يتيماً سمعت اسماعيل بن عباد يقول سمعت أبا بكر بن مقسم يقول سمعت ثعلباً يقول سمعت الثراء يقول العرب تسمى البيت الواحد تيتيماً وكذلك يقال الدرة التيتمة لأن ثراها فإذا بلغ البيتين والثلاثة فهي تنفع والى العشرة تسمى قطعة وإذا بلغ العشرين استحق أن يسمى قصيداً وذلك مأخوذ من الخ القصيدة وهو المترجم بعضه على بعض وهو ضد الرار ومثله الرئيد انتهت الحكاية ثم استشهد بقول لبيد

فتذكر أنقلاريتدا بعدما * الفتذكاء عني في كافر

يريد بيض النعام لأنه ينشد بعضه على بعض وكذلك يقع في الكلام البيت الوحشي النادر والمثل السائر والمعنى الغريب والشيء الذي لو اجتهد لم يقع عليه فينتقله ويصادفه طال لي بعض علماء هذه الصنعة وجاريته في ذلك أن هذا مما لا سبب له يخسه وأما سببه القرارة في أصل الصنعة والتقدم في عيون المعرفة فإذا وجد ذلك وقع له من الباب ما يطرده عن حساب وما يشد عن تفصيل الحساب فأما ما قلنا من أن ما بلغ قدر السورة مجز فان ذلك صحيح

(فصل في أنه هل يعلم أعجاز القرآن ضرورة)

ذهب أبو الحسن الأشعري إلى أن ظهور ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم يعلم ضرورة وكونه مجز يعلم باستدلال وهذا المذهب محكي عن المخالفين والذي نقوله في هذا أن لا يجزم لا يمكنه أن يعلم أعجازه الاستدلالاً وكذلك من لم يكن بلغياً فأما البلوغ الذي قد أحاط به أهاب العربية وغرائب الصنعة فإنه يعلم من نفسه ضرورة يجوز عن الأتيان مثله ويعلم غير غيره مثل ما يعرف بحجزة نفسه كما أنه إذا علم الواحد منا أنه لا يقدر على ذلك وهو يعلم بحجزة غيره استدلالاً

فصل فيما يتعلق به الأعجاز

إن قال قائل ينوئنا ما الذي وقع التصدي إليه أهو الحروف المنظومة أو الكلام القائم

بالذات أو غير ذلك الخيل الذي تعداهم به أن يأتوا بمثل الحروف التي هي نظم القرآن منظومة
كنظمها متتابعة كتبها مطردة كاطرادها ولم يتعدهم إلى أن يأتوا بمثل الكلام القديم
الذي لا مثله وإن كان كذلك فالتعدي واقع إلى أن يأتوا بمثل الحروف المنظومة التي
هي عبارة عن كلام الله تعالى في نظمها وتأليفها وهي حكاية لكلامه ودلالات عليه وأمارات
له على أن يكونوا مستأنفين لذلك لاحكامين بما أتى به النبي صلى الله عليه وسلم ولا يجب
أن يقدر مقدراً أو يظن ظناً أو يحين حيناً فلنا أن القرآن مجزأ فانه يتعداهم إلى أن يأتوا بمثله
أردنا غير مفسرناه من العبارات عن الكلام القديم القائم بالذات وقد بينا قبل هذا أنه لم
يكن ذلك مجزأ لكونه عبارة عن الكلام القديم لأن التورات والانبجيل عبارة عن الكلام
القديم وليس ذلك بمجزأ في النظم والتأليف وكذلك ملدون الآية كاللفظة عبارة عن
كلامه وليس بتعديها بمجزة وقد جوز بعض أصحابنا أن يتعداهم إلى مثل كلامه
القديم القائم بنفسه والذي عول عليه مشايخنا ما قدمنا ذكره وعلى ذلك أكثر مذاهب
الناس ولم يجب أن تفسر ونذكر موجب هذا المذهب الذي حكيناؤه وما يتصل به لانه خارج
عن غرض كتابنا لأن الأجاز واقع في نظم الحروف التي هي دلالات وعبارات عن كلامه
والى مثل هذا النظم وقع التعدي فبيننا وجه ذلك وكيفية ما ينصور القول فيه وما أزلنا
نوهم من يتوهم أن الكلام القديم حروف منظومة أو حروف غير منظومة أو شيء مؤلف
أو غير ذلك مما يصح أن يتوهم على ما سبق من إطلاق القول فيما مضى

فصل في وصف وجوه من البلاغة

ذكر بعض أهل الأدب والكلام أن البلاغة على عشرة أقسام الإيجاز والتشبيه
والاستعارة والتلاؤم والقواصل والتبائن والتصريف والتضمين والمبالغة وحسن
البيان فأما الإيجاز فاعلم بحسن معترك الإخلال باللفظ والمعنى فيأتى باللفظ القليل الشامل
لأشياء كثيرة وذلك ينقسم إلى حذف وقصر فالحذف الإسقاط للتخفيف كقوله وإسأل
القرية وقوله طاعة وقول معروف وحذف الجواب كقوله ولو أن قرأتا سيرت به الجبال
هو قطعت به الأرض أو كسبه بالموتى كأنه قيل لكان هذا القرآن والحذف أبغ من
الذكر لأن النفس تذهب كل مذهب في القصد من الجواب والإيجاز بالقصد كقوله ولكم
في القصاص حياة وقوله بحسبون كل صيغة عليهم هم العدو وقوله إنما يغيبكم على أنفسكم
ولا يحق المكر السيئ إلا بأهله والأطناب فيه بلاغة فأما التطويل فغيبه عما والتشبيه
بالعقد على أن أحد الشئتين يسد مسد الآخر في حص أو عقل كقوله والذين كفروا
أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظماّن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيأ وقوله مثل الذين

كفروا بربههم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف وقوله واذا نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وقوله انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض مما يأكل الناس والانعام حتى اذا أخذت الارض زخرفها وانبت وطين أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس وقوله انا أرسلنا عليهم ريحا صرصراق يوم نحس مستمر تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر وقوله فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان وقوله انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكثرفى الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وقوله وجنة عرضها كعرض السماء والارض وقوله مثل الذين جلاوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الجمار يحمل أسفارا وقوله تعالى قتله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث وقوله كأنهم أعجاز نخل خاوية وقوله مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت وقوله وله الجوار المنشآت فى البحر كالأعلام وقوله خلق الانسان من صلصال كالفخار ونحو ذلك ومن ذلك باب الاستعارة وهو بيان التشبيه كقوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وكقوله فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين وكقوله انا لما طغى الماء جعلنا كم فى الجارية وقوله ولما سكنت عن موسى الغضب وكقوله فجعونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة وقوله بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ظالمغ والقذف مستعار وقوله وآية لهم الليل نسلخ منه النهار وقوله ويودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم وقوله فنادى دعاء عربى وقوله نضع الحرب أوزارها وقوله والصبح اذا نفثس وقوله مستهم البأساء والضراء وقوله فنبذوه وراء ظهورهم وقوله أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا وقوله خامدين وقوله ألم تر أنهم فى كل وادى يهيمون وقوله وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وقوله لا تجعل يدك مغلولة الى عنقك وقوله ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر وقوله فضر بنا على آذانهم يريد أن لا احساس بأذانهم من غير صمم وقوله ولما سقط فى أيديهم وهذا أوقع من اللفظ الظاهر وأبلغ من الكلام الموضوع وأما التلاؤم فهو تعديل الحروف فى التأليف وهو تقيض التناثر كقول الشاعر
وقبر حرب بمكان قعر • وليس قرب قبر حرب قبر
قالوا هو من شعر الجن حروفه متنافرة لا يمكن انشاده الابتتغ فيه والسلام على ضربين
أحدهما فى الطبقة الوسطى كقوله
رمتنى ومتر الله بينى وبينها * عشية أن أم الكاس رميم

رميم الذي قالت لجارات بيتها * ضمنت لكم أن لا يزال بهن
 أرب يوم لو رمتني رميمها * ولكن عهدي بالفضل قديم
 قالوا والمتلأ في الطبقة العليا القرآن كما هو أن كان بعض الناس أحسن احساسا من
 بعض كما أن بعضهم يظن للوزن بخلاف بعض والتلاؤم حسن الكلام في السمع وسهولته
 في اللفظ ووقع المعنى في القلب وذلك كالخط الحسن والبيان الشافي والمتناظر كالخط القبيح
 فإذا انضاف إلى التلاؤم حسن البيان وصحة البرهان في أعلى الطبقات ظهر الإعجاز لمن كان
 جيد الطبع وبصير بالجمود الكلام كما يظهره أعلى طبقة الشعر والمتناظر ذهب الخليل
 إلى أنه من بعد شديد أو قرب شديد فإذا بعده فهو كالظفر وإذا قرب جدا كان بمنزلة مشى
 المقيد ويبين ذلك بقرب مخارج الحروف وتباعدها وأما الفواصل فهي حروف متشابهة
 في المقاطع يقع بها انضمام المعاني وفيها بلاغة والامجاع عيب لأن السجع يتبع المعنى
 والفواصل تابعة للمعاني والسجع كقول مسيلة ثم الفواصل قد تقع على حروف متجانسة
 كما قد تقع على حروف متقاربة ولا تتحمل القوافي فالتحمل الفواصل لأنها ليست في
 الطبقة العليا في البلاغة لأن الكلام يحسن فيها بمجانسة القوافي وإقامة الوزن وأما
 التجانس فإنه بيان بأنواع الكلام الذي يجمعه أصل واحد وهو على وجهين من أوجه
 ومناسبة فالزوجة كقوله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم
 وقوله ومكروا ومكر الله وكقول عمرو بن كثوم

ألا يجهلن أحد علينا • فقهل فوق جهل الجاهلينا

وأما المناسبة فهي كقوله تعالى ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم وقوله يخافون يوماً تقلب فيه
 القلوب والابصار وأما التصريف فهو تصرف الكلام في المعاني كتصرفه في الدلالات
 المختلفة كتصرف الملك في معاني الصفات فصرف في معنى مالك ومالك يؤدى للملكوت
 والمليك وفي معنى التملك والتملك والاملاك وتصرف المعنى في الدلالات المختلفة كما
 كرر من قصة موسى في مواضع وأما التضمين فهو حصول معنى فيه من غير ذكره باسم
 أو صفة هي عبارة عنه وذلك على وجهين تضمين توجيه البنية كقولنا معلوم يوجب أنه
 لا بد من عالم وتضمين توجيه معنى العبارة من حيث لا يصح إلا به كالصفة بضارب يدل على
 مضروب والتضمين كله انجياز والتضمين الذي تدل عليه دلالات القياس أيضا انجياز
 وذكر أن بسم الله الرحمن الرحيم من باب التضمين لأنه تضمن تعليم الاستفتاح في الأمور
 باسمه على جهة التعظيم لله تبارك وتعالى أو التبرك باسمه وأما المبالغة فهي الدلالة على
 كثرة المعنى وذلك على وجوه منها مبالغة في الصفة المنفية لذلك كقولك رجلاً عدل عن

ذلك البالغة وكقوله غفار وكذلك فعال وفعل كقولهم شكور وغفور وفعل كقوله
رحيم وقدير ومن ذلك أن يبالغ باللفظة التي هي صفة عامة كقوله خالق كل شيء وكقوله
فأتى الله بنيانهم من القواعد وكقوله ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط
وكقوله وأنا أياكم على هدى أوفى ضلال مبين وقد يدخل فيه الحنف الذي تقدم ذكره
للبالغة وأما حسن البيان فالبيان على أربعة أقسام كالم وحال وإشارة وعلامة ويقع
التفاضل في البيان ولذلك قال عز من قائل الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان
وقيل أعيان من يفل مثل عن ظبيسة في يده بكم اشتراها فأراد أن يقول بأحد عشر فأشار
بيده بما أصابعه العشر ثم أدلج لسانه وأقلت الطبي من يده ثم البيان على مراتب قلنا
قد كنا حكيما أن من الناس من يريد أن يأخذ بعجاز القرآن من وجوه البلاغة التي ذكرنا
أنها تسمى البديع في أول الكتاب مما مضى أمثله في الشعر ومن الناس من زعم أنه يأخذ
ذلك من هذه الوجوه التي عدناها في هذا الفصل وأعلم أن الذي بيناه قبل هذا ونهينا
إليه هو شديد وهو أن هذه الأمور تنقسم فيها ما يمكن الوقوع عليه والتجمل له ويدرك
بالتعلم فما كان كذلك فلا يسيل إلى معرفة عجاز القرآن به وأما ما لا يسيل إليه بالتعلم
والتجمل من البلاغات فذلك هو الذي يدل على عجازه ونحن نضرب لذلك أمثلة لتقف على
ما ذهبنا إليه وذكرنا في هذا الفصل عن هذا القائل أن التشبيه تعرف به البلاغة وذلك
مسلم ولكن إن قلنا ما وقع من التشبيه في القرآن مجر عرض علينا من التشبيهات الجارية
في الأشعار ما لا يخفى عليك وأنت تجد في شعر ابن المعتز من التشبيه البديع الذي يشبه
الصبر وقد تسع في هذا ما لم يتبع غيره واتفق له ما لم يتفق لغيره من الشعراء وكذلك كثير
من وجوه البلاغة فديننا أن تعلمها يمكن وليس تقع البلاغة بوجه واحد منها دون غيره
فإن كان انما يعني هذا القائل أنه إذا أتى في كل معنى يتفق في كلامه بالطبقة العالية
ثم كان ما يصل به كلامه بعضه يعض وينتهي منه إلى متصرفاته على أتم البلاغة وأبدع
البراعة فهذا مما لا نأباه بل نقول به وانما ننكر أن يقول قائل إن بعض هذه الوجوه
بانفرادها قد حصل فيه العجاز من غير أن يشاركه ما يتصل به الكلام ويقضى إليه مثل
ما يقول إن ما أقسم به وحده بنفسه مجز وإن التشبيه مجز وإن التجنيس مجز والمطابقة
بنفسها مجزة فأما الآية التي فيها ذكر التشبيه فإن ادعى عجازها لالفاظها ونظمها
وتأليفها فاني لأدفع ذلك وأصححه ولكن لأدعى عجازها لموضع التشبيه وصاحب المقالة
التي حكيناها أضاف ذلك إلى موضع التشبيه وما قرنه من الوجوه ومن تلك الوجوه
ما قد بينا أن العجاز يتعلق به كالبيان وذلك لا يختص بجنس من المين دون جنس ولذلك

قال هذا بيان للناس وقال تبياناً لكل شئ وقال بلسان عربي مبين فكر في مواضع ذكره أنه مبين فالقرآن أعلى منازل البيان وأعلى مراتبه ما جمع وجوده الحسن وأسبابه وطرقه وأبوابه من تعديل النظم وسلامته وحسنه وجمته وحسن موقعه في السمع وسهولته على اللسان وقوعه في النفس موقع القبول وتصوره تصور المشاهد وتشكله على جهته حتى يحل محل البرهان ودلالة التأليف بما لا ينحصر حسنا وجمته وسناء ورقعة وإذا علا الكلام في نفسه كان له من الوقوع في القلوب والتمسك في النفوس ما يذهل ويهيج ويقلق ويؤنس ويطمع ويؤيس ويغشئ ويكي ويحزن ويفرح ويسكن ويرجع ويشجى ويطرب ويهز الأعراف ويستقبل نحوه الامع ويورث الأرحمة والعزة وقد يست على بذل المهج والأموال شجاعة وجوده ويرى السامع من وراء رأيه مري بعيداً وله مسالك في النفوس لطيفة ومداخل إلى القلوب دقيقة وبحسب ما يترتب في نظمه ويتنزل في موقعه ويجري على بهت مطالعه ومقطعه يكون عجيب تأثيراته ويديع مقتضياته وكذلك على حسب مصادره يتصور وجوده وقديني الكلام عن محل صاحبه ويدل على مكان متكلمه ونبه على عظيم شأن أهله وعلى علو محله ألا ترى أن الشعر في الغزل إذا صدر عن محب كان أرق وأحسن وإذا صدر عن متغزل وحصل من متصنع نادى على نفسه بالمداواة وأخبر عن خبيته في المزاة وكذلك قد يصدر الشعر في وصفه الحرب عن الشجاع فيعلم وجه صدره ويدل على كنهه وحقيقته وقد يصدر عن المتشبه ويخرج عن المتصنع فيعرف من حاله ما ظن أنه يخفيه ويظهر من أمره خلاف ما يديه وأنت تعرف قول المتنبي

فأنلج والليل والبيداء تعرفني • والحرب والطنن والقرطاس والقلم
من الواقع في القلب لما يعلم أنه من أهل الشجاعة ما لا يتجده البعدي في قوله

وأنا الشجاع وقد بدا لك موقفى • بعقرقس والمشرقسة مشهدي
وتجد لابن المعتز في موقع شعره من القلب في الفخر وغيره ما لا تجده لغيره لأنه إذا طال

إذا شئت أقرت البلاد حوافر • وسارت ورائي هاتم ونزار
وعم بهاء النقع حتى صكاته * دخن أطراف الرماح شرار

وقال قد تردت بالكارم حولي • وكفتني نفسي من الاقتصار
أنا جيش إذا غزوت وحيدا * ووحيد في المحفل الجرار

وقال أيها السائل عن الحسب الأطيب ما فوقه خلق مزيد
نحن آل الرسول والعزة المحق وأهل القرى فاذا تريد
ولنا ما أضاء صبح عليه * وأنته رايات ليس سود

وكما أنشدنا الحسن بن عبد الله قال أنشدنا محمد بن يحيى لابن المعتز قصيدته التي يقول فيها
 أنا ابن الذي سادهم في الحيا • وسادهم في تحت الثرى
 ومالي في أحد مرغب • بلى في رغبت كل الورى
 وأسهر للعبد والمكرما • ت إذا اكملت أعين بالكرى
 فانظر في القصيدة كلها ثم في جميع شعره تعلم أنه ملك الشعر وأنه يليق به من الفخر خاصة
 ثم بما تبعه مما يتعلق به مما يليق بغيره بل يفخر عن سواء ولم أحب أن أكره عليك فأطول
 الكتاب بما يجزى عن غرضه وكما ترى من قول أبي فراس الحمداني في نفسه إذا قال
 ولا أصعب الحى الخلوفا بغارة • ولا الجيش مالم يأت به قبلى النذر
 ويارب دار لم تخفنى منيعة * طلعت عليها بالردى أنا والفجر
 وساحبة الاذيال نحوى لقيتها * فلم يلحقها جاني القاء ولا عر
 وهبت لها ما حاربه الجيش كله * وأبت ولم يكشف لاياتها ستر
 ومراح يطغى بأثوابه الغنى * ولا بات يثني عن الكرم الفقر
 وما حاجتى في المال أبغى وفوره * اذا لم أفرو فرى فلا وفروا
 والشئ اذا صدر من أهله وبدان أصله وانسب الى ذويه سلم في نفسه وبان غامته وشوهد
 أثر الاستحقاق فيه واذا صدر من متكلف وبدان من منمنع بان أثر الثراية عليه وتلهرت
 مخايل الاستيماش فيه وعرف شمائل التغير منه انا نعرف في شعر أبي نواس أثر الشطارة
 وتمكن البطالة ووقع كلامه في وصف ما هو بسبيله من أمر العبارة ووصف الخمر
 والجار كما نعرف موقع كلام ذي الرمة في وصف المهامة والبوادى والجمال والانواع
 والازمة وعيب أبي نواس التصرف في وصف الطول والرياح والوحش ففكر في قوله
 دع الاطلاع تسقىها الجنوب * وتبلى عهد جدتها الخطوب
 ونخل راكب الوجاء أرضا • تحبب القيسية والقيس
 بسلاذ يفتها عشر وطلع * وأكفر صيدها ضبع وذيب
 ولا تأخذ عن الاعراب لهوا • ولا عيشا فحشهم جديد
 دع الألبان يشربها رجال • رقيق العيش عندهم غريب
 اذا راب الخليل قبل عليه • ولا تخرج فافى ذاك حوب
 فأطيب منه صاقية تمول * بطوف بكأسها ساق أديب
 كأن هديرها في الدن يحكى • قراءة القس قابله الصليب
 أعاذل أقصرى عن طول لوى • فراجى توبى عنسدى يخيب

تعييّنسين الذنوب وأى حر * من الفتيان ليس له ذنوب
وقوله صفحة الطاول بلاغة العدم * فاجعل صفاتك لابنة الكرم
وسمعت الصاحب اسماعيل بن عباد يقول سمعت بكويه الزنجاني يقول أنشد بعض
الشعراء هلال بن يزيد قصيدة على وزن قصيدة الأعشى
ودع هريرة أن الركب مر نخل * وهل تطيق وداعاً لها الرجل
وكان وصف فيها الطلل قال بكويه فقال لي هلال فقلت بديها
إذا سمعت فتى يبكي على طلل • من أهل زنجان فاعلم أنه طلل
وانما ذكرت لك هذه الامور لتعلم أن الشئ في معدنه أعز وفي مظانه أحسن وإلى أصله أنزع
وبأسبابه أليق وهو يدل على ما صدر منه وينبه ما انتج عنه ويكون قراره على موجب
صورته وأنواره على حسب محله ولكل شئ حد ومذهب ولكل كلام سبيل ومنهجه وقد ذكر
أبو بكر الصديق رضي الله عنه في كلام مسيلة ما أخبرتك به فقال ان هذا كلام لم يخرج من
آل فدل على أن الكلام الصادر عن عزرة الربوبية ورفعة الالهية يتميز عما يمكن كذلك ثم
رجع الكلام بنا الى ما ابتدأنا به من عظيم شأن النبيا ولو لم يكن فيه الامانة به الله على
خلقه بقوله خلق الانسان علمه البيان فأما بيان القرآن فهو أشرف بيان وأهداه وأكمله
وأعلاه وأبلغه وأسأله ما مل قوله تعالى افنضرب عنكم الذر صفحا أن كنتم قوما مسرفين في
شدة التنبيه على تركهم الحق والاعراض عنه وموضع امتنانه بالذكر والتعذير وقوله ولن
ينفعكم اليوم اذ ظلمت انكم في العذاب مشتركون وهذا بليغ في التفسير وقوله ولوردوا
لعادوا لمانهوا عنه وهذا يدل على كونهم مجبولين على الشر معبودين لمخالفة النهي والامر
وقوله الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين هو في نهاية الوضع من الخلقة إلا على
التقوى وقوله ان تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله وهذا نهاية في التعذير من
التفريط وقوله أفمن يطق في التارخير أم من يأتي آمنا يوم القيامة اعملوا ما كنتم انما تعملون
بصير هو النهاية في الوعيد والتهديد وقوله وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل الى
مرد من سبيل وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي نهاية في
الوعيد وقوله وفيها ما تشبهه الأنفس وتلذذا لعين وأتم فيها خالدون نهاية في الترغيب
وقوله ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من الذاذهب كل الذاذهب خلقا له لعلهم يحزنون
بعض وكذلك قوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا نهاية في الجحاح وقوله وأسرأ قولكم
أواجهر وابه انه علم بذات الصدور الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير نهاية في الدلالة
على علمه بالخفيات ولا وجه للتطويل فان بيان الجميع في الرفعة وكبر المنزلة على سواء وقد

ذكرنا من قبل أن البيان يصح أن يتعلق به الأعجاز وهو مجز من القرآن وما حكيناه من صاحب الكلام من المبالغة في اللفظ فليس ذلك بطريق الأعجاز لأن الوجود التي ذكرها قد تنفق في كلام غيره وليس ذلك بمجربيل قد يصح أن يقع في المبالغة في المعنى والصفة وجوه من اللفظ يثر الأعجاز وتضمن المعاني أيضا قد يتعلق به الأعجاز إذا حصلت العبارة طريق البلاغة في أعلى درجاتها وأما الفواصل فقد بينا أنه يصح أن يتعلق بها الأعجاز وكذلك قد بينا في المقاطع والمطالع نحو هذا وبيننا في تلازم الكلام ما سبق من صحة تعلق الأعجاز به والتصرف في الاستعارة البديعة يصح أن يتعلق به الأعجاز كما يصح مثل ذلك في حقائق الكلام لأن البلاغة في كل واحد من البابين تجري مجرى واحد وتأخذ مأخذا مفردا وأما الأعجاز والبسط فيصح أن يتعلق بهما الأعجاز كما يتعلق بالحقائق والاستعارة والبيان في كل واحد منهما فلا يضبط حده ولا يقدر قدره ولا يمكن التوصل إلى ساحل بحره بالتعلم ولا يتطرق إلى غوره بالتسبب وكل ما يمكن تعلمه وينتهي تلقفه ويمكن تخيل صوره ويستدرك أخذه فلا يجب أن يطلب وقوع الأعجاز به ولذلك قلنا إن السجع مما ليس يلتصق فيه الأعجاز لأن ذلك أمر محدود وسبيل مورود ومتى تدرب الإنسان به واعتاده لم يستصعب عليه أن يجعل جميع كلامه منه وكذلك التبنيس والتطبيق متى أخذ أخذهما وطلب وجههما استوفى ماشاء ولم يتعذر عليه أن يملأ خطابه منه كما أولع بذلك أبو تمام والبحراني وإن كان البحراني أشغف بالمطابق وأقل طلبا للأجانب فإن قال قائل هلا فلت أن هذين البابين يقع فيهما مرتبة عالية لا يوصل إليها بالتعلم ولا تتمك بالتعلم كما ذكرتم في البيان وغير ذلك قلنا لو عدنا كتاب الأجانب ونظر في كتاب العين لم يتعذر عليه التبنيس الكثير فأما الأطباق فهو أقرب منه وليس كذلك البيان والوجوه التي رأينا الأعجاز فيها لأنها تستوفى بالتعلم فإن قيل فالبيان قد يتعلم قيل إن الذي يمكن أن يتوصل إليه بالتعلم يتفاوت فيه الناس وينتهي فيه العادات وهو كما يعلم من مقادير القوى في حل الثقيل وأن الناس يتقاربون في ذلك فيرمون فيه إلى حد ما إذا تجاوزوه وقوا بعده ولم يتمكنهم الخطى ولم يقدروا على التعدي الآن يحصل ما يخرق العادة وينقض العرف ولن يكون ذلك إلا للدلالة على النبوات على شروط في ذلك والقدر الذي يغتفر الخديق البيان ويتجاوز الوهم ويشذ عن الصنعة ويقذفه الطبع في النادر القليل كالبيت البديع والقطعة الشريفة التي تتفق في ديوان شاعر والفقرة تنفق في لسان كاتب حتى يكون الشاعر ابن بيت وبينين أو قطعة أو قطعتين والأديب شهيد كلمة أو كلمتين وذلك أمر قليل ولو كان كلامه كله يطر على ذلك المسلك ويستمر على ذلك المنهج أمكن أن يدعى فيه الأعجاز ولكنك إن

كنت من أهل الصنعة تعلم قلة الابيات الشوارد والكلمات الفرائد وأمهات القلائد فان أردت أن تجد قصيدة كلها وحشية وأردت أن تراها مثل بيت من أبياتهم مرضية لم تجد ذلك في الدواوين ولم تظفر بذلك الى يوم الدين ونحن لم نشكر أن يستدرك البشر كلمة شريفة ولقطة يديعة وانما انكرنا أن يقدر واعلى مثل نظم سورة ونحوها وأحلنا أن نمسكوا من خد في البلاغة ومقدار في الخطابة وهذا كما قلناه من أن سورة الشعر قد تنفق في القرآن وان لم يكن له حكم الشعر فأما قدر المميز فقد بينا أنها السورة طالت أو قصرت وبعد ذلك خلاف من أناس من قال مقدار كل سورة أو أطول آية فهو مميز وعندنا كل واحد من الامرين مميز والدلالة عليه ما تقدم والبلاغة لا تبين بأقل من ذلك فلذلك لم نحكم بالاجازة وما صح أن تبين فيه البلاغة ومحصولها الا بأنه في الابلاغ عن ذات النفس على أحسن معنى وأجرل لفظا يلوغ الغاية في المقصود بالكلام فاذا بلغ الكلام غايته في هذا المعنى كان الغا وبليغا فاذا تجاوز حد البلاغة التي نصبت لا يقدر عليه أهل الصناعة وانتهى الى أمر يعجز عنه الكامل في البراعة صح أن يكون له حكم المميزات وجز أن يقع موقع الدلالات وقد ذكرنا أنه يحسنه وأسلوبه مما ينسأثر كلامهم ثم بما يتفهم من تجاوزه في البلاغة الحمد الذي يقدر عليه البشر فان قيل فاذا كان يجوز عندكم أن يتفق في شعر الشاعر قطعة بحسب شاردة تبين جميع ديوانه في البلاغة ويقع في ديوانه بيت واحد يخالف ما لوف طبعه ولا يعرف سبب ذلك البيت ولا تلك القطعة في التفصيل ولو أراد أن يأتي بمثل ذلك ويجعل جميع كلامه من ذلك النظم لم يجد الى ذلك سبيلا وله سبب في الجملة وهو التقدم في الصنعة لانه يتفق من المتأخر فيها فها لا قلتم انه اذا بلغ في العلم بالصناعة ما لفته قصوى كان جميع كلامه من غط ذلك البيت وسميت تلك القطعة وهلا قلتم ان القرآن من هذا الباب فالجواب ان المميز اذا بلغ الحمد الذي وصفتم في العادة وهذا الناس وأهل البلاغة اشعارهم عندنا محفوظة وخطبهم منقولة ورسائلهم مأثورة وبلاغاتهم مروية وتحكمهم مشهورة وكذلك أهل الكهانة والبلاغة مثل قس بن ساعدة وصبيان وائل ومثل شق وسطيح وغيرهم كلامهم معروف عندنا وموضوع بين أيدينا لا يخفى علينا في الجملة بلاغة بليغ ولا خطابة خطيب ولا براعة شاعر مغلق ولا كتابة كاتب مدقق فلما لم نجد في شيء من ذلك ما يداني القرآن في البلاغة أو يشا كله في الاجاز مع ما وقع من التعدي اليه المدة الطويلة وتقدم من التقرير المجازاة الامد المديد وثبت له وحده خاصة قصب السبق والاستيلاء على الامر وبجز الكل عنسه ووقفوا دونه حباري يعرفون بحزمهم وان جعل قوم سبهم ويعلمون نقصهم وان أغفل قوم وجههم رأينا أنه ناقص للعاد ورأينا أنه خارق للعرف في

الحيلة وخرق العادة انما تقع بالمعجزات على وجه اقامة البرهان على النبوات وعلى أن من
ظهرت عليه وقعت موقع الهداية اليه صادق فيما يدعيه من نبوته وبحق في قوله ومصيب
في هديه قد سادت له الحجة البالغة والكلمة التامة والبرهان النير والدليل البين

(فصل في حقيقة المعجز)

مضى قولنا ان القرآن معجز على أصولنا أنه لا يقدر العباد عليه وقد ثبت أن المعجز الدال
على صدق النبي صلى الله عليه وسلم لا يصح دخوله تحت قدرة العباد وانما ينفرد الله تعالى
بالقدرة عليه ولا يجوز أن يعجز العباد عما تستحيل قدرتهم عليه كما يستحيل معجزهم عن فعل
الاجسام فحق لا تقدر على ذلك وان لم يصح وصفنا بأنا عاجزون عن ذلك حقيقة وكذلك
معجزات سائر الانبياء على هذا فلما لم يقدر عليه احد شبه ما يعجز عنه العاجز وانما يقدر على
العباد الاتيان بمثله لانه لو صح أن يقدروا عليه بطلت دلالة المعجز وقد أجرى العادة أن
يتعذر فعل ذلك منه وأن لا يقدر واعليه ولو كان غير خارج عن العادة لا تواضع له وعرضوا
عليه من كلام فصحاءهم وبلغافهم ما يعارضه فلما لم يستغلوا بذلك علم أنهم فطنوا خروجه ذلك
عن أوزان كلامهم وأساليب نظامهم وزالت أطماعهم عنه وقد كايينا أن التواضع ليس
يجب أن يقع على قول الشعر وجوه النظم المستحسنة في الاوزان المطربة للسمع ولا يحتاج
في مثله الى توثيق وأنه يتبين أن مثل ذلك يجري في الخطاب فلما جرى فيه فطنوا له واختاروه
وطلبوا أنواع الاوزان والقوافي ثم وقعوا على حسن ذلك وقدروا عليه بتوفيق الله عز
وجل وهو الذي جمع خواطرهم عليه وهداهم وبدأو اعيم اليه ولكنه أقدرهم على حد
محدود وغاية في العرف مضروبة لعله بأنه سيجعل القرآن معجزا ودل على عظم شأنه بأنهم
قدسروا على ما بينا من التأليف وعلى ما وصفنا من النظم من غير توقيف ولا اقتضاء اثر
ولا تحدى اليه ولا تفريع فلو كل هذا من ذلك القبيل أو من الجنس الذي عرفوه والقوة
لم نزل أطماعهم عنه ولم يدعشوا عند روده عليهم فكيف وقد أمهلهم وفسح ايامهم في الوقت
وكان يدعو اليه سنين كثيرة وقال عز من قائل أول نعركم ما يتذكر فيه من تذكر
وجاءكم الذير وظهور المعجز عنه بعد طول التفريع والتحدى بان أنه خارج عن عاداتهم
وانهم لا يقدرون عليه وقد ذكرنا أن العرب كانت تعرف ما بين عاداتها من الكلام
الباسخ لان ذلك طبعهم ولغتهم فلم يحتاجوا الى تجرعة سمع القرآن وهذا في البلغاء
منهم دون المتأخرين في الصنعة والذي ذكرناه بذلك على أنه لا كلام في قدر البلاغة
من القرآن وكل من جوز أن يكون للبشر قدرة على أن يأتيوا بمثله في البلاغة لم يمكنه أن
يعرف أن القرآن معجز بحال ولو لم يكن جرى في المعلوم أنه سيجعل القرآن معجزا لكان

يجوز أن تجري عادات الأولين وأخبار المرسلين وكذلك لا يوجد خلف فيما يتضمنه من
 الاخبار عن الغيوب وعن الحوادث التي أنبأ أنها تقع في الثاني فلا يخرج من أن يكون
 متأولا على ما يقتضيه نظام الخطاب من أنه لا يأتيه ما يبطئه من شبهة سابقة تقدم في مجزئه
 أو تعارضه في طريقه وكذلك لا يأتيه من بعده قط أمر يشكك في وجه دلالته وإيجازه
 وهذا أشبه بسياق الكلام ونظامه ثم قال ولو جعلناه قرآنا أجمعيا لعالوا ولا فصلت آياته
 أجمعى وعربى فأخبر أنه لو كان أجمعيا لكانوا يحتجون فيرده أمابأن ذلك خارج عن عرف
 خطابهم وكانوا يعتذرون بذهابهم عن معرفة معناه ويأنهم لا يقين لهم وجه الإيجاز فيه
 لأنه ليس من شأنهم ولا من لسانهم أو غير ذلك من الأمور وأنه إذا تحدثهم إلى ما هو من
 لسانهم وشأنهم فجزوا عنه وجبت الجملة عليهم به على ما بينه في وجه هذا الفصل إلى أن
 قال قل أرايتم أن كان من عند الله ثم كفرتم به من أضل ممن هو في شقاق بعيد والذي
 ذكرنا من نظم هاتين السورتين ينبس على غيرهما من السور فكررنا سرد القول فيها
 فليتأمل المتأمل ما دللناه عليه بجمده كذلك ثم ما يدل على هذا قوله عز وجل وقالوا لولا
 أنزل عليه آية من ربه قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين أولئك هم أنا أنزلنا عليك
 الكتاب يتلى عليهم فأخبر أن الكتاب آية من آياته وعلم من أعلامه وأن ذلك يكفي في الدلالة
 ويقوم مقام مجزات غيره وآيات سواء من الأنبياء صلوات الله عليهم ويدل عليه قوله عز
 وجل تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا وقوله أم يقولون افتري على
 الله كتابا فاننشا الله صحتهم على قلبنا وعموا الله الباطل وبحق الحق بكلماته فدل على أنه جعل
 قلبه مستودعا لوجه ومستزلا لكتابه وأنه لو شاء صرف ذلك إلى غيره وكان له حكم دلالته
 على تحقيق الحق وإبطال الباطل مع صرفه عنه ولذلك أشباه كثيرة تدل نحو الدلالة التي
 وصفناها فبان بهذا وينظره ما قلنا من أن نبأ نبوتهم صلى الله عليه وسلم على دلالة القرآن
 ومجزته وصورته من الحكم في دلالته على نفسه وصدقه أنه يمكن أن يعلم أنه كلام الله تعالى
 وفارق حكمه حكم غيره من الكتب المنزلة على الأنبياء لأنها لا تدل على أنفسها إلا بأمر
 زائد ووصف منضاف إليها لأن نظمها ليس مجزأ وإن كان ما يتضمنه من الاخبار عن
 الغائبات والغيوب مجزأ وليس كذلك القرآن لأنه يشاركها في هذه الدلالة ويزيد عليها
 في أن نظمه مجز فيمكن أن يستدل به عليه وحل في هذا من وجه محل سماع الكلام من
 القديم سبحانه لأن موسى عليه السلام لما سمع كلامه علم أنه في الحقيقة كلامه وكذلك
 من يسمع القرآن يعلم أنه كلام الله وأن اختلف الحال في ذلك البشر بقدر زائد على ما لقوه
 من البلاغة وأمره فوق ما عرفوه من الفصاحة وأما نظم القرآن فقد قال أصحابنا فيه إن الله

فعالي يقدر على نظم القرآن الرتبة التي لا مريد عليها فقد قال مخالفونا ان هذا غير متع
لان فيه من الكلمات الشريفة الجامعة للعاني البديعة وانضاف الى ذلك حسن الموضع
فيصعب أن يكون قد بلغ النهاية لانه عندهم وان زاد على ما في العادة فان الزائد عليهم وان تفاوت
فلا بد من أن ينهي الى حد لا مريد عليه والذي يقول انه لا يتعنى ان يقال انه يقدر الله تعالى
على أن يأتي بنظم وأبلغ وأبدع من القرآن كله وأما قدرة العباد فهي متناهية في كل
ما يقدرون عليه مما يصح قدرتهم عليه

(فصل في كلام النبي صلى الله عليه وسلم وأمر متصل بالاعجاز)

ان قال قائل اذا كان النبي صلى الله عليه وسلم أفصح العرب وقد قال هذا في حديث مشهور
وهو صادق في قوله فعلا قلتم ان القرآن من نظمه لقد رتبته في الفصاحة على مقدار لا يبلغه
غيره قيل قد علمنا أنه لم يقدروا على مثل قوله وفصاحته والقدر الذي بينه وبين كلام غيره
من الفصحاء كقدر ما بين شعراء الساعرين وكلام الخطيبين في الفصاحة وذلك مما لا يقع
به الاعجاز وقد بينا قبل هذا أنا اذا وازنا بين خطبه ورسائله وكلامه المشهورين نظم
القرآن بين من البون بينهما مثل ما بين كلام الله عز وجل وكلام الناس ولا معنى لقول
من ادعى أن كلام النبي صلى الله عليه وسلم مجزوءان كل دون القرآن في الاعجاز فان قيل
لولا أن كلامه مجزوء لم يشبهه على ابن مسعود الفصل بين المعوذتين وبين غيرهما من القرآن
وكذلك لم يشبهه دعاء القنوت في أنه هل هو من القرآن ولا يجوز أن يخفى عليهم القرآن
من غيره وعدد السور عندهم محفوظ مضبوط وقد يجوز أن يكون شذعن معجزة لانه
نفاه من القرآن بل عول على حفظ الكل اياه على أن الذي يروونه خبر واحد لا يسكن اليه
في مثل هذا ولا يعمل عليه ويجوز أن يكتب على ظهر معجزة دعاء القنوت لثلاثين ساء كما
يكتب الواحد منا بعض الادعية على ظهر معجزة وهذا نحو ما ذكره الجهال من اختلاف
كثير بين معجزة ابن مسعود وبين معجزة عثمان رجة الله عليهما ونحن لانسكت أن يغلط في
حرف معدودة كما يغلط الحافظ في حرف ويؤنس وما لا يجزء على الحافظ على الجزء عليه
ولو كان قد أنكر السورتين على ما ادعوا لكأت الحجة تناظره على ذلك وكان يظهر
ويتشرف تناظره في أقل من هذا وهذا أمر يوجب التكثير والتضليل فكيف
يجوز أن يقع التعريف فيه وقد علمنا اجماعهم على ما جمعه في المعجزة فكيف يقدح بمثل
هذه الحكايات الشاذة المولدة بالاجماع المتقرر والاتفاق المعروف ويجوز أن يكون
الناقل أشبه عليه لانه خالف في النظم والترتيب فلم يشبههما في آخر القرآن والاختلاف
بينهم في موضع الاثبات غير الكلام في الاصل الا ترى أنهم قد اختلفوا في أول ما تزل من

القرآن ففهم من قال قوله اقرأ باسم ربك ومنهم من قال يا أيها المدثر ومنهم من قال فاتحة الكتاب واختلفوا أيضا في آخر ما نزل فقال ابن عباس إذا جاء نصر الله وقالت عائشة سورة المسائدة وقال البراء بن عازب آخر ما نزل سورة براءة وقال سعيد بن جبيرة آخر ما نزل قوله تعالى واتقوا يوم ماترجعون فيه إلى الله وقال السدي آخر ما نزل فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت ويحوز أن يكون في مثل هذا خلاف وان يكون كل واحد ذكر آخر ما سمع ولو كان القرآن من كلامه لكان البون بين كلامه وبينه مثل ما بين خطبة وخطبة يشتمها رجل واحد وكانوا يعارضونه لانا قد علمنا أن القدر الذي بين كلامهم وبين كلام النبي صلى الله عليه وسلم لا يخرج إلى حد الابهاز ولا يتفاوت التفاوت الكثير ولا يخفى كلام من جنس أوزان كلامهم وليس كذلك نظم القرآن لانه خارج من جميع ذلك فان قيل لو كان على ما ادعيت لعرفنا بالضرورة أنه معجز دون غيره قبل معرفة الفصل من وزن الشعر ووزنه والفرق بينه وبين غيره من الاوزان الى نظروا تأمل وفكر وروية واكتساب وان كان النظم المختلف الشديد التباين اذا وجد أدرك اختلافه بالحاسة الا ان كل وزن وقيل اذا أردنا تمييزه من غيره احتجنا فيه إلى الفكرة والتأمل فان قيل لو كان معجزا لم يختلف أهل الملة في وجه اعجازه قبل قديته الشيء دليلان اختلفوا في وجه دلالة البرهان كما قد يختلفون في الاستدلال على حدوث العالم من الحركة والسكون والاجتماع والافتراق فأما المخالفون فانه يتعذر عليهم أن يعرفوا أن القرآن كلام الله لان كلامهم أنه لا فرق بين أن يكون القرآن من قبل الرسول أو من قبل الله عز وجل في كونه معجزا لانه ان خصه بقدر من العلم لم تجر العادة بمثله أمكنه أن يأتي بعالمه هذه الرتبة وكان متعذرا على غيره لفقد علمه بكيفية النظم وليس القوم بعاجزين عن الكلام ولا عن النظم والتأليف والمعنى المأثور عندهم في تعذر مثل نظم القرآن علينا فقد العلم بكيفية النظم وقد نبينا قبل هذا أن المانع هو أنهم لا يقدرون عليه والمفهم قد يعلم كيفية الاوزان واختلافها وكيفية التركيب وهو لا يقدر على نظم الشعر وقد يعلم الشاعر وجوه الفصاحة واذا قالا الشعر شعر أحدهما في الطبقة العالية وشعر الآخر في الطبقة الوضيعة وقد يطردي شعر المبتدئ والمتأخر في الخلق القطعة الشريفة والبيت النادر وما لا يتفق للشاعر المتقدم والعلم بهذا الشأن في التفصيل لا يخفى ويحتاج معه إلى مادة من الطبع وتوفيق من الاصل وقد يتساوى العالمان بكيفية الصناعة والنساجة ثم يتفق لاحدهما من اللطف في الصناعة ولا يتفق في الآخر وكذلك أهل نظم الكلام يتفاضلون مع العلم بكيفية النظم وكذلك أهل الرمي يتفاضلون في الاصابة مع العلم بكيفية الاصابة

واذا وجدت الشاعر بيتا أو قطعة أحسن من شعرا من القيس يدل ذلك على أنه أعلم
 بالنظم منه لا نملو كان كذلك كان يجب أن يكون جميع شعراء على ذلك الحد وبحسب ذلك
 البيت في الشرف والحسن والبراعة ولا يجوز أن يعلم نظم قطعة ويجهل نظم مثلها وان كان
 كذلك علم أن هذا لا يرجع إلى ما قدره من العلم أو لساننا قول أنه يستغنى عن العلم في النظم
 بل يكفي علم به في الجملة ثم يقف الأمر على القدرة وهذا بين لك بأنه قد يعلم الخط فيكتب سطرا
 فلوراد أن يأتي عمله بحيث لا يتأخر منه شيئا لتعذر العلم حاصل وكذلك قد يحسن كيفية
 الخط والجيد منه من الردي ولا يمكنه أن يأتي بأرفع درجات الجيد وقد يعلم قوم كيفية
 إدارة الأقلام وكيفية تصور الخط ثم يتفاوتون في التفصيل ويختلفون في التصو يروا زمامهم
 أصحابنا أن يقولوا بقدرتنا على أحداث الاجسام وأنما يتعذر وقوع ذلك منالنا لا تعلم
 الأسباب التي إذا عرفنا إيقاعها على وجوه اتفق لتأفعل الاجسام وقد ذهب بعض
 المخالفين إلى أن العادة انتقضت بأنزله جبريل فصار القرآن مجزا لنزوله على هذا الوجه
 ومن قبله لم يكن مجزا وهذا قول أبي هاشم وهو ظاهر الخطأ لأنه يلزم أن يكونوا قادرين على
 مثل القرآن وان لم يتعذر عليهم فعل مثله وأنما تعذر بآزانه ولو كانوا قادرين على مثل ذلك
 كان قد اتفق من بعضهم مثله وان كانوا في الحقيقة غير قادرين قبل نزوله ولا بعده على مثله
 فهو قولنا أو ما قول كثير من المخالفين فهو على ما بينا لان معنى المجرع عندهم تعذر فعل مثله
 وكان ذلك متعذرا قبل نزوله وبعده فأما الكلام في أن التأليف هل له نهاية فقد اختلف
 المخالفون من المتكلمين فيه فهم من قال ليس لذلك نهاية كالعدد فلا يمكن أن يقال أنه
 لا يتأتى قول قصيدة الا وقد قبلت من قبل ومنهم من قال ان ما جرت به العادة فله نهاية
 وما لم تجر به العادة فلا يمكن أن تعلم نهاية الرتبة فيه وقد بينا أن على أصولنا قد تقدر
 لكلامنا حد في العادة ولا سبيل إلى تجاوزه ولا يقدر أن يخرق العادة فزاد عليها
 فصل **ان قيل هل من شرط المجزأ أن يعلم أنه أتى به من ظهر عليه قيل لا بد من**
 ذلك لأننا لو علم أن النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي أتى بالقرآن وظهر ذلك من جهة
 لم يمكن أن يستدل به على نبوته وعلى هذا لوتلق رجل منه سورة فأق بها بلدا وادعى
 ظهورها عليه وأنها مجزة له لم تقم الحجة عليهم حتى يعشوا أو يبينوا أنها ظهرت عليه
 وقد جفت أن القرآن أتى به النبي صلى الله عليه وسلم وظهر من جهته وجعله علما
 على نبوته وعلما ذلك ضرورة فصاحة علينا

فصل **قد ذكرنا في الابانة عن مجزأ القرآن وجيزا من القول رجونا أن يكفي**
 وأملنا أن يقع والكلام في أوصافه ان استقصى بعبد لا طرف واسع الا كافي لعل شأنه

وشريف مكانه والذي سطرناه في الكتاب وان كان موجزا وأملينا فيه وان كان خفيفا فانه ينبه على الطريقة ويدل على الوجه ويهدي الى المجتهد متى عظم محل الشيء فقد يكون الاسم هاب فيه عيا والاكثر في وصفه تصيرا وقد طال الحكيم وقد سئل عن البليغ متى يكون غنيا فقال متى وصف هوى أو حبيب أو ضل أعرابي في سفره ليلا فطلع القمر فاهتدى به فقال ما أقول لك أقول فعلك الله وقدر فعلك أم أقول نورك الله وقدر نورك أم أقول جلت الله وقدر جلت ولولا أن العقول تختلف والأفهام تتباين والمعارف تتفاضل لم نتج الى ما تكلفنا ولكن الناس يتفاوتون في المعرفة ولوا تفاقوا فيها لم يجز أن يتفقا في معرفة هذا الفن أو يجتمعوا في الهداية الى هذا العلم لاتصاله بأسباب وتعلقه بعلوم غامضة الغور وعيقة القعر كثيرة المذاهب قليلة الطلاب ضعيفة الأصحاب وبحسب تأقي مواقفه يقع الافهام دونه وعلى قدر لطف مسالكة يكون القصور عنه أنشدني أبو القاسم الزعفراني قال

أنشدني المتنبي لنفسه القطعة التي يقول فيها
وكم من عائب قولاً صحيحاً * وآفته من الفهم السقيم
ولكن تأخذ الآذان منه * على قدر القرائح والعلوم

وأنشدني الحسن بن عبد الله قال أنشدنا بعض مشايخنا للبصري

أهز بالشعر أقواماً ذوي سنية • لو أنهم ضربوا بالسيف ما شعروا
على تحت القوافي من مقاطعها * وما على لهم أن تفهم البقر

فاذا كان نقد الكلام كله صعباً وتمييزه شديداً والواقع على اختلاف فنونه متعذراً وهذا في كلام الآدمي فإظنك بكلام رب العالمين قد أيناك أن من قدر على أن البلاغة في عشرة أوجه من الكلام لا يعرف من البلاغة الا القليل ولا يظن منها الا اليسير ومن زعم أن البديع يقتصر على ما ذكرنا من قبل عنهم في الشعر فهو متطرف، بلى ان كانوا يقولون أن هذه من وجوه البلاغة وغرر البديع وأصول اللطيف وأن ما يجري مجرى ذلك ويشاكله ملحق بالأصل ومردود على القاعدة فهذا قريب وقد بينا في نظم القرآن ان الجملة تشمل على بلاغة منفردة والاسلوب يختص بمعنى آخر من الشرف ثم الفوائح والخواتم والمبادئ والمتاني والطوابع والمقاطع والوسائط والفواصل ثم الكلام في نظم السور والآيات في تفاصيل التفاصيل ثم في الكثير والقليل ثم الكلام الموشح والمرص والمفصل والمصرع والمجنس والموشى والمجلى والمكلى والمطوق والمتوج والموزون والخارج عن الوزن والمعتدل في النظم والمتشابه فيه ثم الخروج من فصل الى فصل ووصل الى وصل ومعنى الى معنى ومعنى في معنى والجمع بين المؤلف والمختلف والمتفق والمتسق وكثرة

التصرف وسلامة القول في ذلك كله من التعسف وخروجه عن التحق والتشويق بعده
عن التعلل والتكلف والألفاظ المفردة والابداع في الحروف والأدوات كالابداع في
المعاني والكلمات والبسط والقبض والبناء والنقض والاختصار والشرح والتشبيه
والوصف وغير الابداع من الاتباع كتميز المطبوع عن المصنوع والقول الواقع عن غير
تكلف ولا تعجل وأنت تبينه في كل ما تصرف فيه من الأنواع أنه على سمت شريف ومرب
منيف يهرا إذا أخذ في النوع الربى والأمر الشرعى والكلام الالهى الدال على أنه يصدر
عن عزة الملكوت وشرف الجبروت ولا يبلغ الوهم مواقعه من حكمة واحكام واحتجاج
وتقريب واستشهاد وتقرير وعذار وانذار وتبشير وتحذير ونبيه وتلويح واشباع وتصريح
واشارة ودلالة وتعلم أخلاق زكية وأسباب رضية وسياسات جامعة ومواعظ نافعة وأوامر
صاعدة وقصص مفيدة وتساءل على الله عز وجل بما هو أهله وأوصاف كما يستفهم وتحميد كما
يستوجبها واخبار عن كائنات في التأنى صدقت وأحاديث عن المؤتلف تحققت ونواه
زاجر عن القبايح والقواحش واباحة الطبييات وتحريم المضار والخبائث وحث على الجميل
والاحسان تجدها في الحكمة وفصل الخطاب مجلوة عليك في منظر هج وتظم أنيق ومعرض
رشيق غير متعاص على الامساج ولا متلوع على الاتهام ولا مستكره في اللفظ ولا متوحش
في المنظر غريب في الجنس غير غريب في القبول جميل في الماه ونضارة ولطفا وغضارة يسرى
في القلب كآيسرى السرور ويرى الى مواقعه كآيسر السهم ويضئ كآيسر القمر ويرى
كما يرى البحر طموح العباب جوح على المتناول المتنازل كالروح في البدن والنور
المستطير في الأفق والغيت الشامل والضياء الباهر لا يأتبه الباطل من بين يديه ولا من
خلفه فنزل من حكيم جيد من توهم أن الشعر يلحق شأوه بلان ضلله وصح جهله اذا شعر
سمعت قد تناولته اللسان وتداولته القلوب وانتالت عليه الهواجس وضرب الشيطان
فيه بهمه وأخذ منه بحظه وما دونه من كلامهم فهو أدنى محلا وأقرب مأخذا وأسهل
مطلباً ولذلك قالوا فلان مفهم فأخر جوده مخرج العيب كما قالوا فلان عبي فأوردوه مورد
التقص والقرآن كآب دل على سدى مصمله ورسالة دلت على صحة قول المرسل بما هو برهان
شهد به براهين الأولياء المتقدمين وبينت على طريقة ماسلف الأولون حيرهم به اذا كان
من جنس القول الذي يزعموا أنهم أدركوا فيه النهاية وبلغوا فيه الغاية فعرفوا عجزهم كما
عرف قوم عيسى نقصانهم فما قدروا من بلوغ أقصى الممكن في العلاج والوصول الى
أعلى مراتب الطب فجاءهم بما بهرهم من احياء الموتى وبراء الأكمه والابريص وكما أتى
موسى بالعصا التي تلقفت ما دققوا فيه من صهرهم وأنت على ما أجمعوا عليه من أمرهم وكما

مضر لاسلمان من الريح والطير والجن حين كانوا يولعون بدقائق الحكمة ويدافع من اللطف ثم كانت هذه العجزة عما يقف عليه الأول والاخر وقوا واحداً بقي حكمه الى يوم القيامة أنظر وفقك الله ما هديناك اليه وفكر في الذي دللناك عليه فالحق منهج واضح والدين ميزان راجح والجهل لا يزيد الا غموا ولا يورث الا اندما فالله عز وجل قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكروا ولو الا لباب وقال وكذلك أوحينا اليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وقال يضل به كثير ويهدي به كثير اعلى حسب ما آتى من الفضل وأعطى من الكمال والبقول تنفع الهداية والتبيين فان الأمور تتم بأسبابها وتحصل بآثارها ومن سلبه التوفيق وحرمه الارشاد والتسديد فكأنما غر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان محيق لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً فأحمد الله على ما رزقك من الفهم ان فهمت وقل رب زدني علماً وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وان ارتبت فيما بيننا فازدد في تعلم الصنعة وتقدم في المعرفة فسبقك على الطريق الارشاد ويقف بك على الوجه الاحد فانك اذا فعلت ذلك أحطت علماً وتيقنت فهماً ولا يوسوس اليك الشيطان بانه قد كان من هو أعلم منك بالعربية وأرجح منك في الفصاحة أقوام وأقوام ورجال ورجال فكذبوا وارتابوا لأن القوم لم ينهبوا عن العجاز ولكن اختلفت أحوالهم فكأنوا بين جاهل وجاهد وبين كافر نعمة وجاهد وبين ذاهب على طريق الاستدلال بالمجربات وحائد عن النظر في الدلالات وناقص في باب البحث ومختل الآلة في وجه الفحص ومستهين بأمر الأديان وغاوت تحت حيلة الشيطان ومقدوف بتخللان الرحمن وأسباب التخللان والجهالة كثيرة ودرجات الحرمان مختلفة وهلا جعلت بازاء الكفرة مثل لبدين ربيعة العامري في حسن اسلامه وكعب بن زهير في صدق ايمانه وحسان بن ثابت وغيرهم من الشعراء والخطباء الذين أسلموا على أن الصدر الأول ما فهم الانجم زاهر أو بحر زاهر وقد بينا أن الاعتصام بالهداية الله ولا توفيق الا بنعمة الله وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء فنأمل ما عرفناك في كتابنا وفرغ له قلبك واجمع له لبك ثم اعنصم بالله يهتدك وتوكل عليه يغثك ويحجرك واسترشده يرشدك

وهو حسبي وحسبكم ونعم الوكيل ﴿﴾ تم طبع هذا الكتاب

التفيس في ١٥ المجلد سنة ١٣١٥ هجرية

على صاحبها أفضل الصلاة والسلام

وأزكى التسمية

Bibliotheca Alexandrina



0420089